عيسى بلاطه

بدر شاكر السياب

حياته وشعره

خذ الكتاب مصوراً

بدر شاكر السيّاب

عيسى بلاطه

بدر شاكر السيّاب

حياته وشعره

خان الكتاب مصورا
د.حسن داخل

دار النهار للنشر ش.م.ل
بيروت لبنان

جميع الحقوق محفوظة
دار النهار للنشر ش.م.ل.
بيروت ١٩٧١

المحتويات

مقدمة يوسف الخال	١١
الفصل الأول — البحث عن الحب والاطمئنان	١٧
الفصل الثاني — المرحلة الرومنطيقية	٣٢
الفصل الثالث — مرحلة الاشتراكية الواقعية	٧٤
الفصل الرابع — المرحلة التموزية	٩٥
الفصل الخامس — المرحلة المأساوية	١٣١
الفصل السادس — خاتمة : عرض وتقييم	١٦٧
الملحق : قصائد غير منشورة	١٩٣
المصادر والمراجع	٢١٣

مقدّمة

هذه سيرة حياة لا دراسة نقد وتقييم . وهي في ذلك لا يفصلها عن بلوغ الغاية الا حدود الكمال .

فانت فيها امام رجل عاش ومات كما عاش صاحبها ومات : رجل احب الحب فاحب الحياة، وقضى وفي نفسه حسرة من كليهما. فكانت الحياة وكيف ينعم بها ، والحب وكيف يكون من نصيبه ، والموت وكيف ينجو منه ، موضوع حياته وشعره .

وهو ما تراه واضحاً ، كثير الوضوح ، في هذه السيرة .

فهنالك فقره وافتقاره الى الحسن ، في مجتمع ظالم يحتقر الفقر ويؤخذ بظاهر الجسد . ولدفع الظلم والفقر رفض وتشيّع ، وللتعويض عن افتقاره الى الحسن صقل شاعريته ما استطاع وشهرها في سبيل الجنان والحب .

اما شيوعته فاستنفدت ذاتها. واما شاعريته ، فما ان ترعرعت حتى ركبه الداء وانتعلته الهموم . فتمرغ مرغماً على الاعتاب . وظل الاجمل فيه شغفه بالجديد وانفتاح صدره على المدهش والمستحيل من كل شيء . فعاش كأنما الى الابد ، شروقاً يلاحقه الغروب . وكان ، حين تلقاه ، شبح فارس في بريق الظلمة. تتأمله، فاذا الجراح العربية وقد لفها الضماد .

جاءه الموت بطيئاً ، واذن ظالماً ورهيباً في وقت معاً . كلما امعن في الصمود ، امعن الموت في الحقد والتشفي . فما سقط القلم من يده ،

حتى أسقط الموت كل شيء فيه ما عدا الروح . فكان كمن حياته ممات ومماته حياة . وما من شهادة ، في تاريخ الشعر ، اصدق من هذه الشهادة .

من ذكرياتي عنه انه قلما اراد من متاع الدنيا غير ما اعتبره من حقوقه . وفي هذا لم يرد شيئاً لنفسه . واذ عاش للشعر ، كان كالشعر عطاءً كله . وكالشعر كان له مطلب واحد هو الوصال . فآثر المرأة عن طبع ، كما عن شديد حاجته الى الحنان . لكنه سعى الى الصداقة ، فاذا ما بلغها تعالت في نظره عن الزمان والمكان . فان اذنب اليها ، اذنب كما الى الله . له التوبة وعليه الصفح والغفران .

ومن ذكرياتي عنه انه قلما استبدّ به الرفض . وكما اتحد بالشعر ، هكذا اتحد بتراثه وبقومه .

وكان من الاصالة والصدق بحيث اتحد مع ذاته ايضاً فوقف ، ككل انسان ، اعزل امام الحياة والموت . فاذا به مثال الشاعر الذي التصق بالواقع الى حد تجريده في الوجدان العام . فبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل . وهكذا وجد التاريخ فيه خيطاً يصل جاهلية العرب تلك بجاهليتهم في القرن العشرين ، كما وجد الشعر فيه رائداً صعد بالرومنسية العربية الحديثة الى قمة الانحدار .

ومن ذكرياتي عنه ترفُّعه عن الصغائر ونجاته من الغرور ، فكان من القلة بين الذين عرفتهم من الشعراء . كان يطرب للمديح انما دون تكسّب ، ويتوخّى الشهرة انما دون افتعال . وفي احدى رسائله اليّ آثر اعجاب النخبة على تصفيق الملايين . وهو ، في ثقته بنفسه ، نأى عن الغيرة والحسد ، وفي احترامه للشعر ، عن المساومة والمتاجرة وذرّ الالفاظ في العيون .

وكان لا يأنف من التتلمذ ولا يصمّ الاذن عن الاستماع . فتراه

متى حضر «خميس مجلة شعر» ، قرأ نتاجه الجديد وتقبّل النقد وناقش فيه الصغير والكبير . وكان اذا وقعت في يده صفحات من الشعر الجيد ، باللغة الانكليزية ، انصبّ على فضّ مغاليقها والغوص الى عميق معانيها . وكثيراً ما استنجد بالقاموس، فاذا هوامش الصفحات تضيق بالالفاظ والشروح . وكان متى عثر بالشعر الجميل الرائع ، سعد به وتحسّر له في وقت معاً، فأسمعه يقول: «اين نحن من هذا الشعر؟» فكان على عظيم موهبته عظيماً في تقييم مواهب الآخرين ، وعلى صدق شغفه بالمعرفة صادقاً في تقديرها واحتضانها اينما تكون . ولو آتته الفرص الروحية والثقافية والمادية ، كما تؤاتي الشاعر الكبير ، لكان لنا فيه ، دون سائر مجايليه ، ذلك الشاعر الكبير .

ومن ذكرياتي عنه براءته وسذاجة طبعه على ذكاء. فكأنّ مردّهما عنده الى قوة الغريزة فيه. وهي تلك التي حببت اليه البقاء وشدّدت عزيمته على مصارعة الموت . وبلغ من تفوقها على قوة الشكيمة فيه انه تقلب ، بتأثيرها ، في الرأي والسلوك . وكانت ، حين يلام ، حجته في دفع اللوم . وهي حجة دامغة لدى الوجدان ، واهية في عين العقل .

واذ اتصفت غريزته الى جانب القوة بالصفاء ، كان لا بد لها من ان تقيه خطر السقوط في جفاف العاطفة ، وفقدان العفوية ، وبهلوانية التعبير . فظل آخر بيت من شعره كأول بيت فيه ، زاخراً ومتدفقاً وعلى بساطة لا صلة لها بالسهولة التي اساءت الى الكثير من الشعر «الحديث» . غير ان غريزته هذه وما وقته من خطر السقوط فيه ، اوقعه في خطر آخر . فأسرف في رصف الصور والمعاني ، وفي العبارات الاعتراضية المجوّفة . وسيظل هذا الاسراف ، في نظر النقد ، عاهة شعره الاولى .

ومن ذكرياتي عنه حلو معشره ، وخفة ظله ، وميله الى الدعابة . ومع انه أحبّ المجالس ، إلا انه قلما تصدرها عن عن شعور بالنقص أو أدار احاديثها عن ادعاء . وكان على ضآلة حجمه مهيباً ، وعلى هزالة

طلعته وسيماً تغزل عيناه السحر وتفجّر ضحكاته المرح . وكان نظيف اللسان ، فما اهان اللفظة ولا تناول مخارج حروفها بعنف . واذا ما تكلم على احد بسوء ، فكمن يلوم النفس او يستميح العذر. واذا شكا همومه ، وهي كثيرة ، فتندّراً ، او تناول خصوصياته فبحياء . فكأني به وهو الكبير القلب او النفس، أبى ان يكون له من الخصوم سوى الدهر. واذ علم ان الدهر لا يقهر ، داعبه حيناً وعاتبه حيناً آخر . وتراءى له ، خصوصاً في أواخر أيامه ، ان يغالبه بالشعر ، وهو سلاحه الاوحد :

فأنتضي من سيفيَ المجرّدِ
ويقطر الشعر ولا يغيض
لانني مريض
اودع الحياة أو اشدّ بالحياة
بخيطه الموروث عن اموات
لم يدفع الشعر منا ياهم وقد
جاءت اليهم غيله !

وهكذا راح يكتبه بنهم وعلى عجل :

لأكتب قبل موتي أو جنوني ، أو ضمور يدي من الإعياء
خوالج كل نفسي ، ذكرياتي ، كل أحلامي
وأوهامي
وأسفح نفسيَ الثكلى على الورق
ليقرأها شقيٌ بعد أعوام وأعوام
ليعلم أن أشقى منه عاش بهذه الدنيا
وآلى رغم وحش الداء والآلام والأرقِ
ورغم الفقر ان يحيا .

ذلك لأنها :

ستبقى — حين يبلى كل وجهي ، كل اضلاعي
وتأكل قلبيَ الديدان ، تشربه الى القاعِ —
قصائد .....

وماذا اقول بعد ، في هذه المقدمة ، وهنالك الكثير . فبدر شاكر السياب ، في حياته وموته ، مأساة قلّما عرفها الشعر في كل تاريخه . وكم كان يذكرني بأيوب ، منذ ان شكا اليّ من ساقيه ، ثم تباطأ بهما ، ثم حملهما ، بدل ان تحملاه ، الى يومه الاخير .

وكما تساءل ايوب وتحير وتذمر ولم يكفر ، كذلك فعل بدر . ولئن كوفئ ايوب على صبره ، فهل يكافأ بدر ؟ وبماذا يكافأ ؟ هل تُرَدّ اليه صحته وحياته وقد مات ، واملاكه ومقتنياته ولم يكن له منها ما يُرَدّ ؟

بلى ، ذكراه . فستبقى في تاريخ الشعر العربي ما بقي هذا الشعر .

يوسف الخال

الفصل الاول

البحث عن الحُبّ والاطمئنان

يبدو أن النخيل وجد لنفسه وطناً طبيعياً في العراق . فهو يحتاج إلى صيف حار جافّ ليثمر بنجاح ، ولذلك ازدهر في القسم الجنوبي من البلاد ولاسيما على ضفتي شط العرب ، حيث يتحد دجلة والفرات . وفي غابات النخيل التي تمتد حوالي كيلومترين على كل من ضفتي شط العرب ، ينمو ما لا يقل عن خمسة عشر مليون نخلة هي نصف ثروة العراق من النخيل ، وينمو النصف الآخر على طول النهرين شمالاً حتى خط العرض ٣٣ . وتزداد كثافة غابات النخيل على شط العرب حول مركز أبي الخصيب على مسافة عشرين كيلومتراً تقريباً جنوب شرقي البصرة ، فلا تكاد الشمس ترى . وعلى مقربة من أبي الخصيب إلى الجنوب الشرقي تقع قرية مغمورة تدعى جيكور قدر لها أن تصبح ذات شهرة في الأوساط الأدبية العربية لأن شاعراً هو بدر شاكر السياب ولد فيها سنة ١٩٢٦ وأغرم بحبها .

إنها قرية صغيرة لا يزيد سكانها على حوالى خمسمئة نسمة . واسمها مأخوذ من العبارة الفارسية «جُويْ كُور» أي « الجدول الأعمى » . دورها بسيطة ذات طابق واحد ، وهي مبنية من اللبن غير المشوي وجذوع النخل ، ويمتد معظمها على طول طريق جهم مغبر وراء جدران لا نوافذ فيها . ويمكن الوصول اليها من أبي الخصيب على طريق غير معبد طوله حوالي ثلاثة كيلومترات يتلوى في غابات النخيل . وتتخلل غابات النخيل المحيطة بالقرية جداول أو أنهار فوقها معابر صغيرة من جذوع النخل . وحين يرفع المدّ مستوى شط العرب تمتلىء هذه الجداول أو الأنهار بمائه ثم لا تلبث عند الجزر أن يجري ماؤها عائداً اليه . وهي أجمل مشاهد القرية ، ولا يضاهيها إلا جاذبية شط العرب نفسه . ومن هذه الجداول أو الأنهار واحد اسمه «بُوَيْب» عرضه مترّان وهو يستمد ماءه من جدول أكبر منه يدعى «جيكور» . ويمر «بويب» هذا في قطاع من

القرية اسمه «بُقيع» حيث منازل عائلة السياب وأراضيها .

ويعمل معظم سكان هذه المنطقة من العراق في فلاحة النخيل . وبينما لا يملك الأرض فيها إلا أقلية ، فان الأكثرية تكسب عيشها من المشاركة في مراحل فلاحة النخيل المتعددة قبل وصول التمر إلى المستهلكين . فبعضهم يعمل في عملية أبْر النخل أي تلقيحه في شهر نيسان ، وذلك أن ضلع النخلة الأنثى يجب أن يلقح باليد من زهر النخلة الذكر للتأكد من وفرة المحصول ، لأن التلقيح الطبيعي عشوائي . وبعض الناس يعمل في نبش الأرض بالفؤوس بين سنة وأخرى للمحافظة على خصبها . ويعمل آخرون في جذ التمر في موسم القطاف في شهر آب فيتسلقون الجذوع النحيلة الرشيقة لجذ التمر باليد بينما يجلسون على معاليق يربطونها حول الجذوع . ولا يشكل الري صعوبة لأن الأرض يغمرها الفيض الطبيعي الذي يسببه ارتفاع المد بانتظام . وقد نشأت طبقة من الناس عملها تمويل فلاحة النخيل أو تسويق محصولها قبل أن يصل إلى المكابس أو المعامل الآلية الحديثة حيث ينظف التمر ويصنف أصنافاً ويكبس ثم يعد للاستهلاك المحلي أو التصدير إلى جميع أنحاء العالم . فالعراق ينتج حوالي ٨٠٪ من تمر العالم ويبلغ دخله من ذلك حوالي خمسة ملايين دينار في السنة .

وآل السياب يملكون أراضي مزروعة بالنخيل . وهم مسلمون سنيّون عرفتهم جيكور لأجيال عدة . وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا من كبار الملاكين في جنوب العراق ، فإنهم كانوا يحيون حياة لائقة محترمة حسب المعايير المحلية . إن أعضاء الأسرة من الذكور لا يزيدون على ثلاثين في الوقت الحاضر (١) ، لكن الأسرة كانت أكبر مما هي اليوم في أوائل القرن التاسع عشر إذ كانت تضم عائلة المير . لكن كثيرين من أعضائها ماتوا في الطاعون الذي انتشر في العراق سنة ١٨٣١ . وكان سياب بن محمد بن بدران المير أحد أعضائها ، وكان قد فقد جميع أهله الأقربين (١). وكلمة «سياب» بتخفيف الياء وفتح السين أو «سيّاب» بتشديدها وضم السين أو فتحها : اسم يطلق على البلح أو البُسر الأخضر (٢) ، لكن قصة تروى في العائلة تزعم أنه دعي بهذا الاسم لأنه فقد جميع أقربائه وسُيّب وحيداً .وهي تلفظ «سْياب» في اللهجة المحلية بتسكين

---

(١) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ٢٣ نيسان ١٩٦٦ .

(٢) لسان العرب : طبعة بولاق ١٣٠٠ هـ ، الجزء الأول ، ص ٤٦١ . وتاج العروس : طبعة مصر ١٣٠٦ هـ ، الجزء الأول ، ص ٣٠٦ .

السين . وقد علق به هذا الاسم أو اللقب كما علق بأبنائه وأحفاده من بعده ، مما ميّزهم من سائر أعضاء عائلة المير ، على الرغم من أنهم ما زالوا يعترفون بالقربى فيما بينهم (١) وبتحدّرهم المشترك من قبيلة ربيعة العربية (٢) .

وكان أحد احفاده يدعى عبد الجبار بن مرزوق السياب . وكان يملك من غابات النخيل ما جعله يعتبر غنياً . وكانت له علاقات ودية مع أعيان المنطقة . وقد بنى لنفسه داراً كبيرة في «بقيع» على تخوم قرية جيكور تناسب مكانته الاجتماعية . وعلى الرغم من أنها كانت داراً من اللبن غير المشوي ، فإنها كانت تضم حوالي خمس عشرة غرفة تحيط بفناء الدار المستطيل . وكان للدار طابقان في الزاوية التي فيها المدخل الرئيسي كما كان لها شرفة خشبية مسقوفة تطل على فناء الدار . وكان بالقرب من الدار منزل خاص لعبيد الأسرة الذين كانوا في العهد العثماني يساعدون جده في فلاحة الأرض .

وكان لعبد الجبار أبناء ثلاثة هم شاكر وعبد القادر وعبد المجيد (٣) . وكان مهتماً بتثقيفهم ، لكنهم لم ينالوا أكثر من التعليم الابتدائي لانعدام المدارس العليا في تلك النواحي . فبعد أن أكملوا التعليم الابتدائي ، بدأوا يساعدون أباهم في أعماله الزراعية .

وعندما دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى بتحالفها مع القوى المركزية في تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ما لبثت القوات البريطانية أن وصلت من الهند واحتلت البصرة ومنطقة شط العرب في أيام قلائل . ولكن لم يتم لها احتلال العراق بأكمله إلا في أواخر الحرب وبعد سقوط الموصل في تشرين الأول ١٩١٨ . ولذلك لم يشاهد القسم الجنوبي من العراق معارك دامية مثل معركة كوت العمارة (١٩١٦) ومعركة بغداد (١٩١٧) ومعركة كركوك (١٩١٨) . بيد أن الشعب كان يشعر بأثر الحرب وهوان الاحتلال الأجنبي والحكم العسكري . وكانت عائلة عبد الجبار السياب مستكينة في قريتها تنتظر تحسن الأحوال . وواصل الناس فلاحة نخيلهم وهم لا يدرون بالمؤامرات الدولية (٤) التي كانت تحاك لوطنهم والتي انتهت بفرض الانتداب البريطاني على العراق في نيسان

---

(١) مصطفى السياب : في مقابلة مع المؤلف ، بيروت ١٤ حزيران ١٩٦٦ .
(٢) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ ، نقلا عن بدر شاكر السياب .
(٣) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ٢٣ نيسان ١٩٦٦ .
(٤) معاهدة سايكس بيكو وقعت في لندن بتاريخ ١٦ أيار ١٩١٦ .

١٩٢٠ في مؤتمر سان ريمو .

وقد نشبت الثورة الوطنية في العراق في صيف ١٩٢٠ لكنها انتهت بتأسيس حكم وطني محدود تحت الانتداب البريطاني وجلوس فيصل الأول ملكاً على عرش العراق .

وكان شاكر على ما يبدو أكثر أبناء عبد الجبار طموحاً وإقبالا على الدنيا . فبالإضافة إلى عمله في مساعدة والده ، كان أحياناً يحاول أن يكسب المزيد من المال بأعمال الدلالة في موسم التمر . بل إنه كان يضع تحت إشرافه ايضا بعض النخيل الذي كان يملكه كبار الملاكين في أبي الخصيب مثل ياسين جلبي العبد الواحد (١) . وقد رأى والده الذي كان يدير أمور بيته بحكمة وتبصر أن ابنه الأكبر قد آن له أن يتزوج .

وفي ١٩٢٥ تزوج شاكر ابنة عمه كريمة . وكانت أمية في السابعة عشرة من عمرها (١) . وأسكنها معه في دار والده على ما تقضي به العادات المرعية . وفي ١٩٢٦ ولدت له ابناً دعاه «بدراً» . وقد طار به فرحاً وسجل تاريخ ميلاده حتى يتذكره ، لكنه ما لبث أن فقده وبقي تاريخ ميلاد بدر مجهولا . ولم تكن إدارة البلاد في ذلك الوقت متفرغة لتنظيم تسجيل المواليد ، ولاسيما في النواحي النائية . وفي ١٩٢٨ ولدت له ابناً ثانياً دعاه عبدالله ، وفي ١٩٣٠ ولدت له ابناً ثالثاً دعاه مصطفى . وكان فخوراً بأبنائه الثلاثة ، واثقاً من أنهم سيكبرون ويساعدونه في عمله . لكن أحداً منهم ما ساعده كما كان ينتظر ويأمل . فقد أصبح بدر شاعراً يحمل دبلوما في التربية من دار المعلمين العالية في بغداد ، وأصبح عبدالله أستاذاً في جامعة بغداد يحمل درجة دكتوراه في الجيولوجيا من جامعة ولاية إنديانا ، وأصبح مصطفى موظفاً في الجهاز الحكومي في بغداد يحمل درجة بكالوريوس في الادارة التجارية من جامعة بيروت الأمريكية .

كانت طفولة بدر سعيدة . فالآباء في الشرق الأوسط قلما يولون صغارهم اهتماماً كبيراً بين السنة الثالثة والسادسة من عمرهم ، ولاسيما في القرى . بل إنهم في الغالب يتركونهم وحدهم يتعلمون من إخوتهم وأخواتهم ويلعبون مع لداتهم خارج البيت . وعلاقاتهم بالكبار تكاد لا تتعدى علاقاتهم بنساء العائلة .

وقد سعد بدر بعطف النساء في دار جده كما سعد برفاقه في اللعب . وكان

---

(١) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ٢٣ نيسان ١٩٦٦ . كلمة «جلبي» أو «شلبي» لقب تركي .

يحب أن يلعب في ماء بويب الذي كان يجري على مقربة من قريته . وكان يحلو له أن يلتقط المحار منه ويجلس في ظل نخلة رشيقة ليلهو به . وفي المساء ، كان يحب أن ينصت إلى بويب وصليله على المحار . وفي الشتاء ، كان يحب أن يستمع إلى المطر وهو يسقط على النخيل في خرير يلذ السمع . وكان يحب أن يسمع الريح تهمس في النخيل ، فيظن أن النخيل يتنفس أشعة الشمس . وكان يحب أن يراقب السفن والمراكب وهي تصعد شط العرب إلى البصرة أو وهي تنحدر فيه إلى الخليج العربي. وكان يحلو له في الأمسيات أن يروي له جده قصة السندباد وأبي زيد الهلالي وغيرهما ، وأن تروي جدته قصة حزام وعفراء . وكان عالم من الجن والأشباح والأبطال والعشاق يموج في خياله الصغير ، فترك فيه انطباعات عميقة ما زالت صور وذكريات منها تعود اليه باستمرار وتوشح شعره في مقبل الأيام .

لكن هذه السعادة ما كانت لتدوم . فقد تحطمت فجأة اذ توفيت والدته في ١٩٣٢ بين آلام المخاض والولادة . وكانت في الثالثة والعشرين من عمرها حين ماتت عن ابنائها الثلاثة . وكان بدر في السادسة من عمره ، ولم يكن يفهم معنى الموت بعد ، لكنه شعر بألم غامض كان يوقظه ليلا فيسأل عن أمه فيقال له : «ستعود بعد غد »(١) . وكان رفاقه يتهامسون أنها في قبرها على سفح التل . (١) وبدأ بدر يتعلق بجدتيه ولاسيما جدته لأبيه «أمينة» فقد شعر بحنانها وحبها . وكان يسألهما عن أمه المرة تلو المرة وكانت أجوبتهما تخلق في ذهنه صورة لا تمحى لوالدته قد يكون الخيال جعلها مثالية (٢) .

وكان العراق في غضون ذلك يعد نفسه للاستقلال ، إذ كانت بريطانيا قد اتفقت مع الحكومة العراقية على إنهاء الانتداب في معاهدة وقّعت في حزيران ١٩٣٠ . وفي الثالث من تشرين الأول ١٩٣٢ أصبح العراق مستقلا وقُبل عضواً في عصبة الأمم . وأقيمت الاحتفالات في جميع أنحاء البلاد . لكن الصبي الصغير لم يفهم كثيراً مما كان يجري ، وكانت فكرة ذهابه إلى المدرسة في الأسبوع التالي أدعى لإثارة حماسته .

لم يكن في جيكور مدرسة في ذلك الوقت . وكان على بدر أن يسير ماشياً إلى

---

(١) «أنشودة المطر»: قصيدة «أنشودة المطر»، ص ١٦١، دار مجلة شعر ، بيروت ١٩٦٠ .
(٢) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ٢٣ نيسان ١٩٦٦ .

قرية « باب سليمان» (١) الواقعة إلى الغرب من جيكور حيث المدرسة الحكومية التي التحق بها ، وفيها أربعة صفوف ابتدائية . فتعلم هناك مبادىء القراءة والكتابة العربية وبعض أصول الحساب والدين الاسلامي . وبعد أن انهى الصف الرابع بنجاح ، انتقل إلى المدرسةالمحمودية الابتدائية للبنين في «أبيالخصيب». (١) وكانت ذات ستة صفوف ابتدائية . فتعلم فيها فضلا عن ذلك التاريخ والجغرافية واللغة الانكليزية لمدة سنتين أخريين .

وكانت المدرسة مثل معظم دور أبي الخصيب مبنية من اللبن المشوي . وكانت ذات طابقين ، للأعلى منهما شرفة خشبية داخلية تطل على فناء الدار الذي كان يستخدم ملعباً للطلاب . وكانت تحمل اسم مؤسسها محمود باشا العبد الواحد وهو من أعيان البلدة ، وكان قد وهب الدار في مطلع هذا القرن لتكون مدرسة لأبناء المنطقة . وكان بالقرب منها دور مماثلة تملكها هذه الأسرة العربية الثرية التي كان لها ايضاً مسجد خاص على مقربة من الحيّ . وكان صاحب إحدى هذه الدور عبد الوهاب جلبي العبد الواحد الذي استخدم والد بدر فيما بعد لادارة شؤون أملاكه وأراضيه .

وكان بدر يبدو سعيداً في مدرسته ، إذ كان يكتسب الأصدقاء ويزداد علماً . وفي هذه المدرسة تعلم أن يغني مع خلانه ورفاقه في الأيام الممطرة تلك الأهزوجة التي ادخلها فيما بعد في إحدى قصائده الأخيرة :

يا مطرا يا حلبي
عبّر بنات الجلبي
يا مطراً يا شاشا
عبّر بنات الباشا (٢)

وهنا أيضاً بدأ ينظم الشعر باللغة الفصحى . وكان قبل ذلك قد نظم بعض الشعر باللهجة العراقية الدارجة في وصف مناظر طبيعية أو في السخرية من أترابه ، فجذب بذلك انتباه معلميه . أما الآن فقد بدأ ينظم أولى قصائده في موضوع وطني وعلى طريقة الأقدمين . وقد قال فيما بعد إن هذه القصائد كانت صحيحة

---

(١) مصطفى السياب : في الرسالة نفسها .
(٢) قصيدة «شناشيل ابنة الجلبي» في مجموعة «شناشيل ابنة الجلبي» ، بيروت ١٩٦٥ ، الطبعة الثانية ، ص ٧ .

من ناحية الوزن ولكنها كانت مليئة بالأخطاء النحوية(١). وكان أساتذته يدعونه إلى غرفتهم لينشدهم إياها، فيكافئونه بالكتب الملونة والمجلات .

وكان بدر يحب أن يدعوه مدير المدرسة إلى مكتبه ، لأن ذلك المكتب كان ذا شرفة مغلقة جميلة تطل على الطريق . وكان لهذه الشرفة التي تدعى «شناشيل» نوافذ ، زجاجها ملون بالأزرق والأحمر القاني والأخضر والبرتقالي ، وكانت مزينة بالخشب المحفور بالزخرف العربي الدقيق مما كان شائعاً في بيوت الأثرياء في البصرة وبغداد في القرن الماضي . وكان سقف الغرفة الخشبي وجدرانها المطلية بالجبس تزينها تصاميم أزهار منمنمة وزخارف هندسية . وكان لبيت الجلبي الثري على مقربة من المدرسة شناشيل مماثل . ومن الممكن أن يكون بدر قد رأى وجه ابنة الجلبي الجميل من وراء خشبه المزخرف ، فأثار فيه شعوراً بالبذخ والسحر كان يفتقده في حياته القروية الساذجة الخشنة . فقد ظل هذا الشعور يراوده سنوات عدة إلى أن عبر عنه بعد خمس وعشرين سنة في قصيدة «شناشيل ابنة الجلبي» (٢) .

أما في البيت فقد كان بدر يلعب مع أصدقائه فيشاركه أخواه الأصغران . وكان من الأماكن المحببة للعبهم بيت واسع قديم مهجور يدعى «كوت المراجيج» باللهجة المحلية . وكان هذا البيت في العهد العثماني يؤوي عبيد الأسرة (٣) ومن هنا اسمه ، إذ معنى «المراجيج» المراقيق أي الرقيق أو العبيد . وقد دعاه بدر في شعره فيما بعد «منزل الأقنان» (٤). كانوا يلعبون في فنائه بالقفز على مربعات ودوائر تخطط على الأرض وما شابه ذلك من ألعاب القفز (٥) . وكان يلذ لهم كذلك ان يرووا عنه قصص الأشباح . وقد جعله بدر مقراً لجريدة خطية كان يصدرها مدة باسم «جيكور» تتناقلها أيدي صبيان القرية ، ثم تعود في ختام المطاف لتجد محلها على الحائط في غرفة الإدارة (٦) .

---

(١) «بدر شاكر السياب» ، منشورات أضواء ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ١٨ . وكذلك عن مؤيد العبد الواحد بمزيد من التفصيل في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٣٠ آب ١٩٦٦ .

(٢) «شناشيل ابنة الجلبي» : ص ٥ – ١٠ .

(٣) مصطفى السياب : في مقابلة مع المؤلف ، بيروت ١٤ حزيران ١٩٦٦ .

(٤) «منزل الأقنان» ، بيروت ١٩٦٣ ، قصيدة «منزل الأقنان» ، ص ٨٢ – ٨٨ .

(٥) مصطفى السياب : في المقابلة المذكورة .

(٦) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ .

وفي أحد الأيام من سنة ١٩٣٥ ، شهد بدر خصاماً بين والده شاكر وجده عبد الجبار . ولم يفهم منه كثيراً لأنه لم يكن يتجاوز التاسعة من العمر ، لكنه فهم أن والده عازم على أن يتزوج ثانية . وكان جده يعارض لأن المرأة كانت من قرية غير قريته ومن عائلة دون عائلته مكانة . وكان والده يصر على أنها وإن كانت أمية فإنها تجيد تلاوة القرآن الكريم (١) ، وأنه كان يدرك ما هو مقبل عليه .

وكان بعد ذلك أن بدراً لم ير أباه . إذ غادر شاكر البيت ليعيش مستقلا مع زوجته رزوقه ملاّ علي من قرية عامية ، تاركاً ابناءه الثلاثة في رعاية والديه . وقد رزق من زواجه الثاني ابناً دعاه خالداً وابنتين دعاهما نجاة وحياة (٢) . لكنهم نشأوا جميعاً بعيدين عن بدر وأخويه . ولم يكن شاكر وأفراد عائلته الجديدة يذكرون مجرد ذكر في بيت الجد ، فقد كانوا في الواقع طردى ، وكانت لهم حياة أخرى منفصلة .

كان بدر يحب أباه ، لكن هذا الزواج الثاني الذي أقدم عليه أبوه زعزع فيه حس الاطمئنان . ولم يذكر أن أباه حاول مرة أن يعوض لأبنائه الحب الذي فقدوه بموت أمهم (٣) . ومع هذا فإن مجرد وجوده معهم في البيت كان يمنحهم الثقة والطمأنينة . أما الآن فقد سمح لامرأة أن تأخذه بعيداً عن أبنائه .

وقد تحسنت علاقة شاكر بوالده بعض التحسن فيما بعد ، لكنه مع ذلك ظل يستوحي مصلحة عائلته الجديدة بتأثير زوجته الثانية (٤) . وكان يعمل في مديرية الأموال المستوردة مدة ، ثم صار يعتاش من نصيبه من أملاك والده أو من إشرافه على أملاك عبد الوهاب جلبي العبد الواحد . لكن ابناءه الثلاثة الأولين ظلوا يزدادون اغتراباً عنه .

وفي صيف ١٩٣٨ ، أنهى بدر سنواته الست في الدراسة الابتدائية وكانت علاماته جيدة جداً فعزم جده على أن يعطيه الفرصة ليواصل تعليمه . فألحقه بمدرسة البصرة الثانوية للبنين في خريف العام نفسه (٥) . وسمح له في خلال

---

(١) مصطفى السياب : في الرسالة المذكورة .
(٢) مصطفى السياب : في الرسالة المذكورة .
(٣) مصطفى السياب : في المقابلة المذكورة .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) مصطفى السياب : الرسالة المذكورة .

السنة الدراسية أن يعيش مع جدته لأمه في البصرة ، في قطاع من المدينة يدعى العشّار.

وكان التعليم الثانوي في هذا العهد في العراق يتألف من مرحلتين : الأولى وهي المتوسطة تمتد ثلاث سنوات ويزود الطلاب فيها بثقافة مدرسية عامة ، والثانية وهي الاعدادية تمتد سنتين، وينقسم الطلاب فيها إلى فرعين متخصصين، واحد أدبي وآخر علمي (١) .

وفي غضون ذلك ، كان بدر قد بدأ يكتب الشعر بانتظام بعد ١٩٤١ . كان يكتب الشعر ثم يعيد كتابته ثم يمزق كثيراً مما يكتب (٢) . وكانت موضوعاته وصفاً للمناظر الطبيعية أو الحياة الريفية في القرية ، أو تعبيراً خاماً عن مشاعره في هذه المرحلة . وكان يخامره إعجاب بوفيقة بنت صالح السياب ابن عم جده عبد الجبار (٣) . فقد كانت صبية جميلة في سن الزواج عندما كان بدر يحلم بها أحلام المراهقة الباكرة (٤) . غير أن التقاليد والعادات العائلية كانت تمنعه من أن يغازلها أو يذكرها في شعره . ومع هذا ظلت ولو في الخفاء مثاله الأعلى الممتنع حتى نهاية حياته . وما لبثت وفيقة أن تزوجت ، فتحطمت بذلك أحلامه بها . وأقدم قصائد بدر الموجودة مخطوطة تاريخها سنة ١٩٤١ وعنوانها «على الشاطىء» (٥) كتبها ليعبر عن أساه العميق لضياع أحلام الحب المطويّة .

ولا بد أن يكون بدر قد فخر ببعض قصائده وأراها لمعلميه أو ذويه . وقد بقي قليل من هذه القصائد الأولى ورأيتها مخطوطة بترتيب في دفتر مدرسي ما زال يحتفظ به في البصرة فؤاد طه العبد الجليل أخو زوجة بدر . وهي قصائد خاضعة لقواعد العروض العربي الذي وضع مبادئه علامة البصرة اللغوي الخليل بن أحمد (ت ٧٩١) .

وكان بدر ناجحاً في المدرسة ، وكان من بين الطلاب المبرزين في صفه (٦) .

---

(١) عبد الرزاق الهلالي : «معجم العراق» ، الجزء الأول ، بغداد ١٩٥٣ . انظر فصل «التعليم في العراق».

(٢) مصطفى السياب : الرسالة المذكورة .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٢٢ تشرين الأول ١٩٦٦ .

(٥) راجع الملحق ، ص ٢٥٧ .

(٦) مصطفى السياب : الرسالة المذكورة . كذلك خالد الشواف : في رسالة إلى المؤلف ، بغداد ٣٠ آب ١٩٦٦ .

وكان درسه المفضل اللغة العربية والأدب العربي (١) . أما في بيته في جيكور فقد كان يحاول أن يساعد جده أحياناً برعاية قطيع صغير من الخراف . ولكن يبدو أنه كان يفعل ذلك رغبة منه في مقابلة راعية فتية من القرية بدأ يشعر بميل نحوها لا إحساساً منه بواجب المساعدة لوجه الله . وفي نيسان ١٩٤٣ ، أي بعد حوالي سنتين ، كتب قصيدة عنوانها «ذكريات الريف» يقول فيها (٢) :

تذكرتُ سرب الراعيات على الربا ... وبين المراعي في الرياض الزواهر
ورنات أجراس القطيع كأنهـا ... تنهد أقداح على ثغر شاعر
أقـود قطيعي خلفهـن محـاذراً ... وأنظر عن بعد فيحسر ناظري
وما كنت لـو لم أتبع الحب راعياً ... ولا انصرفتْ نحو المروج خواطري

وهو في هذه القصيدة يروي كيف لاحق راعيته ، وقبّل خرافها لما رآها تقبّلها ، لعله يهتدي إلى تقبيل آثار ثغرها . ثم يصفها وهي تنام على ضفاف النهر ثم تحمل إلى بيتها في المساء حزيمات العشب الذي كان مهاداً لها في الضحى لئلا يفضح السر ويروي أنباء أليفه المعاشر . وقد سألتْه يوماً عن ثقوب يراعته وهي تنصت لعزفه على الناي فقال (٣) :

ألم تعلمـي أن الثقوب نـوافـذ ... تطالعنا منهـا ترانيم زامرِ
وكانت لأنغـام الفـؤاد منابعـاً ... تفيض بسيل من أغانيه غامرِ
فداؤكِ روحي ما ثقوب يراعتي ... جراحٌ تنزت من خطوب قواهر

وهو يروي كذلك في القصيدة نفسها كيف جلس على ضفة النهر في إحدى ليالي الصيف ، فرآها في زورق يسري وقال (٤) :

يسير بمجذافين في النـهر أشبهـا ... ذراعَيْ مشوق مُدّ تا في الدياجرِ
كأن رشاش الماء ــ يعلو ــ أزاهرٌ ... نثرنَ عليها مِن أليفٍ مُسامرِ

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) «إقبال» : بيروت ١٩٦٥ ، ص ٧٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٦ .

وفي شباط ١٩٤٤ كتب بدر قصيدة أخرى عنوانها « أغنية الراعي » يقول فيها (١) :

دعي أغنامنا ترعى حيال المورد العذبِ
وهيا نعتلي الربوةَ يا فاتنةَ القلبِ
فنلقى تحتنا الوديانَ في ليلٍ من العشبِ
خيالانا به طيفٌ من الآمالِ والحبِ

ثم يدعوها إلى كوخ سيبنيه تحت الغصون بجانب النبع تلتقي فيه الشفاه في القبلة الأولى ويعيش فيه الحبيبان سعيدين . وكتب بدر بعد ذلك في ١٩٤٤ قصيدة عنوانها « رثاء القطيع »(٢)أهداها إلى «الراعية» وفيها يرثي قطيعها ويعزيها عنه ثم يدعوها إلى شيء من الأمل والبشر .

ويبدو أن هذا كان الحب الأول في حياة بدر بعد زواج وفيقة . وكانت الراعية تدعى هالة (٣) وهو يدعوها باسمها في قصيدة كتبها بعد حوالى عشرين سنة (٤) . وقد كان هذا الحب نزوة بريئة من نزوات المراهقة مفعمة بالمثالية والمواقف العاطفية .

وفي غضون ذلك كانت الحرب العالمية الثانية قائمة على قدم وساق . وكان النازيون منتصرين في جميع أنحاء أوروبا ، وقد بدأوا يوجهون أنظارهم شرقاً . وكان الشرق الأوسط يفور بالمشاعر المعادية لبريطانيا ، وكان النازيون يشجعون ذلك في حملات دعائية مركزة . ويبدو أنهم كانوا قد قرروا أن يخلوا منطقة الشرق الأوسط من نفوذ الحلفاء ليمنعوا وصول أية مساعدة من الجنوب إلى روسيا التي كانوا يعتزمون غزوها فيما بعد (٥) . وفي نيسان ١٩٤١ قام رشيد

---

(١) المصدر نفسه . ص ٨٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩١ .
(٣) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ٢٣ نيسان ١٩٦٦ ، وفي رسالة أخرى ، بيروت ٦ حزيران ١٩٦٦ .
(٤) «المعبد الغريق» ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ٨٧ . وكذلك «شناشيل ابنة الجلبي» ، ص ٧٨ و ٧٩ .
(٥) Sir John Bagot Glubb: Britain and the Arabs. London, 1959. pp. 237-238.

عالي الكيلاني بانقلاب في العراق ، وعزل المجلس الوطني الأمير عبد الإله الوصي على العرش الذي كان قد هرب من البلاد مع العائلة المالكة وعدد من السياسيين العراقيين بينهم نوري السعيد . وقد كانت هذه الأيام ، ولا بد ، مثيرة لحماسة بدر، اذ كان في العاشرة من عمره عندما حدث الانقلاب العسكري الأول في العراق سنة ١٩٣٦ . أما الآن فقد كان باستطاعته أن يفهم الأمور السياسية ، إذ كانت قراءاته المدرسية ومطالعاته الصحفية قد كوّنت لديه وعياً سياسياً حاداً . وكانت المدارس الثانوية إذ ذاك عاكفة في برنامج قومي على خلق شعور بالوحدة والعزة في مواطني الغد . ولا بد أن يكون الشعور المعادي لبريطانيا قد ماج في قلب بدر كما كان يموج في قلوب غيره من العراقيين ، فشعر مثلهم بأن التسهيلات التي منحتها معاهدة ١٩٣٠ لبريطانيا على أرض العراق إنما هي إهانة صريحة للكرامة القومية وقيد صارخ للسيادة الوطنية .

لكن العمليات العسكرية التي قامت بين الجيش العراقي والقوات البريطانية التي وصلت البلاد من الهند وشرق الأردن انتهت بسقوط نظام الكيلاني في نهاية أيار ١٩٤١ ، وعودة العائلة المالكة إلى العراق (١) . غير أن منظر القوات البريطانية وهي تنزل إلى البصرة في ١٨ نيسان ١٩٤١ ملأت قلب بدر بالمرارة ، واحتلالها منطقة الميناء في المعقل ومحطة القوة الكهربائية ، ثم نزعها السلاح بعد ذلك من قوات الشرطة العراقية المقاومة لكي تحتل العشار في ٧ أيار ١٩٤١ — كل ذلك لا بد أن يكون قد ترك في قلب بدر حقداً يمكن تقديره . وقد وجدت بين أوراقه قصيدة غير منشورة بخطّه تاريخها ١٩٤٢، يرثي فيها ثلاثة من زعماء الانقلاب الذين شنقوا ، وهم يونس السبعاوي وزير الاقتصاد ، وفهمي سعيد ومحمود سلمان من قواد الجيش الأربعة . وفي هذه القصيدة ، وعنوانها «شهداء الحرية » ، يقول بدر (٢) :

" رجال أباة عاهدوا الله أنهم ... مضحون حتى يرجع الحق غاصبُه
أراق عبيد الأنكليز دماءهم ... فيا ويلهم ممن تخاف جوالبه
أراق عبيد الإنكليز دماءهم ... ولكنّ دون الثأر مَنْ هو طالبه
أراق ربيب الإنكليز دماءهم ... ولكنّ في برلين ليثا يراقبه

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ — ٢٤٨ .

(٢) راجع الملحق، ص ٢٥٨ .

رشيد ويا نعم الزعيم لأمّـــة يعيث بهـا عبدالإله وصاحبه
لأنت الزعيم الحـق نبهتَ نوّماً تقاذفهم دهـر تـوالت نوائبه

وعلى الرغم من أن إجادته للوزن حسنة في هذه القصيدة ، إلا أن اختياره للألفاظ فيه شيء من العنت والالتواء .

في خريف ١٩٤١ دخل بدر المرحلة الأخيرة من تعليمه الثانوي بعد أن أنهى المرحلة المتوسطة . وقد اختار الفرع العلمي (١) على الرغم من أن الآداب كانت تحمل له من الجاذبية ما تحمله العلوم أو يزيد . بيد أنه تابع كتابة الشعر ووجد تشجيعاً على ذلك من قراءة شعره على طلاب المدرسة في حفلات أدبية كانت تقام بين الفينة والفينة (٢) . وقد آنس تشجيعاً أعظم من مجموعة من الطلاب ذوي الميول الأدبية المتشابهة كانوا يكتبون الشعر والقصة والنقد . منهم خالد الشواف ، ومحيي الدين إسماعيل ، وصالح فاضل ، ومحمد علي إسماعيل ، ومحمد نوري سلمان ، وعبد الرزاق الريّس ، وعبد الرحمن الرماح ، وبدر نفسه (٣) . وكتب محمد محمد الحبيب وكان عضواً آخر في المجموعة يقول إنهم كانوا يستمعون إلى قصائد بدر الأولى ويشعرون على الرغم من صغر سنّهم بأن شاعراً كان يولد بينهم سوف يهزّ القلوب والعقول والضمائر (٤) .

في غضون ذلك كان بدر يزداد شعوراً بقبح منظره وهو يمر بمرحلة المراهقة . فقد كان ضئيلا ، قصير القامة ، ضعيف البنية . وكان أسمر البشرة ، ذا شعر كثيف أسود فاحم . وكانت أذناه كبيرتين وبارزتين إلى الجانبين كأنهما يدا إبريق . وكانت جبهته الضيقة تساعد على جعل وجهه الطويل الناحل يبدو قاصر النمو . ولم يكن فمه العريض ليخفي أسنانه الكبيرة النائتة قليلا ، فقد كانت تسيطر على أدنى افترار لشفتيه . وكانت ذقنه الصغيرة الحادّة تحت أنفه الطويل تبدو مثل نقطة تحت علامة التعجب ! إنه لم يكن وسيماً (٥) ، بل إنه في دخيلة نفسه كان يعتقد أنه

---

(١) خالد الشواف : في رسالة إلى المؤلف ، بغداد ٣٠ آب ١٩٦٦ ، وكذلك خالد الشواف : مجلة «الكلمة» ، بغداد ، كانون الثاني ١٩٦٨ ، ص ٤ .
(٢) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ٢٣ نيسان ١٩٦٦ .
(٣) مصطفى السياب : المصدر السابق . وكذلك محيي الدين اسماعيل : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ٥ آب ١٩٦٦ ، وخالد الشواف : المصدر السابق .
(٤) «مجلة الأديب» ، بيروت ، حزيران ١٩٦٥ ، ص ٥٦ .
(٥) مصطفى السياب : المصدر نفسه .

قبيح . غير أن قلبه كان يتفتح للحب والجمال . وكانت راعية جيكور التي أحبها تلهم أكثر شعره الأول وتمنحه متنفساً لرغبته في تحقيق ذاته . وكانت محبة جدته لأبيه أمينة تمنحه العزاء والطمأنينة والعطف . ولكنه لم يلبث أن فقدها ، فقد توفيت في أوائل أيلول ١٩٤٢ ، فجعله موتها وحيداً مستوحشاً . وكتب في رثائها قصيدة يقول فيها (١) :

جدتي ! من أبثّ بعدك شكـوا ... يَ ؟ طواني الأسى وقلّ معيني
أنت يا من فتحتِ قلبكِ بالأمـ ... سِ لحبي أوصدت قبرك دوني
فقليـلٌ علـيّ أن أذرف الـدمـ ... ـعَ ويقضي عليّ طولُ أنيني

وكان جد بدر يعاني مصاعب مالية في هذه الآونة . فقد جعلت أحوال الحرب كثيرين من المدينين الذين كفلهم عاجزين عن دفع ديونهم ، فكان عليه أن يسدّدها . وكانت مواسم التمر لا تساعده دائماً على الوفاء بعقود البيع المؤجل التي كان يبرمها . وفضلا عن ذلك ، كان يخسر في كثير من تعهداته بالتزام نخيل سيمون كاربيان ، فيعمد إلى اقتراض المال بفوائد باهظة . ولم تجده نفعاً في تسديد ديونه تلك الحملات العنيفة التي كان يشنّها ابنه عبد القادر في جريدته « الناس » الصادرة في البصرة ، ويهاجم فيها سيمون كاربيان وغيره من مالكي غابات النخيل وأصحاب مكابس التمر والتجار والمرابين . فقد كان صغار الملاكين في الحقيقة تحت رحمة كبار المستغلين يستبدون بهم كيف يشاءون ، واضطرّ جدّ بدر أن يبيع شيئاً من أملاكه كي يسدّد ديونه (٢) .

وكان بدر يشعر بالظلم واستغلال القوي للضعيف. وكان يشعر بأن اختلالا يسود النظام الاجتماعي والاقتصادي في العراق . وكانت طبيعته المثالية تصوّر له مجتمعاً يعيش فيه الناس متساوين يتعاون بعضهم مع بعض بسلام . وكانت تربيته الأكاديمية الصرف تؤيد هذه التصورات وهذه الميول في فكره . فقد كانت التربية في العراق في هذا الوقت ، كثيرة التعلق بالأمور النظرية والأكاديمية وقليلة الاهتمام بالحياة العملية . وكانت العلوم تدرّس بدون كثير عناية بوسائل الايضاح المختبرية ، وكانت الأشغال اليدوية لا تمثل إلا مكانة ضئيلة في المناهج المدرسية ،

---

(١) «إقبال» : «رثاء جدتي» ، ص ٧٨ — ٨٠ .
(٢) مصطفى السياب : في رسالتيه إلى المؤلف ، بيروت ٢٣ نيسان ١٩٦٦ و ٦ حزيران ١٩٦٦ .

وكادت النشاطات الخارجية واللامنهجية أن تكون معدومة ، مما جعل الجيل الناشىء قليل الصبر والحيلة ، وعرّض أحكامه السياسية لسلطان العواطف والأهواء(١) .

غير أن تذمرات الشباب لم تكن كلها بدون مبرر حقيقي . وكان لبدر فوق ذلك أسباب شخصية جعلته يشعر أن أسرته كانت عرضة للظلم والاستغلال بصورة خاصة . كان يشعر أن الحياة قد ظلمته إذ فقد أمه ،وخسر أباه ، وماتت جدته ، وكان قد بدأ يدرك أنه لم يكن وسيماً . والآن تأتي ظروف لتجرد جدّه بشرعية من بعض أملاكه الموروثة عن الأجداد . إن مثل هذا الموقف ليستدعي الثورة من أي إنسان أقل حساسية من بدر . لكن الثورة غارت في أعماق روحه لتتدلع فيما بعد كشواظ النار من البركان عندما أضيف اليها المزيد من الضغط المخزون .

---

(١) Stephen Hemsley Longrigg and Frank Stoakes: Iraq. London, 1958 pp. 176-177.

الفصل الثاني
المرحلة الرومنطيقية

في صيف ١٩٤٣ أنهى بدر دراسته الثانوية ، وتخرج من مدرسة البصرة الثانوية للبنين . كان في السابعة عشرة من عمره لكنه لم يكن له من الخبرة في الزراعة ما يمكنه من العودة إلى جيكور ليواصل عمل اجداده في الأرض . وكانت المدينة فضلا عن ذلك تقدم له من فرص النشاط الفكري وغيره ما لم تكن القرية قادرة على مضاهاته . وهكذا قدر له أن يكون من جموع الريفيين الذين تجتذبهم المدينة . غير انه لم يكن ذا ثقافة تمكنه من اتخاذ مهنة متخصصة في المدينة . ولم يكن يريد أن يقبل عملا مكتبياً تافهاً أو وظيفة عادية عامة ، ولم يكن كذلك راضياً بالمستوى العلمي الذي حصل عليه . لذلك قرر أن يلتحق بإحدى موسسات الدولة المجانية للدراسة العالية لأن أسرته لم تكن قادرة على إرساله خارج البلاد لهذه الغاية . فتقدم بطلب إلى دار المعلمين العالية ببغداد فقُبل طلبه .

وكانت دار المعلمين العالية هذه تقدم منذ ١٩٣٩ دراسة عالية مدتها أربع سنوات لإعداد الطلاب للتعليم في المدارس الثانوية . وكانت قد بدأت في ١٩٢٣ كمدرسة ليلية ، مدة الدراسة فيها سنتان ، ثم تحولت إلى مدرسة نهارية في ١٩٢٧ . وفي ١٩٣٧ أصبحت مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات بعد أن كانت الدار قد أغلقت من ١٩٣١ إلى ١٩٣٥ (١) . وقد ضمّت منذ ١٩٥٨ إلى جامعة بغداد وأصبحت كلية التربية فيها .

وكان في دار المعلمين عندما التحق بدر بها في ١٩٤٣ خمسة فروع . وكان على الطالب أن يختار الفرع الذي سيتخصص فيه منذ السنة الأولى ، بالاضافة إلى

---

(١) عبد الرزاق الهلالي : «معجم العراق» ، الجزء الأول ، بغداد ١٩٥٣ ، أنظر فصلا عنوانه «دار المعلمين العالية» ، ص ٢٤٤ .

المحاضرات العامة المشتركة بين الفروع الخمسة . أما هذه الفروع فهي : فرع اللغة العربية ، وفرع اللغة الإنكليزية ، وفرع الاجتماعيات ، وفرع العلوم ، وفرع الرياضيات (١) . وكان التعليم فيها مجانياً ، وكان في الدار منزل للطلاب الداخليين .

وقد أقام بدر في القسم الداخلي والتحق بفرع اللغة العربية في دار المعلمين (٢). وكانت هذه هي المرة الأولى التي يبتعد فيها عن بيته وذويه هذا البعد الكبير . فشعر بالوحدة والغربة في مدينة واسعة لا يعرف فيها أحداً . وقد امتزج في نفسه حنينه إلى جيكور بحنينه إلى الراعية هالة التي كان لا بد له أن يفارقها . وفي آب ١٩٤٣ كتب «أغنية السلوان» (٣) وفيها يحاول أن يبرر فراق المحبين وكأنه سنّة الحياة :

وكنّا لوحتي نافذة في هيكل الحبّ
فلو لم نفترق لم ينفذ النور إلى القلب
وكنّا كجناحيْ طائرٍ في الأفق الرحب
فلولا النشرُ والتفريقُ لارتدّ إلى الرّبِ
ولو لم نبتعد لم تسمُ نفسانا عن الذنبِ
وكنّا شفتيْ هذا القضاء مفرّق الصحْبِ
فلو لم ننفرجْ لم تضحكِ الأقدارُ من كربي !

وفي كانون الأول ، كتب «تحية القرية». (٤) وفي هذه القصيدة يحاول أن يستعيد ذكرى مشاهد جيكور الجميلة والهدوء الذي تبسطه على روحه . لكن بدراً أخذ يتعرف على بغداد شيئاً فشيئاً ويكسب بعض الأصدقاء في دار المعلمين وخارجها . ومع هذا فقد كان يحب أن يقضي وقته في القراءة . كان يجلس وحيداً في مقهى ابراهيم عرب في منطقة الكرنتينة ، وأمامه دواوين مختلفة من الشعر يطويها عند مجيء صديق له ويفتحها عند ذهاب الصديق (٥). ولم يلبث أن تعرف إلى حلقة صغيرة من الأصدقاء الذين كانوا يجتمعون لبحث الأدب أو السياسة ،

---

(١) المصدر نفسه. وكذلك ياسين البريثي : في رسالة إلى المؤلف ، القدس ١ حزيران ١٩٦٦ .
(٢) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ٢٣ نيسان ١٩٦٦ .
(٣) «إقبال» : «أغنية السلوان» ، ص ١٠٢ — ١٠٤ .
(٤) «إقبال» : «تحية القرية» ، ص ٧١ — ٧٢ .
(٥) محمود البطة : «بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق» ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ٨ .

والاحتفال بالاحداث الأدبية . وقد كتب محمود العبطة أحد أعضاء هذه الحلقة يصف بدراً وهو يلقي الشعر فيها للمرة الأولى فقال : « وأخذ يقرأ شعراً من أنماط شتى بأسلوب مؤثر وحركات غريبة ، إذ كان يندمج في جو شعره اندماجاً عجيباً ويؤثر إشارات تفصح عن قلبه (١) . » ثم يروي كيف قبّل الشاعر هادي الدفتر بدراً بعد انتهائه من الإلقاء ، وكيف صافحه الأديب خضر الطائي وطلب اليه عبد الرحمن البناء أن يجلس بقربه .

وفي مقهى الزهاوي قابل بدر عدداً من رجال الصحافة والأدب فشجعوه . وكان ناجي العبيدي واحداً منهم وهو صاحب جريدة «الاتحاد» ، ، وكان أول من نشر شيئاً من شعر بدر في بغداد (٢) .

وفي الأماسي والعطل ، كان بدر يحب أن يخرج ليتمشى مع صديق في شارع الرشيد ، ثم يجلس في مقهى البلدية القديمة ليسمع آخر أغاني أم كلثوم وعبد الوهاب (٢) . وكان يحب كذلك أن يجلس في مقهى مبارك وأمامه قدح من الشاي يرتشف منه رشفة بين الفينة والفينة ثم يعود إلى قراءة ديوان ابي تمام أو البحتري أو المتنبي (٣) .

وفي غضون ذلك ، كان هتلر في قمة جبروته ولم يكن بعد قد بدأ انحداره الوبيل نحو الهزيمة . ولم يملك هؤلاء الشبان الذين كانوا يجتمعون في المقاهي إلا أن يتحدثوا عن مجازر الحرب وأهوالها وآخر تطوراتها العسكرية وعن غلاء المعيشة الذي كانت تسببه . وكان وطنهم العراق قد دخل الحرب في أوائل ١٩٤٣ إلى جانب الحلفاء . وكانوا ينقسمون على أنفسهم أحياناً ، فيؤيد فريق منهم النازيين بينما يؤيد آخر الحلفاء . أما بدر فكان يحتفظ بهدوئه ، فإذا ما احتدم النزاع بين الفريقين استأذن وانسحب إلى القسم الداخلي في دار المعلمين (٣) .

وكان من أصدقاء بدر في هذا الوقت عدد من المهتمين بالشعر ممن أصبح ذا مكانة أدبية فيما بعد ، مثل بلند الحيدري وسليمان العيسى وإبراهيم السامرائي (٤) . وكانوا كثيراً ما يجتمعون للتباحث في آخر ما أنتجوا . وكانوا أحياناً يشتركون في نشاطات دار المعلمين الأدبية . وفي بعض المناسبات ، كان بدر يذهب إلى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧ — ٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩ .

(٤) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ٢٣ نيسان ١٩٦٦ .

مقهى واق الواق البعيد ليجتمع للغاية نفسها بجماعة كانت تدعو نفسها «جماعة الوقت الضائع» ، أسسها بلند الحيدري (١) .

وعلى الرغم من أن التعليم في دار المعلمين كان مشتركاً بين الجنسين منذ السنة الدراسية ١٩٣٦ — ١٩٣٧ حين قبلت خمس عشرة فتاة (٢) ، فإن العلاقات الاجتماعية بين الجنسين في الدار ظلت متأزمة (٣) . ذلك أن الجنسين جاءا للدار بالقيم التقليدية السائدة في المجتمع ، وإن كانا في دخيلة النفس يرغبان في زوال تلك القيم التي تحد من حرية الفرد . وكان الصراع بين القيم الجديدة والقديمة يسبب تعقيدات مختلفة انعكست في العلاقات الاجتماعية بين الجنسين على درجات متفاوتة من الحدة ، تبعاً للاختلافات الفردية في الطباع والعادات .

وكان بدر عندما جاء إلى دار المعلمين فتى حساساً في السابعة عشرة من عمره جردته الظروف من محبة الأم والأب ، وأفقدته جدته مؤخراً ، وفرّقتْ بينه وبين حبيبته الراعية . وكان ثائراً على الأغنياء الذين يستغلون الفقراء وعلى أنه لم يكن وسيم الطلعة . لكن قلبه كان شعلة من الرغبة في أن يكون محبوباً مطلوباً . وكان في الدار فتيات كثيرات في متناول اليد ، وكان بعضهن جميلات جداً . لكن العادات لم تكن تسمح له أن يقترب من إحداهن ليحادثها . كان يستطيع أن يتباحث معهن مثلا حول المحاضرة الأخيرة التي اشترك معهن في الاستماع اليها ، أو كان يستطيع أن يسألهن عن المحاضرة التالية . لكنه لم يكن ليستطيع أن يقدم بمثل هذه السهولة على حديث مع إحداهن حول شؤون القلب .

وكانت هناك واحدة كان يشعر نحوها بجاذبية خاصة . وكان اسمها لبيبة ، وكانت تكبره بسبع سنوات (٤) . وكانت تحب أن تلبس منديلا أحمر على رأسها أو حول عنقها . وفي أحد أيام كانون الثاني ١٩٤٤ ، رآها تجلس على جدول في حديقة . وإذ نظر إلى ظلها في الماء التقت عيناه عينيها على حب جميل . فكتب قصيدة عنوانها «خيالك» (٥) أهداها «إلى لبيبة ذات المنديل الأحمر» وفيها يقول :

---

(١) بلند الحيدري : في مقابلة مع المؤلف ، بيروت ١٩ كانون الثاني ١٩٦٧ .

(٢) عبد الرزاق الهلالي : «معجم العراق» ، الجزء الأول ، ص ٢٤٤ .

(٣) صبري حافظ : «غريب على الخليج يغني للمطر» ، مجلة «الآداب» ، بيروت ، شباط ١٩٦٦ ، ص ١٩ .

(٤) ناجي علوش : في مقدمة «إقبال» ، ص ٨ .

(٥) «إقبال» ، «خيالك» ، ص ٨١ — ٨٣ .

تمنيتُ لو كنتُ ريحاً تمرّ — على الظلّ وهي فلا تُعْذَل
ويستأسر الموجَ إغراؤها — وترديدها النائحُ المرسل
وتمضي وتمضي به للسماء — غماماً بأرجائها يرفُل
فأخلو بظلك بين النجوم — وقد جال فيها الدجى المسبَل
ففي كل تقبيلة نجمة — تغوّر أو كوكبٌ يُذهل
خيالكِ من أهلي الأقربينَ — أبرّ ، وإن كان لا يَعقل
أبي ... منه قد جردتني النساء — وأمي ... طواها الردى المعجل
وما لي من الدهر إلا رضاكِ — فرحماك فالدهر لا يعدل

وإنه لذو دلالة أن تكون الفتاة التي انجذب اليها بدر في هذه المرحلة أكبر منه بسبع سنوات ، أي أنها كانت في سن والدته حين فاجأها الموت . وإنه لذو دلالة كذلك أن يخاطب صورتها ، فقد رآها في الماء فقط ، أي بطريقة غير مباشرة ، فودّ لو يطير معها بين النجوم . إنه بذلك كان يضع نفسه بغير شعور واع في حالة حب مستحيلة ، حتى إذا فشل حبه ازدادت مرارته . ذلك أن حبه للبيبة قد فشل على الرغم من القصائد الكثيرة التي نظمها فيها (١) . وعندما تذكرها بعد حوالى عشرين سنة قال (٢) :

وتلك ... لأنها في العمر أكبرُ أم لأن الحُسْنَ أغراها
بأني غير كفء ، خلّفتني كلما شرب الندى ورَقُ
وفتّح برعمٌ مثّلتُها وشممتُ ريّاها ؟

وفي غضون ذلك كان بدر يزداد بشعره شهرة في دار المعلمين . وكان كثيراً ما يرى وهو يقرأ شعره في خلوة لفتاة أو اثنتين في مكان منزو في دار المعلمين . وكانت مجموعته الشعرية تزداد حجماً إذ كان يكتب قصائده بترتيب في دفتر مدرسي . وكانت الفتيات يستعرن ديوانه ليقرأنه، فكان يتمنى أن يكون هو الديوان نفسه كي يدخل مخادعهن . وفي آذار ١٩٤٤ ، نظم قصيدة بهذا المعنى أصبحت

---

(١) انظر خاصة قصيدة عنوانها «اسم لباب» في مجموعة بدر شاكر السياب «أزهار ذابلة» ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٣٠ .

(٢) «شناشيل ابنة الجلبي» : «أحبيني» ، ص ٦٠ .

محببة مفضلة لدى الطلاب (١) . وفي نيسان نظم قصيدة أخرى يعبر فيها عن مشاعره لدى عودة الديوان من تجواله بين العذارى (٢) . ولكنه بدأ يشعر أن حبه مجرد كلام فقط . فكتب قصيدة عنوانها «شاعر» (٣) وفيها يقول :

غنى ليصطاد حبيباتـه فاصطاد أسماء حبيباتـه

وكان منذ مدة قد بدأ يقرأ بعض قصائد بودلير المترجمة من ديوانه «أزهار الشر» ، فأعجبه ما فيها من مشاعر الشاعر الفرنسي ذات الطابع الحسي الذي وقع في نفسه المراهقة . وكان يقرأ كذلك «أفاعي الفردوس» للشاعر اللبناني الياس ابو شبكه (ت ١٩٤٧) وفيها إكثار من وصف الخطيئة والشهوة . وكان أيضاً يقرأ للشاعر المصري علي محمود طه (ت ١٩٤٩) فيتأثر بقدرته اللفظية على التعبير عن مشاعر الترف والبذخ واللذة . فقرر أن يطلق العنان لمشاعر مشابهة كان يحاول كبتها ، فيسجل بعض تجاربه الخاصة مع البغايا اللواتي كان قد بدأ يزورهن مؤخراً في مبغى بغداد (٤) . وكتب قصيدة طويلة تناهز الألف بيت عنوانها «بين الروح والجسد» وأهداها إلى روح الشاعر بودلير . ثم أرسلها فيما بعد إلى علي محمود طه مع طالب بصري اسمه فيصل جري السامر ، وكان يستعد آنذاك للدكتوراه في مصر . وكان بدر يأمل أن يكتب لها الشاعر المصري مقدمة تنشر معها . لكن علي محمود طه ما لبث أن توفي ، ويبدو أن القصيدة ضاعت ، وقد نشر منها خمسة عشر بيتاً في مجموعة بدر «إقبال» التي ظهرت بعد موته (٥) كما وجد مؤخراً ما يقارب المئة بيت منها مع بعض الأصدقاء (٦) وأراني إياها في البصرة فؤاد طه العبد الجليل ، أخو إقبال زوجة الشاعر . ويلاحظ في القصيدة صراع بين الروح والجسد ، وإن كان المنشور منها يختلف قليلا عن المخطوطة الأصلية .

---

(١) «أزهار ذابلة» : «ديوان شعر» ، ص ٥ — ٨ وأعيد طبعها مع بعض التغير والحذف في «أزهار وأساطير» ، بيروت (١٩٦٣) ، ص ١٤٨ — ١٥٠ .

(٢) «إقبال» : «عودة الديوان» ، ص ٩٤ — ٩٧ . وقد أرخت خطأ ١٩٤١/٤/١٢ ، فذلك القسم من الكتاب يحتوي على قصائد ١٩٤٢ و ١٩٤٣ و ١٩٤٤ حسب الملاحظة على صفحة ١١٠ .

(٣) «إقبال» : «شاعر» ، ص ١٠١ .

(٤) محمود العبطة : «بدر شاكر السياب» ... المصدر المذكور ، ص ٧٥ .

(٥) «إقبال» : ص ٨٨ — ٩٠ .

(٦) انظر الملحق ، ص ٢٦٠ .

وفيها يعبر بدر بعنف عن جوع جسده الجنسي ويضع جانباً كل الاعتبارات الخلقية، لكن ضميره في النهاية يستيقظ لجمال الطهر والعفة .

وبين هذين القطبين ، حبه العذري وشهوته الجنسية ، ظل بدر يضطرب على بحر العواطف وهو يفتش عن ميناء الخلاص بلا نجاح . وقد أصبحت دراساته كريهة في نظره لأنها تحد من وقت فراغه الذي كان يحب أن يقضيه متنعماً بشبابه . وفي قصيدة «السجين» (١) التي كتبها في نيسان ١٩٤٤ ، اعتبر الكتاب سجنه والسطور أغلاله ، وندب ضياع حياته في ظلمة الكتب الميتة . ولكنه بالنسبة لمعلميه كان يبدو مجتهدا . لكنه على الرغم من هذه النتيجة الحسنة لم يكن بدر راضياً في فرع اللغة العربية بدار المعلمين . وبدأ يفكر في الالتحاق بفرع اللغة الانكليزية في السنة التالية . ولعله كان يشعر أن التغيير قد يضمن مستقبله لأن الحاجة إلى معلمي الانكليزية أمسّ منها إلى معلمي اللغة العربية . ومن ناحية ثانية ، كانت مطالعاته في الأدب الانكليزي قد زادت رغبته في تعرّض أوسع للفكر الغربي . ويقول زميله في الصف الشاعر السوري سليمان العيسى إن بدراً كثيراً ما كان يسأله أن يترجم له بعض الشعر الفرنسي الذي كان يقرأه ، كشعر لامرتين ودي موسيه وهيغو وفرلين، ولاسيما بودلير (٢) .

كان أفق جديد قد بدأ يتفتح له ، وكان بدر يريدَ أن يجعله جزءاً من مجال رؤيته . فلم يعد يرى في أوقات فراغه مع ابني تمام والبحتري والمتنبي ولكن مع مسرحيات شكسبير ودواوين الشعراء الرومنطيقيين وخاصة وردزورث وبايرون وشلي وكيتس (٣) . وقد وجدت بين أوراقه غير المنشورة أربع قصائد تاريخها ١٩٤٤ مهداة «إلى روح الشاعر وردزورث» وواحدة «إلى روح شاعر الطبيعة وردزورث» . لكن بدراً لم يقطع صلته تماماً بشعرائه العرب المفضلين ، ولم يفقد اهتمامه قط بالحركة الأدبية الجارية في العالم العربي . فقد كان يقرأ الجرائد ويستمع إلى الراديو بانتظام ليظل على علم بمجرى الأمور . وكانت مجلة «الأديب» البيروتية الشهرية رفيقه الدائم (٤) . وكانت هذه المجلة الأدبية التي أسسها ألبير أديب في ١٩٤٢ تستقطب الجيل الجديد من الكتاب والشعراء في العالم العربي وتزداد نفوذاً في الأوساط الأدبية . وكانت تقدم للقراء عدداً من الشعراء الجدد

---

(١) «إقبال» : «السجين» ، ص ١٠٧ – ١٠٩ .
(٢) سليمان العيسى : في رسالة إلى المؤلف ، حلب ٢٦ تموز ١٩٦٦ .
(٣) المصدر نفسه . وكذلك محمود العبطة ، ص ١٠ .
(٤) محمود العبطة : ص ١٠ .

وكتاب القصة القصيرة والنقاد ، ممن أصبح لهم شأن في تغيير الأذواق الأدبية المعاصرة . وكانت المجلة تتجنب الخوض في السياسة وتلتزم نهجاً حيادياً فيها .

وكانت الحرب العالمية الثانية قد قاربت على نهايتها .. وكان الحلفاء منتصرين في الشرق الأقصى وفي أوروبا.وكان الاتحاد السوفياتي قد أقام علاقات دبلوماسية مع العراق في أيلول ١٩٤٤ ، وكان يستحوذ على إعجاب الكثيرين من شباب العراق والأقطار العربية الأخرى ، خصوصاً لأنه استطاع في ربع قرن أن يجعل من نفسه دولة حديثة قوية . فكان بذلك يشير إلى الطريق الذي يمكن للشباب السير فيه لرفع شأن وطنهم العربي . وهكذا استطاعت الشيوعية أن تجد طريقها إلى قلوب كثيرين منهم ، إذ بدت لهم الدواء السحري الذي سيقضي على كل أدواء بلادهم . واستغل الاتحاد السوفياتي هذا الوضع ، وأفاد منه مثل ما أفاد من جاذبية إنجازاته وانتصاراته . وشن حملة دعائية قوية في الشرق الأوسط . فعادت إلى الحياة والنشاط هيئات شيوعية عربية كانت ميتة أو عديمة الجدوى في العشرينات والثلاثينات . لكن الشيوعية اتخذت الآن تكتيك الجبهة الشعبية في محاولاتها الدولية لاكتساب التأييد لاستراتيجيتها ضد النازية ، وفيما بعد لسياستها ضد الغرب . وانتهز الاتحاد السوفياتي فرصة كونه من الحلفاء في الحرب ليقوم بنشاطات في بلاد الشرق الأوسط ، لم تكن مسموحة لولا ذلك . فاخترق الشيوعيون صفوف المثقفين والعمال في مدن الشرق الأوسط الكبرى . وسمح لهم بنشر جرائدهم ومجلاتهم فلاقت رواجاً بصورة خاصة بين الشباب لأنهم بطبعهم ميّالون إلى الطفرة ، نزّاعون لقبول التغيير ، سبّاقون إلى الغايات المثالية . وقد استطاع الشيوعيون أن يجتذبوا عدداً كبيراً من الشبان المتحررين في الشرق الأوسط والسياسيين المعادين للغرب إلى مؤسسات تحمل أسم «عصبة التحرر الوطني» وما شابه .

وعلى الرغم من أن الشيوعية كانت قد مُنعت قانونياً في العراق منذ ١٩٣٨ ، إلا أنها ظلت تعمل في الخفاء . وقد حاول أتباعها كل ما في استطاعتهم للتأثير في نقابات العمال التي بدأت تظهر في الاربعينات . وفي أواخر سني الحرب كانت قد تقدمت بصورة ملحوظة في بغداد والمدن الرئيسية الأخرى في العراق. وكانت « رابطة الشيوعيين العراقيين» تجتذب أعضاءها من طبقات المثقفين بقيادة المحامي داود الصايغ . أما « الحزب الشيوعي العراقي » فكان يقوده يوسف سلمان الذي كان يعرف بالرفيق فهد ، وكان يصدر صحيفة سرية اسمها «القاعدة». وقد استطاعت حركته أن تجتذب الأتباع بين الفقراء والناقمين على الحكم ، ولاسيما بين الأقليات . وكانت الاجتماعات السرية والمنشورات والأحاديث

بين العمال والطلاب أهم وسائلها للوصول إلى الجماهير .

وكان بين أصدقاء بدر وأقاربه بعض الذين اجتذبتهم الشيوعية في العراق . فلم يلبث أن استهوته هو أيضاً ، فأصبح عضواً في الحزب الشيوعي العراقي (١) . وغدا العالم بالنسبة له منقسماً إلى أقطار استعمارية رأسمالية وأخرى ديمقراطية اشتراكية ، وغدا المجتمع في تصوره منقسماً إلى برجوازية غنية مستغلّة وبروليتاريا فقيرة مستغلة ، وغدت الثقافة في نظره إما يمينية رجعية أو يسارية تقدمية . وكان يحب أن يجد نفسه مع الفريق الثاني من هذه التناقضات ويشعر بمسؤولية قلب نظام الأشياء وتصحيح سير التاريخ . وكان يشعر صادقاً بفداحة الظلم المتأتي من توزيع الثروة والسلطة في مجتمعه ، ويؤمن مخلصاً بعدالة الموقف اليساري بل وبضرورته . وقد وجد بين رفاقه الشيوعيين ذلك الانتباه الذي كان يحتاج اليه وذلك الإقبال الذي كان يمنحه الرضى عن نفسه وذلك الشعور الأخوي بالتضامن الذي كان يضع لحياته غاية يسير إليها .

وقد ركز بدر على الدراسة وطالع مطالعة واسعة في مكتبة الدار . وعند نهاية العام عزم على أن يترك فرع اللغة العربية ويلتحق بفرع اللغة الإنكليزية في دار المعلمين . وقد قال فيما بعد انه شعر انه لم يكن لدى أساتذته في فرع اللغة العربية مزيدٌ من المعرفة يمكنهم تقديمه له أو يحتاج هو اليه (٢) . ومع هذا فقد كان بعض هؤلاء الأساتذة علماء لامعين كالدكتور محمد مهدي البصير والدكتور مصطفى جواد والأستاذ طه الراوي (٣) . ومهما يكن من أمر ، فإن نتائجه للسنة الدراسية ١٩٤٤ — ١٩٤٥ كانت أفضل منها في العام السابق .

وكانت الحرب العالمية الثانية قد انتهت بعد انهيار ألمانيا في أيار ١٩٤٥ واليابان في آب ١٩٤٥ عندما عاد بدر إلى الدار في الخريف بعد عطلة صيفية قضاها مع أهله في الجنوب ليبدأ عامه الدراسي الثالث . كان العالم لا يزال مندهشاً للتدمير الذري الذي تعرضت له هيروشيما وناكازاكي . وكانت جامعة الدول العربية قد دخلت حيز الوجود في آذار ١٩٤٥ . وكانت قضية فلسطين ولا تزال أهم قضاياها الشائكة . وكان الشعب العراقي يتململ بتزايد إزاء الشروط المهينة المفروضة عليه في معاهدة ١٩٣٠ العراقية البريطانية ، وكان يمنح تأييده لإخوته العرب في

---

(١) بدر شاكر السياب : «الالتزام واللاالتزام في الأدب العربي الحديث» في كتاب «الأدب العربي المعاصر» ، منشورات أضواء (بيروت ١٩٦٢) ، ص ٢٤٥ .

(٢) جبرا إبراهيم جبرا : في مقابلة مع المؤلف ، بغداد ١٠ كانون الثاني ١٩٦٧ .

(٣) سليمان العيسى : في رسالته المذكورة إلى المؤلف .

فلسطين فيزداد الشعور المعادي لبريطانيا بين أفراده .

وبانتهاء الحرب خففت الحكومة العراقية من وطأة قيودها السابقة على النشاط السياسي والصحافة . فتأسست أحزاب جديدة نالت الموافقة الرسمية ، وظهرت جرائد جديدة حصلت على الترخيص الضروري . ونظم الشيوعيون العراقيون أنفسهم في حزب التحرر الوطني بقيادة حسين محمد الشبيبي بعد أن فشلوا في الحصول على اعتراف الحكومة الرسمي بهم (١) . واستمر نشاطهم السياسي علنياً مدة من الزمن ثم لجأ إلى الخفاء . وكانت الحكومة قد وافقت على عصبتهم لمناهضة الصهيونية ، فاستطاعوا من هذه المنافذ أن يواصلوا التأثير في الرأي العام . وقد اخترق بعض الشيوعيين الأحزاب الأخرى المتطرفة مثل حزب الشعب والاتحاد الوطني . وكان تنظيمهم واسع الانتشار محكم التنسيق والتنفيذ ، فكانت لهم خلايا في الدوائر الحكومية والمنشآت الصناعية والأوساط الفكرية .

وظل بدر عضواً في حزب التحرر الوطني . ولما كان الشعر عظيم الأثر في المجتمع العراقي ، فقد كان الحزب يحتاج إلى شعراء ينطقون بلسانه ، وكان من بينهم علي جليل الوردي ، وجاسم الجبوري وبدر شاكر السياب (٢) . وقد أسس الطلاب من مختلف الكليات والمؤسسات اتحادات طلابية ، منتهزين جو التخفيف من القيود في حقل النشاط السياسي . وفي دار المعلمين العالية ، انتخب بدر رئيساً لاتحاد طلبة الدار (٣) . وكانت النزعات اليسارية بين الطلاب في صعود ، وبدأت سلطات الدار تنظر بعين الريبة إلى نفوذ بدر بين أقرانه ، إلا أن الطلاب كانوا يهللون له زعيماً لهم ورئيساً لاتحادهم ، وينصتون إلى خطاباته السياسية في مناسبات شتى كما كانوا ينصتون إلى إنشاده شعره الغزلي .

وبينما كان يسير يوماً في أحد ممرات الدار ، إذا بيد بضة تربت على كتفه . فالتفت ، فوقعت عيناه على وجه صبوح كانت صاحبته تبتسم ابتسامة مشجعة أظهرت في خديها غمازتين مشرقتين . وسألته الفتاة الأنيقة أن يكتب لها قصائد حب . فاحمرت وجنتاه ولم يستطع أن يصدق أذنيه . إذ كيف

---

(١) Stephen Hemsley Longrigg: Iraq, 1900 to 1950. London, (2nd Imp.) 1956. pp. 336

(٢) بدر شاكر السياب : «الشعر والشعراء في العراق» ، جريدة الأيام ، بغداد ٢٥ تشرين الأول ١٩٦٢ .

(٣) السيدة قرينة الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا : في مقابلة للمؤلف معها ، بغداد ١٠ كانون الثاني ١٩٦٧ . وكانت معاصرة للسياب في دار المعلمين العالية .

لهذه الفتاة الثرية أن تهتم بشعره الغزلي ؟ لكنها أكدت له اهتمامها وطلبت منه أن يسمعها ما يكتب فيها من شعر (١) .

فظل قلبه مدة بعد ذلك يفيض بشعر الحب لمن أسماها «أخت روحي» وهي الفتاة الثرية ذات الغمازتين المشرقتين . وفي قصيدة (٢) تاريخها ١١ كانون الأول ١٩٤٥ يدعو هذا الحب «هواي البكر» . وفيها يقول :

أي صوت نثّ سحراً في دمـي ... شاعري اللحن ، غضّ النبرات
« هاتِ لي شعراً» فـؤادي كلـه ... صار أنغاماً عـذاباً ساحرات
كـل جرح في فـؤادي شاعرٌ ... صادح القيثار ، مسحور اللهاة
الأغـاريـد الـتي رتلتّهـا ... والخيالات التي في أغنياتي
والسهول الفيح ، والريح (٣) الذي ... هزّ روحي ، والحسان الملهماتي
تفتـدي غمـازتـين انـداحتا ... فوق خدّين استثارا حسراتي
زينتْ غمـازتـاك الملتقـى ... لابتسامات الهوى بعد الشتات
شعّ فوق الثغر منهـا كوكب ... مرجحى اللمح ، محمرّ الشياتِ

وصار يقرأ عليها شعره أو يوصله إليها ، وينعم أحياناً ببعض اللحظات السعيدة في قربها . وكانت أشياء صغيرة تجعله يكتب لها قصائد طويلة : مثل لمحة خاطفة أو لمسة عابرة ، أو حديث عفوي أو غياب قصير . لكن حبه كان عفيفاً دائماً ليس فيه «هفوة تجرح» (٤) .

غنّت له يوماً أغنية من أغاني زنوج أمريكا لاستيفن فوستر عنوانها Old Folks at Home) أحبّها للغاية (٥) . ولعل نهر «سواني» في الأغنية ذكّره ببويْب في قريته وبأهله في دار جدّه .

لكن الفتاة لم تكن على ما يبدو جادّة في هذا الحب . فقد كانت أحياناً تتجاهله كلية ، وجعلته مرة يحلم أنها هجرته (٦) . وكانت أحياناً تمنع عنه حتى

---

(١) ديزي الأمير : «بدر شاكر السياب والمرفأ العاطفي» ، مجلة «الآداب» ، بيروت ، شباط ١٩٦٥ ، ص ٧ – ٨ وكانت معاصرة للسياب في دار المعلمين العالية .
(٢) «أزهار ذابلة» : ص ٨ ، ١٠
(٣) في صفحة التصويبات ورد : خطأ – والريح ، صواب – والريف .
(٤) سليمان العيسى : في رسالته المذكورة إلى المؤلف ، حلب ٢٦ تموز ١٩٦٦ .
(٥) «أزهار ذابلة» : «نشيد اللقاء» ، بتاريخ ٧ نيسان ١٩٤٦ ، ص ١٧ – ٢٤ .
(٦) المصدر نفسه : «حب يموت» ، بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٤٦ ، ص ٢٦ – ٢٨ .

التحية أو النظرة (١) . وقد آلمه هذا الحب . وكثيراً ما قال لزميله في الصف سليمان العيسى إنه كان مقضياً عليه بالفشل والإخفاق في الحب بسبب دمامة وجهه (٢) . وكان زميله يحاول تشجيعه حتى يتغلب على هذا الشعور ولكن بدون جدوى (٣) . وكان بدر كذلك يدرك أن مكانة عائلته الاجتماعية تحول دون نجاح حبه لفتاة ثرية ، فيقول (٤) :

بيني وبين الحب قفر بعيد ... من نعمة المال وجاه الأب
يا آهتي كفتي .... ومت يا نشيد ... شتان بين الطين والكوكب

وعندما تزوجت الفتاة من رجل عراقي ثري ، انطلق بدر في مرارته يضاعف عداءه السياسي للطبقات الغنية . وكان مجرد رؤية فتاة سوداء تتسوّل يثير فيه كل حقده على الأغنياء ، لأنه كان يرى فيها نفسه ، بل كان يرى فيها الشعب بأكمله تحت رحمة حفنة من الأغنياء المتآمرين مع قوى الغرب الجشعة (٥) . وعندما ترأس المغني الزنجي الأمريكي بول ربسون وفداً لمقابلة الرئيس ترومان في ١٩٤٦ للاحتجاج على معاملة الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية ، نظم بدر قصيدة (٦) يؤيد فيها الزنوج ويتعاطف معهم ، ويزجي النصح للمغني الشهير ألا يغني أغاني الحب بل أغاني الظلم والثورة . ذلك لأن بدراً رأى في حالة الزنوج حالة شعبه في العراق . وقد انهى القصيدة بقوله :

نحن في حالين ساوى منهما ... ظالم سام الملايين الحماما
نحن في حالين ساوى منهما ... أن للبّل انتهاء وانصراما
الزنود استنهضتها هزّة ... بعد حين تترك الطاغي حطاما

وفي غضون ذلك كان بدر سعيداً بدراساته في فرع اللغة الانكليزية بدار المعلمين . لم يكن المستر جوزف سبور استاذ الانكليزية ناجحاً كل النجاح في

---

(١) المصدر نفسه : «بعد اللقاء» ، ص ١٥ .
(٢) سليمان العيسى : في رسالته المذكورة إلى المؤلف .
(٣) سليمان العيسى : في رسالته المذكورة إلى المؤلف ، حلب ٢٦ تموز ١٩٦٦ .
(٤) «أزهار ذابلة» : «بعد اللقاء» ، بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٤٦ ، ص ١٦ .
(٥) المصدر نفسه : «السائلة السوداء» ، ص ٧٣ — ٧٥ .
(٦) المصدر نفسه : «حاطم الأغلال» ، ص ٧٦ — ٨١ .

تعليمه، إذ كان الطلاب يجعلون من صفه أضحوكة (١). أما المستر زبدي رئيس الفرع فقد كان رجلا واسع الاطلاع ، طيب الشخصية ، محترماً . وكان يحاضر في الأدب الإنكليزي على نحو ترك أثراً عميقاً في طلابه (٢) . وفي هذه الظروف ، اكتشف بدر ت. س. إليوت و بدأ يعجب به بقدر ما كان يعجب بالشاعر جون كيتس كما قال فيما بعد (٣) . لكنه كان يعتبره شاعراً «رجعياً» على ما تقتضيه أوصاف الحزب ، ومع هذا كان معجباً بأسلوبه الفني وكان يقضي وقتاً طويلا وهو يحاول أن يفهمه .

وكان أيضاً يقضي كثيراً من الوقت في قراءة الكتب والمجلات الماركسية التي كان يوفرها له الحزب أو التي كانت تطفح بها مكتبات بغداد وأرصفتها . وكان بعضها باللغة الإنكليزية وبعضها بالعربية ، لكنها كلها ذات نغمة معادية للغرب وكان الأدبي منها يحمل طابع الالتزام .

وكان الشعور المعادي للغرب يزداد قوة في العراق ، وكان الشيوعيون يرعون هذا الشعور بحذق . وظل بدر مع جماعة من الطلاب يغذون التيار اليساري في دار المعلمين ويقوون روح التضامن بين الطلاب ليستعملوها عند الحاجة . وعندما قررت ادارة دار المعلمين أن تضيف سنة أخرى إلى سنوات الدراسة الأربع لم يرض الطلاب عن ذلك . فدعا بدر إلى إضراب وحث الطلاب عليه بنشاط . وقام أيضاً باتصالات مع طلبة الكليات الأخرى في بغداد طلباً لتأييدهم . وكان الاضراب ناجحاً واضطرت إدارة الدار أن تتخلى عن فكرة السنة الإضافية ، لكن بدراً كان عليه ان يتحمل عبء المسؤولية . فقد قرر مجلس الأساتذة في جلسة عقدت في ٢ كانون الثاني ١٩٤٦ أن يفصل بدراً لما تبقى من السنة الدراسية . وقد جاء في مذكرة (٤) موقعة من عميد دار المعلمين العالية الدكتور خالد الهاشمي سلمت له في ٨ كانون الثاني ١٩٤٦ أنه فصل «لتحريضه على الإضراب ولإثارته جواً سيئاً في المعهد يمنع التفاهم (على عكس ما ينتظر منه) ولاتصاله بطلاب

---

(١) السيدة قرينة الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا : في مقابلة لها مع المؤلف ، بغداد ١٠ كانون الثاني ١٩٦٧ . وكذلك المستر ر. ا. سيمكوكس ، وكان آنذاك مدير المعهد البريطاني في بغداد : في رسالة له إلى المؤلف من المجلس الثقافي البريطاني بلندن ، ١١ كانون الثاني ١٩٦٧ .

(٢) بدر شاكر السياب إلى مؤيد العبد الواحد في لندن ، ٢٦ شباط ١٩٦٣ ، في رسالة الأخير إلى المؤلف .

(٣) بدر شاكر السياب : «أساطير» ، النجف ١٩٥٠ ، هامش ص ٩٣ .

(٤) دار المعلمين العالية : مذكرة العميد رقم ٧٣ بتاريخ ٨ كانون الثاني ١٩٤٦ .

المعاهد الأخرى لتأييد الإضراب وللدعايات المضرة التي نشرها » . وقد انتهت المذكرة بهذه الجملة : « وقد شفع له في عدم طرده طرداً مؤبداً قابليته الشعرية وكون هذه أول مخالفة تبدر منه خلال ثلاث سنوات . »

فذهب بدر إلى جيكور ، لكنه كان يعود أحياناً إلى بغداد لمدة يوم أو يومين . وفي أيار ١٩٤٦ جاء إلى بغداد وهو يأمل أن يجد عملا موقتاً في الصحافة ، فحصل على وظيفة صغيرة في حقل الترجمة (١) . وكان العراق في هذا الوقت يفور في غليانه ضد السياسة الإنكليزية الأمريكية السائرة في صالح الصهيونية في فلسطين . وأعلن الشعب إضراباً سياسياً عاماً في البلاد احتجاجاً على تقرير لجنة التحقيق الإنكليزية الأمريكية التي أوصت بالسماح للمزيد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين . وقد اشترك بدر في المظاهرات الجماهيرية التي غصت بها شوارع بغداد . وعلى الرغم من أن هذه المظاهرات لم تؤد إلى الإخلال بالأمن لأن الحكومة العراقية نفسها كانت تشارك المتظاهرين رأيهم بالنسبة لفلسطين ، لكنها جعلت الشعب يشعر بقوته . وفي حزيران ١٩٣٦ نظم حوالى ثلاثة آلاف طالب وعامل (٢) مظاهرات أخرى في بغداد تطالب بحل عادل لقضية فلسطين وجلاء البريطانيين عن العراق . فأغلقت الحكومة عدداً من الصحف واعتقلت عدداً من المتظاهرين بعد أن اصطدموا بالشرطة . وكان بدر قد اشترك في هذه المظاهرات واعتقل مع عشرات من الآخرين ، ثم نقل إلى سجن «بعقوبة» . وكانت هذه أولى تجاربه في السجون العراقية . وقد قضى بضعة أسابيع في حجرة مظلمة رطبة تنزّ أرضها ماء ، وكان ينام فيها على عدد من صفائح البنزين الفارغة التي تركها له السجين السابق (٣) .

وعندما أطلق سراحه في أواسط الصيف توجه إلى بيته في جيكور . فهاله أن يجد القوات البريطانية قد جاءت من الهند لترسل إلى الشُعَيْبَة في جنوب العراق في حركة وقائية ضد المزيد من الاضطراب في خوزستان ، أي عربستان ، على الضفة الأخرى لشط العرب حيث كان حزب توده الشيوعي في إيران قد نجح في إحداث الاضطراب بين عمال مصفاة البترول في عبادان .

---

(١) مؤيد العبد الواحد في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٢٢ تشرين الأول ١٩٦٦ .

(٢) Stephen H. Longrigg: Iraq, 1900 to 1950. London (2nd Imp.), 1956. p. 338

(٣) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ ، نقلا عن السيدة إقبال زوجة بدر شاكر السياب .

وفي خريف ١٩٤٦ عاد بدر إلى بغداد بعد أن كانت الحكومة قد أوقفت مزيداً من الصحف عن الصدور ، وزجت في السجون بعض الشيوعيين لتوزيعهم منشورات ثورية . لكن بدراً لم يُقبل في دار المعلمين إلا بعد أن قدّم تعهداً خطياً لسلطات الدار بعدم الانتماء إلى أية منظمة سياسية خارج المعهد . وبعد أن قدم شهادة بحسن السلوك من مديرية شرطة بغداد (١) .

وتابع بدر بعد ذلك دراسته محاولا جهد طاقته أن يلتزم بأنظمة الدار ، وتابع كذلك كتابة الشعر . وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٦ كتب قصيدة بعنوان «هل كان حباً ؟» (٢) حاول فيها أن يقوم بتجربة جديدة في الوزن والقافية . ولا نستطيع أن نقول بالتأكيد إذا كانت تجربته هذه ناتجة عن تصميم وتخطيط أو عن مصادفة واتفاق ، لكنه كان عالماً بغرابتها وجدّتها فحاول أن يبررها في ملاحظة هامشية عندما نشرها زاعماً أن القصيدة كانت كأغلب الشعر الغربي وخاصة الأنكليزي في أنها مختلفة القوافي تجمع بين بحر من البحور ومجزوءاته أي أن التفاعيل ذات النوع الواحد يختلف عددها من بيت إلى آخر (٣) . ولم يكن مضمون هذه القصيدة مختلفاً بوجه خاص عن مضامين قصائده الأخرى التي كتبها في هذه المدة . وكل ما قاله فيها إن حبه أمل ضائع وأمانيّ حالمة . لكن وزنها ونظام قوافيها كانا مختلفين عن سائر شعره . فقد كانت تجربته خروجاً على قواعد العروض التقليدية . كانت هذه القصيدة ، مثل لوحة بيكاسو المدعوة «أوانس آفنيون» ، مرحلة في تطور بدر الفني حيث لم يكن التغيير كاملا ولكنه كان مع ذلك ثورياً عميق الدلالة ، قوامه حرية التنويع في عدد التفاعيل بين شطر وآخر ، وحرية التنويع في القوافي بلا نظام معين . أما لماذا جاءت هذه التجربة في هذا الوقت بالذات من حياة بدر فأمر يجب أن يترك للتخمين . ومن ذلك أن تأثره بالشعر الغربي كان في هذه المرحلة أعظم منه في أية مرحلة مضت ، ولا بد أنه لاحظ فيه النواحي الشكلية المغايرة للشعر العربي . وكان بدر يحس برتابة العروض التقليدي ومحدوديته ، وكان يتابع باهتمام مزج البحور في القصيدة الواحدة وغير ذلك مما كان يقدم عليه في ذلك الوقت الشاعر اللبناني الياس أبو شبكه (ت ١٩٤٧) والشاعر المصري خليل شيبوب (ت ١٩٥١)

---

(١) كلية التربية : رسالة العميد إلى المؤلف ، رقم ٣٠٧٦ ، بغداد ، ١٣ نيسان ١٩٦٧ .
(٢) «أزهار ذابلة» : ص ٦٨ — ٧٢ ، وقد أعيد طبعها مع تغيير وحذف في «أزهار وأساطير» ، ص ١٣٩ — ١٤١ .
(٣) «أزهار ذابلة» : هامش ص ٦٩ .

وغيرهما (١) . ومن الناحية النفسية ، كان بدر يشعر أنه كان مكبلا شخصياً وفي حاجة إلى الحرية . ومن الناحية الاجتماعية كان قد بدأ يدرك أن بناء المجتمع العربي في حاجة إلى ثورة . كل هذه العوامل يجب أن تكون قد أثرت في تجربته هذه . بيد أنه لم ينشر هذه القصيدة الا بعد مرور أكثر من سنة على كتابتها ، وذلك في ديوانه الأول «أزهار ذابلة .» (٢)

وقد انتشر هذا اللون الجديد من الشعر بسرعة في بضع سنوات بين شعراء العراق الشباب ومن ثم بين شعراء آخرين في العالم العربي وعرف باسم «الشعر الحر» . وزعمت نازك الملائكة أنها هي أول من نشر قصيدة منه (٣) وذلك في قصيدتها « الكوليرا » التي كتبتها في ٢٧ تشرين الأول ١٩٤٧ ونشرتها في عدد كانون الأول من مجلة «العروبة» البيروتية . غير أن بدراً أكد فيما بعد أن قصيدته قد كتبت قبل قصيدتها لكنها لم تعرف في العراق إلا عندما وصل ديوانه «أزهار ذابلة» من ناشره القاهري في النصف الثاني من كانون الأول ١٩٤٧ (٤) . لكنه سلّم أن اول من كتب هذا الشعر هو علي أحمد باكثير في ترجمته لمسرحية شكسبير «روميو وجوليت» التي ظهرت في القاهرة في كانون الثاني ١٩٤٧ بعد أن ظلت تنتظر النشر عشر سنوات (٥) . غير أن مسرحية باكثير «السماء أو أخناتون ونفرتيتي» التي نشرت في القاهرة سنة ١٩٤٣ تطابق مفهوم بدر للشعر الحر أكثر من ترجمة باكثير لمسرحية شكسبير لأنها من بحر واحد هو المتقارب بينما «روميو وجوليت» مزيج من البحور . هذا ، ولباكثير قصيدة من الشعر الحر بعنوان «نموذج من الشعر المرسل الحر»(٦) ، ولحسين غنام ترجمة

---

(١) في مقدمة «أساطير» ، النجف ١٩٥٠ ، ص ٥ — ٦ ، يذكر بدر هذين الشاعرين بالذات ممن ثار على وحدة البحر في القصيدة الواحدة .

(٢) «أزهار ذابلة» ، مطبعة الكرنك بالفجالة ، مصر ١٩٤٧ .

(٣) نازك الملائكة : «قضايا الشعر المعاصر» ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ٢١ . وكان هذا الفصل قد نشر في «الأديب» ، بيروت ، كانون الثاني ١٩٥٤ ، بعنوان «حركة الشعر الحر في العراق» ، ص ٢١ — ٢٤ .

(٤) بدر شاكر السياب : «تعليقان» في مجلة «الآداب» ، بيروت ، حزيران ١٩٥٤ ، ص ٦٩ . وقد أخطأ في قوله كانون الثاني ١٩٤٧ بدلا من كانون الأول ١٩٤٧ ، وهو يؤرخ لوصول ديوانه بغداد . راجع نازك الملائكة : «قضايا الشعر المعاصر»، ص ٢٢ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) «مجلة الرسالة» ، القاهرة ١٩٤٥ ، المجلد الثالث عشر ، ص ٦٢٥ و ص ٦٨٠—٦٨١ .

لقصيدة لونجفلو عنوانها «هياواتا» (١) هي أيضاً من الشعر الحر ، ولفؤاد الخشن قصيدة عنوانها « أنا لولاك » (٢) هي كذلك من الشعر الحر بمفهومه هذا ، وكل هذه محاولات سابقة لمحاولة بدر ونازك . غير انها لم تنجح في جذب الشعراء العرب وتحميسهم للتجديد مثل ما نجحت محاولات بدر ونازك بعدها ، فبدأت بهما حركة جديدة في الشعر العربي .

ولم يكتب بدر أية قصائد أخرى من الشعر الحر حتّى ١٩٤٨ ولكنه ظل ينظم قصائد من الشعر التقليدي وينشرها في الجرائد المحلية . وكانت قصائده الغزلية في هذه المرحلة ذكريات مريرة للماضي أو كانت موجهة إلى حبيبة خيالية منتظرة . وعندما تذكر حبه للفتاة الثرية ذات الغمازتين نظم قصيدة ملؤها النقمة عنوانها «عاشق الوهم» (٣) وفيها يقول إنها لم تكن إلا فتاة رعناء ما خلقت لشاعر موهوب مثله بل لرجل خسيس شهواني . وفي أول شباط ١٩٤٧ نظم قصيدة عاطفية عنوانها «أهواء» (٤) مهداة «إلى المنتظرة» وفيها يتوسل إلى فتاته الخيالية التي لا اسم لها أن تطل على دنياه :

أطـــلي فتـاة الهـوى والخيال — بسحر العذارى عـلى الخالـق
بعشريـن مــن ريقـات السنين — عبرن المدارات في خـافقي
بعشرين ... كلا وهبت الـربيع — ومـا فيـه ، من عمري العاشق
فمـا ظـل إلا ربيـــع صغير — أخبيــه للمــوعــد الـرائـق

ثم روى قصة تجاربه السابقة في الحب وأنهى قصيدته بقوله إن حياته لا معنى لها إذا لم يتحقق حبه للفتاة المنتظرة .

وعندما أصبح نوري السعيد رئيساً للوزارة في ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٦ حل البرلمان العراقي ليجري انتخابات في شباط ١٩٤٧ . لكن إجراء الانتخابات لم يمنعه من أن يلاحق الشيوعيين بتفتيش البيوت والاعتقال والقمع حتّى زعم أنه قضى عليهم (٥) .

---

(١) المصدر نفسه : ص ٦٢٨ و ص ٧٥٢ — ٧٥٤ .
(٢) مجلة «الأديب» ، بيروت، تشرين الأول ١٩٤٦ ، ص ٢٥ .
(٣) «أزهار ذابلة» : «عاشق الوهم» ، ص ٥٨ — ٥٩ بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٧ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٨٢ — ٩٩ ، وأعيد طبعها مع تغيير وحذف في «أزهار وأساطير » ، ص ١٧ — ٢٨ .
(٥) Stephen Hemsley Longrigg: Iraq, 1900 to 1950. p. 340.

وأصبح صالح جبر رئيساً للوزارة بعد افتتاح البرلمان الجديد وكان أحد أهداف سياسته مقاومة الشيوعية . فأغلق عدداً من الصحف المتطرفة وقام بالمزيد من الاعتقالات . وداهمت شرطته مكتبات بغداد وفتشت مقر عدد من الأحزاب المعارضة . وقدم للمحاكمة بعض الشيوعيين الذين اعتقلهم نوري السعيد وصدرت أحكام بالإعدام على يوسف سلمان وزكي بسيم ، وناجي شمّل ، لإثارة القوات المسلحة والشرطة ضد الدولة (١) . لكنها خففت فيما بعد إلى أحكام بالسجن لمدد طويلة .

وفي قصيدة غزلية كتبها بدر في تموز ١٩٤٧ عنوانها «سجين» (٢) استمد الصور فيها من السجن غالباً. فالأوجه الجائعات ، والجدار الرهيب، وصليل القيود ، وعصا السيد ، والظلام — كلها صور وضعت مقابل ساعات الانتظار الطويلة والرغبة في الهروب إلى حبيبة بعيدة نائية على الرغم من ذراعي الأب المحيطتين به أينما فر وحيثما توجه . وكأن الأب في هذه القصيدة الغزلية رمز للسلطة السياسية بقدر ما هو رمز للتقاليد القائمة .

وكانت الحادثة الوحيدة المسجلة ضد بدر في هذه السنة الدراسية تشويشه مع بعض الطلبة في حفلة تعارف أقامها طلبة دار المعلمين القدماء لإخوانهم الطلبة الجدد في كانون الأول ١٩٤٦ . فأنذر إنذاراً مسجلا بتاريخ ١٢ كانون الأول ١٩٤٦ مع حسم خمس درجات من السلوك وحرمانه من الاشتراك في السفرات المدرسية والمساهمة الفعلية في الحفلات والاجتماعات (٣) .

ولم تكن النتائج النهائية لسنته هذه الدراسية مبرزة كالسنة السابقة وإن كانت حسنة .

وفي حدود هذا الوقت بدأ بدر يفكر في نشر قصائده مجموعة في ديوان . ففي خريف ١٩٤٧ أعطى بعض أصدقائه البصريين الذاهبين إلى القاهرة مخطوطة وبعض المال لنفقات الطبع . وكان بين هؤلاء عبد الحميد السامر ومشكور الأسدي (٤) . فاستطاعوا أن يطبعوها في مطبعة الكرنك وتوفقوا الى أن يحملوا الأديب العراقي رفائيل بطي الذي كان آنذاك في القاهرة أن يكتب مقدمة للديوان .

---

(١) المصدر نفسه : ص ٣٤٢ .

(٢) «أساطير» : ص ٧٩ — ٨١ . وأعيد طبعها في «أزهار وأساطير» ، ص ١٠٨ — ١١٢.

(٣) كلية التربية : رسالة العميد إلى المؤلف رقم ٣٠٧٦ ، بغداد، ١٣ نيسان ١٩٦٧ .

(٤) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ١٠ .

وقد وصل هذا الديوان المطبوع واسمه «أزهار ذابلة» إلى بغداد في النصف الثاني من كانون الأول ١٩٤٧ (١) .

وكان بدر قد دخل سنته النهائية في دار المعلمين ، وفيها تعرف إلى بعض الأصدقاء الجدد ، من بينهم فتاة صابئية اسمها لميعة ، من العمارة في جنوب العراق . وكانت طالبة في سنتها الثانية في فرع اللغة العربية بدار المعلمين . وكانت سمراء جميلة في الثامنة عشرة من عمرها، رشيقة القد ، حوراء العينين . وكان يبدو على سيماها طابع الحزن ويزيده عمقاً ملازمتها لبس السواد . وكانت تلبس العباءة العراقية غالباً عندما تغادر الدار . وكانت متزنة ، مقتصدة في علاقاتها ، ناعمة الصوت . وكانت إلى ذلك رقيقة الحس شاعرة (٢) . ولم يرها بدر كثيراً في البداية ، ولكنها أثارت فيه شعوراً قوياً غامضاً تجاهها . وكان بين أصدقائه الجدد أيضاً عبد الوهاب البياتي ، وكان في سنته الثانية في فرع اللغة العربية . وكان اسمه قد بدأ يلمع بتأييد قوي من الحزب الشيوعي .

وكان بدر قد عقد العزم على الالتفات إلى دروسه ، لكن الأمور السياسية شغلته ثانية . فقد كانت معاهدة ١٩٣٠ الإنكليزية العراقية حديث الناس . وطالب الوطنيون بإلغائها حالا وقبل انتهاء مدتها في منتصف الخمسينات . فعندما وقع صالح جبر وإرنست بفن معاهدة جديدة في بورتسموث في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٨ كان ردّ الفعل الفوري في بغداد إضرابات ومظاهرات (٣) . وأعلن طلاب المعاهد المختلفة في بغداد الإضراب لمدة ثلاثة أيام ، وتبع ذلك الإعلان إضرابات في المكاتب والمشاغل والصحف . وقامت مظاهرات هائلة نظمها الحزب الوطني الديمقراطي ، وحزب الاستقلال ، وحزب الأحرار ، والشيوعيون . وعلا الشعور المعادي لبريطانيا يؤيده ما كان يقاسيه الشعب من حرمان وظلم بسبب فساد الحكم . فتدفقت شوارع العاصمة العراقية بالجماهير الهادرة ، وأخذت المظاهرات تزداد حدّة وحجماً يوماً بعد يوم .

شترك بدر في هذه المظاهرات بكل ما أوتي من نقمة على نظام الحكم

---

(١) نازك الملائكة : «قضايا الشعر المعاصر» ، ص ٢٢ .

(٢) ياسين البريثي : في رسالة إلى المؤلف ، القدس ، ١ حزيران ١٩٦٦ ، وكان زميلا لها في الصف نفسه .

(٣) صدر الدين شرف الدين: «سحابة بورتسموث» ، بيروت ، نيسان ١٩٤٨ .
وكذلك أمين سعيد : «ثورات العرب في القرن العشرين» ، دار الهلال ، (القاهرة ١٩٨٠) ص ١٣٨ وما بعدها وانظر S.H. Longrigg: Iraq, 1900 to 1950. p. 344 ff

القائم ومؤيديه البريطانيين . وهزّته الحمية لإلقاء العديد من الخطب النارية والقصائد المشتعلة . فكان أحياناً يحمله زميل أو رفيق على كتفيه ليصيح بالشعارات المعادية للحكومة وسياستها الخائنة ، وأحياناً يتسلق سور إحدى البنايات العامة أمام الجموع المحتشدة ليلقي المزيد من شعره وخطبه ، بينما تحيط به حلقة حامية من الأصدقاء البصريين وغيرهم، بينهم وجه جميل يتطلع اليه هو وجه لميعة (١) ، في حين ترتفع قبضات التهديد وزنود التحدي من كل جانب في جوّ صاخب من الهتاف .

وقد ساعدت الاصطدامات مع الشرطة على أن يزداد الموقف تأزماً ، إذ قتل حوالي خمسين شخصاً وجرح مئات من الشرطة والطلاب . ولم يأبه أحد للبيان الذي ألقاه جمال بابان نائب رئيس الوزارة ، فقد أفلت زمام الأمور .

واضطر الوصي على العرش أن يعلن عدم الرضى عن المعاهدة في محاولة لتهدئة الجماهير . لكن المظاهرات لم تهدأ ثائرتها . ولم يستطع رجال الشرطة المحافظة على الأمن والنظام بعد أن فقدوا روحهم المعنوية وسقط العديد من زملائهم، ولم يكن بد من استدعاء الجيش لأسباب سياسية. وأقيم للقتلى من الطلاب جنازات عامة حضرتها الألوف . وقد اشترك بدر بها (٢) وألقى في جامع الحيدرخانه قصيدة مطلعها :

عربد الثأر فاهتفي يا ضحايا (٣)

وعاد صالح جبر رئيس الوزارة من إنكلترا في ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٨ فجابهته غضبة الجماهير لا يثنيها رصاص الشرطة واعتقالاتها . وصلت المظاهرات ذروتها في ٢٧ كانون الثاني ، وأشعلت النار في دار جريدة «التايمز العراقية » وغيرها من المؤسسات البريطانية والمنشآت التجارية . وفي القصر الملكي طالبت الجماهير باستقالة رئيس الوزارة بل طالبت باعدامه .

قتل كثير من الشباب في معركة الجسر في اشتباك مع الشرطة من بينهم قيس إسماعيل الألوسي (٤) وجرح كثيرون من بينهم محمد جعفر الجواهري أخو الشاعر ، فتوفي بعد ذلك متأثراً بجراحه . وسارت الألوف تشيع الشهداء .

---

(١) فؤاد طه العبد الجليل : في مقابلة مع المؤلف ، البصرة ، ١٧ كانون الثاني ١٩٦٧ .
(٢) مصطفى السياب : في رسالته إلى المؤلف ، بيروت ، ٢٣ نيسان ١٩٦٦ .
(٣) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ١٢ .
(٤) محيي الدين اسماعيل : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ، ٥ آب ١٩٦٦ .

وتليت الفاتحة على ارواحهم في جميع أنحاء العاصمة العراقية .

اضطر صالح جبر في النهاية أن يستقيل ويفرّ من البلاد خوفاً على حياته . فألف محمد الصدر وزارة ما لبثت أن أعلنت أن المعاهدة الجديدة لن يصادق عليها . وفي ٢٥ شباط ١٩٤٨ حلت البرلمان لاعتباره منتخباً بطريقة غير قانونية (١) .

وعلى الرغم من أن الأزمة هدأت لكن الطلاب ظلوا ينظمون المسيرات والمواكب ، وخصوصاً لمناسبة الذكرى الأربعين لوفاة زملائهم . شارك بدر في هذه المناسبات التأبينية (٢) وألقى قصيدة في إحداها مطلعها (٣) :

ما زال يملأ مسمع الأحقاب هذا الهدير من الدم المنسابِ

وكانت بعض قصائده تجد طريقها إلى الصحف المحلية أحياناً كهذه التي نشرها الجواهري في جريدته «الرأي العام» وفيها يقول بدر :

بسمةَ النور في ثغور الجراحِ أنتِ نجم الصباح قبل الصباح
كلما حُتِ في خيال الطواغيـ ـتِ وأهبتِ مخدع السفاحِ
ذاب قيد على اللظى وتراخت قبضات على حطام السلاحِ (٤)

وإنه لأمر يؤسف له أن قصائد بدر السياسية هذه لم تحفظ على ما يبدو . ولعلها كانت تكوّن القسم الأكبر من ديوانه «زئير العاصفة» (٥) الذي أعلن عن قرب صدوره في نهاية ديوانه «أساطير» المنشور في ١٩٥٠ ، ولعله هو الديوان الذي يقول محيي الدين إسماعيل إن صديقاً يدعى مصطفى الأعظمي فقده ، وكان بدر قد سلمه إياه لينشر في بغداد (٦) .

وما ان جاء شباط ١٩٤٨ ، حتى كان بدر قد تأكد في دخيلة نفسه أن ليعة هي الفتاة التي كان ينتظرها كل حياته . ولم يكن ذلك الشعور القوي الغامض

---

(١) Stephen H. Longrigg: Iraq, 1900 to 1950. p. 347
(٢) مصطفى السياب : في رسالته المذكورة .
(٣) فؤاد طه العبد الجليل : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة، ٧ تموز ١٩٦٦ .
(٤) جليل كمال الدين : «الشعر العربي الحديث وروح العصر» ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٥٦ .
(٥) «أساطير»، النجف ١٩٥٠ ، ص ٩٥ . وهناك إشارة اليه في المقدمة ، ص ٨ .
(٦) محيي الدين إسماعيل : في رسالتين إلى المؤلف ، بيروت ١٩ تموز و ٥ آب ١٩٦٦.

تجاهها إلا حباً حقيقياً: فهي المنتظرة التي كان يهفو اليها في شعره. وهكذا تراجعت ذكريات حبه السابق بمرارتها وحدّتها ، وبدا له هذا الحب الجديد هو الغاية التي كانت محاولاته السابقة في البحث عن حبيبة قد أخطأتها . أما لميعة فقد شعرت بالانجذاب إلى بدر .وأحبت شعره . وكانت تدعوه «النبي الوديع» (١) وتشعر أنه هو الذي كانت تتوقعه .

وفي قصيدة عنوانها «ذكرى لقاء» (٢) يروي بدر كيف أنه لم يستطع التركيز في دراسته ليلا لأن ذكرى حبيبته ظلت تعاوده ، بينما كان يقرأ قصيدة جون كيتس التي أدخل بعض أبياتها في ما نظم :

« تمنيتُ يا كوكبُ
ثباتاً كهذا — أنام
على صدرها في الظلام
وأفنى كما تغربُ .»

وكان قبل أن يتعرف إلى لميعة يتخيّل أنه مصاب بالسل ، فكان مثل جون كيتس في «قصيدة إلى بلبل» يدعو الموت ليلا بأسماء خافتة (٣) . أما الآن فكان يريد أن يعيش طويلا وأن يحبّها .

لكن لميعة بما لها من حسّ الأنثى الطبيعي بالتحفظ وما فيها من حياء الفتاة الشرقية التقليدي أرادت أن تكون حذرة . فلم ترد أن يشير اليها مباشرة في شعره وكثيراً ما مزّق بعض القصائد التي فيها شيء تأبى هي أن يعرفه الناس عن علاقتهما (٤) . وكان عليه أن يغلّف قصائد حبه هذه بضباب خفيف وغموض (٥) .

وعلى الرغم من ذلك فقد شغلها همّان اثنان في علاقتها به : الأول شعورها أنها جاءت متأخرة في حياته بعد أن أحب كثيراً من النساء بحيث فقد براءة الحب الأول ونشوته وعمقه (٦) . والثاني خوفها من أن اختلافهما في الدين

---

(١) «أساطير» ، مقدمة السياب ، ص ٧ .
(٢) «أساطير» ، ص ٨٢ — ٨٤ . وأعيد طبعها في «أزهار وأساطير» ، ص ١١٣–١١٧ .
(٣) «أساطير» : «رثة تتمزق» ، ص ٤٣ — ٤٦ ، وأعيد طبعها مع حذف في «أزهار وأساطير» ، ص ٥٩ — ٦٤ .
(٤) انظر مقدمة السياب في «أساطير» ، ص ٧ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) أنظر المقدمة النثرية لقصيدة السياب « هوى واحد » في « أساطير » ، ص ١٨ . وقد حذفت من القصيدة عندما طبعها في «أزهار وأساطير» ، ص ٦٨ .

قد يقف حائلا بينهما وبين السعادة (١) .

وحاول بدر أن يبعد مخاوفها وشكوكها . وفي قصيدة بعنوان «هوى واحد» (٢) زعم لها أنه نسي الماضي وأن حياته الآن حاضر فقط ، وندم على تضييع حبه سابقاً وتمنى لو أنه ما سقى التراب ، ورجاها ألا تنكر هواهما المتبادل الذي لا تخطئه عين ، وأكد لها اتقاد قلبه بحبها .

لكنها ظلت تعذبها فكرة فراق ممكن في المستقبل . وكانت تخاف من الألم الأكيد الذي يسببه مثل هذا الفراق . أما هو فكان ردّه «لن نفترق» (٣) :

لا تتركي ، لا تتركي لغـدي	تعكير يومي ، ما يكون غدي ؟
وإذا ابتسمتِ اليوم من فرح	فلتعبسنّ ملامـح الأبـد
ما كان عمري قبل موعدنا	إلا السنين تدبّ في جسد
أختاه لـذّ على الهوى ألمي	فاستمتعي بهواك وابتسمي
هاتي اللهيب فلستُ أرهبه	ما كان حبك أول الحممِ

وبدأت لميعة تتظاهر بأنها لا تبادله الحب ، لكنه أصر على حبها . وعندما التقيا وطبع على ثغرها القبلة الأولى ، قالت له إن ذلك اللقاء هو الأخير لأنها مُنعت من لقائه (٤) . وفي قصيدة «اللقاء الأخير» (٥) يصف بدر هذه القبلة الأولى وهذا اللقاء بنشوته وتأزمه ، ويتمنى لو أنها تتحدى الذين يمنعونها من لقائه . وكان اختلافهما في الدين قد أخذ يلاحق تفكيره ، لا لأن الدين من الأمور التي كانت تهمّه عندئذ ، إذ إنه ما عاد يصوم رمضان أو يؤدي الصلاة كما كان يفعل أحياناً في الماضي (٦) . ولكنه كان يعرف ما للدين من قوة في مجتمع تقليدي

---

(١) انظر المقدمة النثرية لقصيدة السياب «أساطير» في ديوان «أساطير» ، ص ٣١ ، التي أعيد طبعها في «أزهار وأساطير» ، ص ٤٦ حيث استبدلت كلمة «الدين» بكلمة «المذهب» .

(٢) «أساطير» : ص ١٨ — ٢٠ وأعيد طبعها في «أزهار وأساطير»، ص ٦٨ — ٧١ .

(٣) «أساطير» : ص ٢١ — ٢٢ وأعيد طبعها في «أزهار وأساطير» ، ص ٧٢ — ٧٤ .

(٤) «أساطير» : «اللقاء الأخير» ، ص ٢٧ . انظر المقدمة النثرية للقصيدة .

(٥) المصدر نفسه : ص ٢٧ — ٣٠ وأعيد طبعها في «أزهار وأساطير» ، ص ٤١ — ٤٥ وهي قصيدة غير مؤرخة، لكن تاريخها يجب أن يكون قبله نيسان ١٩٤٨ لان بدر في هذا التاريخ كتب قصيدة «الوداع» وفيها يشير إلى القصيدة السابقة . انظر «أساطير»، ص ٣٧ و «أزهار وأساطير»، ص ٨٠ .

(٦) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت، ٦ حزيران ١٩٦٦ .

ويعلم أثره الفعال في التفرقة بين الناس فيما يتعلق بأمور الزواج المختلط . ولكنه أنحى باللائمة على الدين نفسه وعلى من ينسج العادات الاجتماعية الدينية . وفي قصيدة «أساطير» التي كتبها في ٢٤ آذار ١٩٤٨ يقول (١) :

أساطيرُ من حشرجات الزمان
نسيج اليد البالية ،
رواها ظلام من الهاوية
وغنّى بها ميتّان .
أساطير كالبيد ؛ ماج السراب
عليها ، وشقّت بقايا شهاب ،
وأبصرتُ فيها بريق النضار
يلاقي سَدىً من ظلال الرغيف ،
وأبصرتني ، والستار الكثيف
يواريكِ عني فضاع انتظار
وخابت منى ؛ وانتهى عاشقان ...
تعالي ، تعالي نذيب الزمان
وساعاته ، في عناق طويل ،
ونصبغ بالأرجوان
شراعاً وراء المدى
وننسى الغدا
على صدرك الدافىء العاطر
كنهويمةِ الشاعر
تعالي ، فملء الفضاء
صدى هامس باللقاء
يوسوس دون انتهاء ...
فيا للعذاب !
جناحان خلف الحجاب
شراع
وغمغمة بالوداع !

---

(١) «أساطير» : ص ٣١–٣٤ . وأعيد طبعها في «أزهار وأساطير» ص ٤٦ – ٥٣ .

وبعد ذلك بثلاثة أيام كتب قصيدة أخرى عنوانها «سراب» وفيها يقول (١) :

بقايا من القافلة
تنير لها نجمة آفلة
طريق الفناء
وتؤنسها بالغناء
شفاه ظماء —
تهاويلَ مرسومة في السراب
تمزّق عنها النقاب
على نظرة ذاهلة
وشوق يذيب الحدود ...
سنمضي ويبقى السراب
وظل الشفاه الظماء
يهوّم خلف النقاب ،
وتمشي الظلال البطاء
على وقع أقدامكِ العارية
إلى ظلمة الهاوية
وننسى على قمة السلّمِ
هوانا ، فلا تحلمي
بأنا نعودْ !

وكانت قصائده اللاحقة عن حبه هذا قصائد من الذكريات الحزينة أو الأمانيّ الحالمة . فقد تذكر كيف قالت له إنها ستهواه حتى تجفّ الدموع في عينيها وتنهار أضلعها الواهية (٢) ، وآلمه أن يعرف إلى أي مدى قد يكذب المحبّون وتفنى الحياة كأضغاث أحلام .

وظل بدر يرى لميعة كثيراً في دار المعلمين ، ولكن أمله بنجاح حبه أخذ يتلاشى . وقد اشتركا معاً في مسابقة شعرية ألقى فيها عدد من طلبة الدار شيئاً من شعرهم في حفلة أدبية . ففازت لميعة بالجائزة الأولى ، بينما نال بدر وصديقه

---

(١) «أساطير» : ص ٢٣ — ٢٤ . وأعيد طبعها في «أزهار وأساطير» ، ص ٧٥ — ٧٧ .
(٢) «أساطير» : «نهاية» ، ص ٥٩ — ٦٢ . وأعيد طبعها في «أزهار وأساطير» ، ص ١٢١ — ١٢٧ .

سليمان العيسى الجائزتين التاليتين (١). وكانت لميعة قد بدأت تصبح شاعرة معروفة في الدار مما ضاعف من حسرته لفشل حبه لها .

لكن شاعرة أخرى كان نجمها في صعود ، وكانت شهرتها قد بدأت تتثبت في الآفاق الأدبية هي نازك الملائكة . وكانت قد تخرجت من دار المعلمين العالية في ١٩٤٤ عندما كان بدر في نهاية سنته الأولى في المعهد نفسه . ولم يكن على صلة بها . أما الآن بعد أن بدأت تكتب الشعر الحر ، فقد شعر بدر بميل للاجتماع بها وتبادل الأفكار معها . لكنها كانت من أسرة غنية محافظة ، ولم يدر كيف يتوصل إلى التقرب منها . بيد أن الفرصة سنحت إذ عرضت عليه أسرة لبنانية مقيمة في بغداد أن تصطحبه معها لزيارتها في مجلس ذويها بعد أن استأذنت والدها في إحضاره (٢) . وقد دار الحديث خلال الزيارة حول الشؤون الأدبية والشعر منها خاصة ، وقد استفاد الشاعران من تبادل الرأي . (٣) وفي زيارات أخرى مماثلة اتفق بدر ونازك على إصدار ديوان مشترك لمفاجأة الأوساط الأدبية بما فيه من شعرهما الحر (٤) . لكن الظروف حالت دون ذلك ، ولم يتحقق .

ففي ربيع ١٩٤٨ انتخب بدر ليمثل طلبة دار المعلمين في المؤتمر الطلابي الأول في العراق الذي انعقد في ساحة السباع في بغداد (٥) . وقد استطاع اتحاد الطلاب الدولي الذي كان يسيطر عليه الشباب الشيوعي أن يؤثر في هذا المؤتمر عن طريق الطلاب الشيوعيين العراقيين الذين حضروه . ولم تشأ الحكومة العراقية أن تتخذ اجراءات للحدّ من حرية الطلاب في البلاد أو غيرهم من المواطنين . ولكن لم تكد حرب فلسطين تبدأ في ١٥ أيار ١٩٤٨ ، ويشترك العراق فيها ، حتى فُرِض القانون العسكري على البلاد . فتعطل الكثير من القوانين العراقية القائمة مما أدى إلى الحد من الحقوق المدنية .

وقد أثارت حرب فلسطين حماسة العراقيين ، لكن نتيجتها السيئة أدت

---

(١) ياسين البريثي : في رسالة إلى المؤلف ، القدس ، ١ حزيران ١٩٦٦ .

(٢) نازك الملائكة : في رسالة إلى المؤلف، شط العرب ، البصرة، ٢٩ حزيران ١٩٦٦ .

(٣) بدر شاكر السياب : في حديث مع مؤيد العبد الواحد في لندن ، نقله الأخير إلى المؤلف في رسالة من البصرة ، ٣٠ آب ١٩٦٦ .

(٤) المصدر نفسه . وكذلك في كتاب «بدر شاكر السياب» ، منشورات أضواء ، ص ١٩ باختصار .

(٥) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت، ٢٣ نيسان ١٩٦٦ . وكذلك السيدة قرينة الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا : في مقابلة مع المؤلف ، بغداد ١٠ كانون الثاني ١٩٦٧ .

إلى مرارة الخيبة والفشل في أعقاب النكبة التي أذهلت العالم العربي كله . وفي هذه الظروف تخرج بدر من دار المعلمين العالية . وكانت نتائج سنته الدراسية الأخيرة أسوأ نتائج حصل عليها في الدار .

وحزم بدر أمتعته في الدار ليعود إلى جيكور . ولكنه لم يفعل ذلك إلا بعد أن أخذ على لميعة عهداً بزيارته قريباً في قريته الجميلة . وكانت هذه آخر فرصة له ، ورجا أن يتمكن من تغيير رأي لميعة . وقد برّت هي بعهدها وزارت جيكور في الصيف ، وقضت مدة بعد الظهر مع بدر (١) . ولكنها لم تغير رأيها . وبعد خمس عشرة سنة قال بدر في قصيدة يذكر هذا اللقاء (٢) :

وتلك ؟ وتلك شاعرتي التي كانت لي الدنيا وما فيها ،
شربتُ الشعر من أحداقها ونعستُ في أفياء
تنشّرها قصائدها عليّ : فكل ماضيها
وكل شبابها كان انتظاراً لي على شطّ يهوّم فوقه القمرُ
وتنعسُ في حماه الطيرُ رش نعاسها المطرُ
فنبّهها فطارت تملأ الآفاق بالأصداء ناعسةً
توجّ النور مرتعشاً قوادمُها ، وتخفق في خوافيها
ظلال الليل . أين أصيلنا الصيفي في جيكور ؟
وسار بنا يوسوس زورق في مائه البلور ؟
وأقرأ وهي تصغي والربى والنخل والأعناب تحلم في دواليها ؟
تفرقتِ الدروب بنا نسير لغير ما رجعه .

وقدم بدر طلباً لوظيفة تعليمية في وزارة المعارف ، فقبل طلبه وعيّن لتعليم اللغة الانكليزية في ثانوية الرمادي ابتداء من تشرين الأول ١٩٤٨ براتب شهري قدره ثمانية عشر ديناراً عراقياً (٣) . فانتقل إلى الرمادي ، وهي بلدة تقع على نهر الفرات على مسافة تسعين كيلومتراً إلى الغرب من بغداد . فأقام في أحد فنادقها .

---

(١) مصطفى السياب : في مقابلة مع المؤلف ، بيروت ١٤ حزيران ١٩٦٦ .
(٢) «شناشيل ابنة الجلبي» : قصيدة «أحبيني» ، ص ٦١ – ٦٢ بتاريخ ١٩ آذار ١٩٦٣ .
(٣) وزارة التجارة : مديرية الاستيراد والتصدير العامة ، رسالة الذاتية رقم ١٤٥٣٤ بتاريخ ١٩٦١/٤/٢٥ إلى المديرية العامة لصندوق التقاعد ، بخصوص تفاصيل خدمة السياب .

وكان متحمساً للتعليم والتأثير في النشء الجديد ، لكنه سرعان ما اكتشف أن أعظم نجاح في الوظيفة لن يجعله سعيداً بحدّ ذاته . فقد كان وحيداً في بلدة واسعة لا يكاد يعرفه فيها أحد . وفي نهاية أسبوعه الأول في المدرسة كتب قصيدة عنوانها «ستار» (١) يتذكر فيها حبه فقال :

كالشاطىء المهجور قلبي ، لا وميض ولا شراعْ
في ليلة ظلماء بلّ فضاءها المطرُ الثقيلْ
لا صرخة اللقيا تطيف به ، ولا صمتُ الرحيلْ

وكانت كتابة الشعر تعزيته الكبرى . وكان يرسل قصائده لتنشر في جرائد بغداد . وقد اشتهرت إحدى هذه القصائد بصورة خاصة وهي قصيدته «في السوق القديم» (٢) التي نشرها سليم طه التكريتي في جريدته «العصور» (٣) فهي من الشعر الحر الذي أخذ يزداد جرأة كل يوم في صحف العراق . وفي هذه القصيدة يتذكر بدر صوراً من سوق الرمادي القديم المسقوف بالقناطر حيث كان يسير في إحدى الأمسيات :

أليلُ ، والسوق القديم
خفتتْ به الأصواتُ إلا غمغمات العابرين
وخطى الغريب وما تبثّ الريح من نغم حزين
في ذلك الليل البهيم .
أليل ، والسوق القديم ، وغمغمات العابرين ،
والنور تعصره المصابيح الحزانى في شحوب ،
— مثل الضباب على الطريق —
من كل حانوت عتيق ،
بين الوجوه الشاحبات ، كأنه نغم يذوب
في ذلك السوق القديم .

---

(١) «أساطير» : ص ٧٣–٧٥ . وأعيد طبعها في «أزهار وأساطير» ، ص ١٠٢ – ١٠٧ . وتاريخها ٨ تشرين الأول ١٩٤٨ .
(٢) «أساطير» : ص ١١–١٦ . وأعيد طبعها مع تصحيحات في «أزهار وأساطير» ، ص ٢٩ – ٤٠ وتاريخها ٣ تشرين الثاني ١٩٤٨ .
(٣) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ١١ .

ثم يتذكر الشاعر الليالي المقمرات في الجنوب ولقاء الحبيبة قبل عام ومعانقتها تحت أضواء الطريق . ويذوب الماضي في الحاضر بحسرة وألم في هذه القصيدة .

وفي أحد أيام كانون الأول ١٩٤٨ ، ذهب بدر إلى بغداد ونجح في مقابلة لميعة . لكن لامبالاتها خيبت أمله ، وكتب قصيدة «لقاء ولقاء» (١) يصف عدم اكتراثها وملالها واكتئابه ، إذ إنه لم يظفر منها بالانفراد الذي كان يرجوه ، وأدرك أنها لم تعد تلك «التي بها تحلم الروح» .

وفي كانون الثاني ١٩٤٩ ، عاد بدر إلى جيكور ليقضي العطلة المدرسية مع أهله . وكانت وزارة الباجهجي التي تسلمت زمام الحكم بعد محمد الصدر في تموز ١٩٤٨ قد استقالت في ٦ كانون الثاني ١٩٤٩ ، فأصبح نوري السعيد رئيساً للوزارة ، وكان أول عمل قامت به حكومته أن واصلت حملة الحكومة السابقة ضد الشيوعيين . وتذرعت بالقانون العسكري الذي كان لا يزال مفروضاً على البلاد . فاعتقلت المئات وحُكم على كثير من الشيوعيين وغيرهم بأحكام شديدة بتهم الثورة والخيانة. وحُكم بالموت على أربعة من قادة الشيوعيين وهم يوسف سلمان («فهد») ، ويهودا صديق ، وزكي بسيم ، وحسين محمد الشبيبي ، ونفذ بهم هذا الحكم رغم احتجاجات الصحافة العالمية الشيوعية الغاضبة (٢) . وزعمت الحكومة أنها قبضت على أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي وصادرت قيودها وسجلاتها ، وبذلك قصمت ظهر الحركة في البلاد .

وقُبض على بدر في قريته ونُقل منها إلى البصرة ومن ثم إلى سجن بغداد (٣) . واستغني عن خدماته في وزارة المعارف رسمياً في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٩ (٤) . وأفرج عنه بكفالة (٥) بعد بضعة أسابيع ، ومُنع إدارياً من التدريس لمدة عشر سنوات (٣) . فعاد إلى جيكور ، وهو يرجو شيئاً من الراحة بعد المعاملة القاسية التي لقيها في السجن . ثم توجه إلى البصرة ، وبدأ يبحث عن عمل . وبعد فترة

---

(١) «أساطير» : ص ٧٦ – ٧٨ . وأعيد طبعها في «أزهار وأساطير»، ص ١٣٤–١٣٨ وتاريخها ١٤ كانون الأول ١٩٤٨ .

(٢) Stephen H. Longrigg: Iraq, 1900 to 1950. pp. 355-356.

(٣) السيدة إقبال زوجة السياب : في مقابلة مع مؤيد العبد الواحد ، نقلها للمؤلف في رسالته ، البصرة ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ .

(٤) وزارة التجارة : مديرية الاستيراد والتصدير العامة ، رسالة الذاتية رقم ١٤٥٣٤ بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٦١ .

(٥) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ٢٣ نيسان ١٩٦٦ .

من البطالة اشتغل ذرّاقةً للتمر مدة في شركة التمور العراقية في البصرة ، ثم عمل كاتباً في شركة نفط البصرة (١) . ومن الممكن أن يكون قد نظم بعض القصائد في هذه الظروف ، ولكنه لم ينشر أياً منها في مجموعاته . في هذه الأيام ذاق ذل الفقر والظلم والفشل ، وكان في غاية الشقاء .

وعندما لم يستطع أن يطيق من أمره المزيد رحل إلى بغداد أملا في الحصول على عمل أفضل . لكن مدة من البطالة طويلة واجهته . فكان يقضي معظم أيامه جالساً في مقهى حسن العجمي يساعده في حاجاته اليومية أحياناً أصدقاء مثل أكرم الوتري ، ومحيي الدين اسماعيل ، وخالد الشواف (٢) . واشتغل مدة مأموراً في مخزن لإحدى شركات تعبيد الطرق في بغداد (٣) ثم تنقل من عمل يومي إلى آخر .

وفي صيف ١٩٥٠ كان بدر قد استبدّ به اليأس إذ جلس ليلة مع صديقيه علي الخاقاني وأكرم الوتري في أحد مقاهي بغداد . فشجعاه بكلمات الحب والوفاء والتقدير (٤) . ثم عرض عليه علي الخاقاني أن ينشر له آخر شعره في مجموعة جديدة كتب لها مقدمة تقريظية (٥) . ولم تلبث هذه المجموعة الجديدة أن طبعت في النجف في أيلول ١٩٥٠ باسم «أساطير» . وقد جلبت له كثيراً من الهناء وأعادت اليه حبه للحياة . فلا عجب أنه أهداها إلى صديقيه هذين .

وكتب بدر لمجموعته هذه مقدمة (٦) يسترعي فيها انتباه القارىء إلى أهم صفات المجموعة . ومنها استعمال البحور ذات التفاعيل الكاملة واختلاف عدد التفاعيل من بيت إلى آخر ، ومنها أيضاً تسلسل المعنى من بيت إلى آخر ، سالكاً عدداً من الأبيات . وذلك لأن البيت لم يعد وحدة مستقلة في القصيدة ولذلك وجبتْ مراعاة علامات الترقيم بدقة ، ومنها كذلك العمد إلى فن ناتج عن تداعي

---

(١) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٣٠ آب ١٩٦٦ نقلا عن اعتراف السياب له في لندن .

(٢) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ١٢ . وكذلك محيي الدين اسماعيل : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ٥ آب ١٩٦٦ .

(٣) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٣٠ آب ١٩٦٦ ، نقلا عن اعتراف السياب له في لندن .

(٤) إقرأ كلمة الاهداء لهذين الصديقين في «أساطير» ، ص ٢ .

(٥) علي الخاقاني : «أساطير» ، ص ٤ .

(٦) «أساطير» : «مقدمة» ، ص ٥ — ٨ .

المعاني ومزج الوعي باللاوعي وتلوين الأمل بالذكرى . ثم تحدث بدر عن موقفه من الجنس اللطيف فقال (١) : «فقدتُ أمي وما زلت طفلا صغيراً ، فنشأت محروماً من عطف المرأة وحنانها . وكانت حياتي وما تزال كلها بحثاً عمن تسدّ هذا الفراغ . وكان عمري انتظاراً للمرأة المنشودة وكان حلمي في الحياة أن يكون لي بيت أجد فيه الراحة والطمأنينة . وكنت أشعر أنني لن أعيش طويلا .»

وبعد انقضاء عدة سنين ، كتب بدر ان مجموعته هذه تعود إلى «أعظم فترة حب في حياتي .» (٢) فقد كانت لميعة هي ملهمة قصائد الحب فيها ، وإن لم يُذكر اسمها قط فيها . لكن بدراً صدّر بعض هذه القصائد بمقدمات نثرية قصيرة ليلمح إلى القارىء بقصده الغامض منها بعد أن فشلت علاقته بلميعة .

غير أن مضمون المجموعة الطاغي من قصائد الحب جعل بدراً يخبر القارىء في المقدمة أن لديه «مجموعة ضخمة من الشعر الاجتماعي والانساني ستطبع في المستقبل القريب .» وكأن شاعراً له ما لبدر من العقائد الشيوعية كان عليه أن يبرّر قصائده في الحب . لذلك أسرع إلى تأكيد رسالة الفنان في المجتمع . ولكنه في الوقت عينه رفض أن يجعل الفنان ، وبخاصة الشاعر ، عبداً لأية عقيدة اجتماعية ، وأعلن عن ايمانه بضرورة المحافظة على حرية الشاعر في التعبير عن نفسه . لأنه كان يؤمن ان للشاعر رسالة هي دَيْنُهُ الذي يجب أن يؤديه لمجتمعه ، وذلك بالتعبير عن آلام المجتمع وآماله التي هي آلام الشاعر نفسه وآماله إذا كان صادقاً في التعبير عن الحياة (٣) .

وكانت قصيدة «إلى حسناء القصر » (٤) هي القصيدة الوحيدة ذات المضمون الشيوعي الثوري في المجموعة . ومن الممكن أن يكون قد كتبها وهو يفكر بالفتاة الثرية ذات الغمازتين . ففي هذه القصيدة يخاطب بدر فتاة جميلة غنية تعيش بترف في قصر ، ناعمة بكل ما توفره الثروة ، لاهية عن شقاء العمال الذين أنتجوا كل ما تتمتع به . وتنبأ لها بأن قصرها سيُحيله الثوار الغاضبون أنقاضاً ، وأن لآلئها ستنزعها الأكفّ الدامية ، وأن ثيابها العاطرة ستؤخذ لتكسو الأجسام العارية . ولن يكون هناك جوع وعري بعد أن يثور الشعب ويحطم الأصفاد .

---

(١) المصدر نفسه : ص ٧ — ٨ .
(٢) بدر شاكر السياب : في رسالة إلى سيمون جارجي، المعقل، ١٢ تشرين الأول ١٩٦٣ ، مصورة في كتاب «بدر شاكر السياب» ، منشورات أضواء ، ص ١٣٨ .
(٣) «أساطير» : «مقدمة» ، ص ٨ .
(٤) «أساطير» : ص ٨٨ — ٩٣ .

ولن يبخل الشعب بالدماء ليبني عالماً سعيداً ينتصر فيه اليسار على اليمين .

وظل بدر موالياً للحزب الشيوعي أو لما تبقى منه ، وظل كل سنة يوقع عريضة أنصار السلام (١) . لقد كان الأصدقاء الذين يخالطهم يساريين إن لم يكونوا شيوعيين . وقد وظّفه الشاعر اليساري محمد مهدي الجواهري في جريدته «الثبات» محرراً ومترجماً (٢) لكنه ظل ينتقل من جريدة إلى أخرى مثل «الجبهة الشعبية» و «العالم العربي» (٣) . وفي الأخيرة نشر ترجماته لبعض قصائد الشاعر التركي الشيوعي ناظم حكمت وكان شديد الاعجاب به (٣) . وكان حكمت قد أطلق سراحه في تلك الأيام بعد سجن دام ثلاث عشرة سنة .

لكن عمل بدر في الصحافة كان غير منتظم ، لأن الحكومة كانت كثيراً ما توقف الجرائد أو تعطلها لأسباب سياسية مختلفة . لذلك بحث عن وظيفة أثبت من ذلك . وفي آب ١٩٥١ ، عُيّن كاتباً على ملاك المستخدمين الدائم في مديرية الأموال المستوردة العامة براتب شهري قدره ١٥ ديناراً (٤) .

وعلى الرغم من أنه لم يكن يحب عمله الرتيب غير الخلاق في هذه الدائرة الحكومية ، الا انه كان يقوم به على خير وجه . وفي أيار ١٩٥٢ منح زيادة شهرية على راتبه قدرها ثلاثة دنانير (٥) . أما نشاطه الأدبي فقد وجد له منفذاً في حلقة من الشباب أكثرهم من البصرة كانت تدعو نفسها «أسرة الفن المعاصر» ومن أعضائها عبد الوهاب بلال ، وطه العبيدي (٦) . وكان هؤلاء الشباب يجتمعون ليتباحثوا في آخر ما جدّ من نتاجهم الأدبي ويتعاونوا على نشر أفضل ما يختارون منه . وكان من ذلك ترجمة بدر لقصيدة لويس أراغون «عيون إلزا» إلى العربية عن الترجمة الإنكليزية (٧) .

---

(١) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت، ٢٣ نيسان ١٩٦٦ .

(٢) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ١٢ . وكذلك محيي الدين اسماعيل : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت، ٥ آب ١٩٦٦ .

(٣) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ١٣ .

(٤) وزارة التجارة : مديرية الاستيراد والتصدير العامة ، رسالة الذاتية رقم ١٤٥٣٤ بتاريخ ١٩٦١/٤/٢٥ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ١٥ .

(٧) عبد الجبار داود البصري : «بدر شاكر السياب ، رائد الشعر الحر»، دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٨٣ . وكذلك مصطفى السياب : في رسالته إلى المؤلف ، بيروت ٢٣ نيسان ١٩٦٦ .

في هذه الأيام بدأ بدر يدرك أهمية القصيدة الطويلة للعصر الحديث . كان في السابق قد كتب عدة قصائد ذات طول نشرها في مجموعاته ، لكنها كانت في الغالب قصائد غنائية وكان طولها نتيجة اهتمامه بالكمية لا بالنوع أو كان نتيجة اهتمامه بموضوع طويل لا بموضوع معقد . وكانت مطالعاته في الشعر الغربي الحديث ونقده قد بدأت تؤثر في نظرته إلى القصيدة الطويلة . وقد بحث هذه النقطة مع صديقه محيي الدين اسماعيل ، واتفقا على أن القصيدة الطويلة أنسب شكل للتعبير عن طبيعة الحياة العصرية المعقدة الحافلة بالصراع (١) .

وكان بدر قد قضى بعض الوقت في نظم قصيدتين طويلتين ، الأولى عنوانها «أجنحة السلام» والثانية عنوانها «اللعنات» . وكان قد نظم من الأولى حوالي أربعمئة بيت ، ومن الثانية حوالي مئتين وخمسين بيتاً . وكان يعود اليهما باستمرار ليضيف اليهما أو ليحذف منهما ، ولكنه لم يرضَ عن أي منهما لينشرها كاملة . ولذلك بقيتا ناقصتين وغير منشورتين . وقد نظرتُ في مخطوطة قصيدة «اللعنات» (٢) التي يحتفظ بها في البصرة أخو زوجة بدر ، فوجدتُ صعوبة كبيرة في قراءة بعض الأبيات . وذلك لأن بعض الكلمات أو العبارات قد شُطب وأعيد كتابته في حيّز ضيّق ، بالحبر مرة وبقلم الرصاص أخرى ، بحيث طُمست معالم الكتابة طمساً . والقصيدة من البحر البسيط ، وتتألف من عدة مقاطع لكل منها عنوان . والمقاطع مختلفة الطول ، ولكل منها قافية واحدة إلا اذا انقسم اجزاء ، فلكل جزء عندئذ قافيته المختلفة . ويلاحظ أن ألفاظ القصيدة جزلة وكأنها قدّت من صخر يتطاير شرر الغضب منه تحت إزميل الشاعر . ويُرى العالم بأسره في القصيدة وكأنه واد جهنمي مظلم يعج بالأشقياء من البشر الأحياء والأموات الذين ظلمهم الطغاه المستبدون . وإبليس يحث الطغاة على كل شرّ وإثم فلا يجدي معهم نذير الله . وتعمد الجماهير الجائعة الفقيرة إلى الثورة لإزالة الظلم والطغيان وتمتلك زمام الأمور بيدها . وتحظى الصين الشعبية من الشاعر بتعاطف عميق في ثورتها الحمراء ويقف الإنسان في نهاية الأمر وهو سيد مصيره في عالم عادل ترفرف عليه أجنحة السلام .

ويبدو أن البحر والرويّ قد حدّا من حرية بدر في معالجة موضوعه في هذه القصيدة ذات النفس الملحمي . وقد يكون ذلك سبب تركه لها ناقصة ليبدأ قصيدة أخرى طويلة من الشعر الحر . ولكنه في قصيدته الجديدة هذه أراد أن

---

(١) محيي الدين إسماعيل : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ١٩ تموز ١٩٦٦ .

(٢) انظر الملحق ، «اللعنات» ، ص ٢٦٢ وفيها ٧٢ بيتاً من القصيدة .

يرى الظلم والتعقيد في الحياة من خلال تجربة إنسان واحد . وكانت النتيجة قصيدة طويلة عنوانها «حفار القبور» (١) نشرت في بغداد سنة ١٩٥٢ .

وتتألف هذه القصيدة من ٢٩٩ بيتاً من الشعر الحر . وقد امتزج فيها الأسلوب القصصي بمقاطع طويلة من الوصف الذي يهيء جو الأحداث والمشاعر . فتبدأ القصيدة بمقدمة كئيبة في وصف مقبرة عند الغروب يليها ظهور حفار القبور الذي لم يدفن أحداً مدة أسبوع كامل . فصار يتمنى موت أي إنسان ليدفنه حتى يكسب عيشه . بل إنه يتمنى نشوب حرب دامية لتكون له حياة موفورة إذ يجدّ في دفن القتلى من كل الأعمار بلا رحمة . وعندما يوبخه ضميره على هذه التمنيات الشريرة ، يبرّرها بجهله وجوعه ، ويعتبر نفسه أقل شوماً على البشر من تجار الحروب أنفسهم الذين فقدوا كل رحمة ، فهم في الواقع المجرمون الحقيقيون . ثم تظهر جنازة في القصيدة ، ويهبط الليل على حفار القبور وهو في طريقه إلى المدينة وفي يده المال الذي كسبه من الدفن . ويذهب إلى حانة يشرب الخمر ، فيندب هناك حظه من الفقر ويحلم بإرضاء رغباته الجنسية الصارخة ، فيذهب بعد ذلك إلى مومس يطفىء عندها لهيب الرغبات . ثم يعود إلى المقبرة وإلى وحدته الكئيبة فيها وأحلامه الحسّية المهوّمة حول المرأة . وإذا بجنازة قادمة . ويقوم ليدفن الميت فيجد في التابوت جسد المومس نفسها . وهكذا يسترجع بدفنها المال الذي كان قد أعطاها إياه وتظل أنوار المدينة تلمع له من بعيد إذ ينأى عن القبر الجديد ليحلم بالنساء والخمور .

إن حفار القبور في هذه القصيدة ضحية النظام الاجتماعي الفاسد بقدر ما هو ضحية شهوته العارمة . وقد فشل بدر في إثارة القارىء ضد هذا النظام الفاسد كما أظنه فشل في استدرار العطف على حفار القبور نفسه . لكن المأساة هي مأساة رجل أفقده الفقر كل إحساس حتى غدا عاجزاً عن التفكير السوي أو العمل المعقول ، وهي كذلك مأساة المجتمع الذي يتجاهل مثل هذا الفقر والشقاء من الناحية الأخرى ويترك عجلة الاقتصاد الرأسمالي تدور فتنثر فتات الخبز والمال الضئيل على الفقراء .

في غضون ذلك كانت إيران في اضطراب وغليان سيكون لهما أثر في العراق . ففي ١٩٥١ صدر قانون تأميم البترول في إيران ، وأصبح الدكتور مصدّق

---

(١) بدر شاكر السياب : «حفار القبور» ، مطبعة الزهراء ، بغداد ١٩٥٢ ، وقد أعيد طبعها في «أنشودة المطر» ، دار مجلة شعر ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٢٢٩ – ٢٤٨ .

في نيسان رئيساً للوزارة . فطالب عدد من أعضاء البرلمان العراقي بتأميم شركة نفط العراق والشركات التابعة لها . وأجرت الحكومة العراقية محادثات مع شركات النفط ، خلال ١٩٥١ ، مستفيدة من الأحداث الجارية في إيران ومن حملات الأحزاب المعارضة في العراق للحصول على شروط حسنة . وعندما وقعت اتفاقية جديدة وصودق عليها في شباط ١٩٥٢ وبموجبها حصل العراق على نصف أرباح الشركات ، قامت المعارضة بتنظيم إضراب عام ومظاهرات مطالبة بشروط أفضل من هذه . لكن نوري السعيد أسرع إلى اتخاذ إجراءات حاسمة لحماية الاتفاقية . وفي تموز ١٩٥٢ أصبح مصطفى العمري رئيساً للوزارة ، فقدمت المعارضة طلباتها إلى الوصيّ على العرش وقد شجعها نجاح الثورة في مصر . وكان من بين ما طالبت به حق الانتخاب المباشر للجميع وتحديد ملكية الإرض وإلغاء معاهدة سنة ١٩٣٠ (١) .

ولم يكن ردّ الوصيّ مُرضياً ، فهدّدت المعارضة بمقاطعة الانتخابات القادمة إلا إذا أجريت على مرحلة واحدة بالانتخاب المباشر بدلا من مرحلتين . وفي ٢٢ تشرين الثاني ١٩٥٢ أضرب طلاب كلية الصيدلة في بغداد ، ونتج عن ذلك الإضراب مظاهرات صاخبة هزت العاصمة اشترك فيها بدر (٢) مع رفاقه الشيوعيين . وفقدت الشرطة زمام الأمر إذ سيطر القوميون والشيوعيون على الموقف . فاستدعي الجيش العراقي ليعيد الأمن والنظام ، وأصبح رئيس الأركان اللواء نور الدين محمود رئيساً للوزارة فأعلن الحكم العسكري في الحال وأغلق المدارس وأوقف الجرائد . وكان بين المعتقلين عدد كبير من أصدقاء بدر فخاف أن يجيء دوره (٣) . فاختبأ مدة ثم هرب من بغداد إلى بعقوبة شمالا (٤) وهو يرجو أن يعبر الحدود الى إيران . ولما أدرك تعذر الهروب من هناك عاد إلى بغداد حيث ساعده صديقاه محمد وموسى النقدي على التخفي . فأعطياه

---

(١) George Lenczowski: The Middle East in World Affairs. Cornell University Press, Ithaca, N.Y., 3rd ed., 1962., p. 285.

(٢) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف، بيروت، ٢٣ نيسان ١٩٦٦. راجع جلال كمال الدين : « الشعر العربي الحديث وروح العصر » ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٣٠٠ .

(٣) مصطفى السياب : المصدر المذكور .

(٤) السيدة إقبال السياب : في مقابلة مع مؤيد العبد الواحد نقلها إلى المؤلف في رسالته ، البصرة ، ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ .

كوفية وعقالا وألبساه دشداشة (١). فانتقل بدر جنوباً إلى المسيّب على نهر الفرات ومنها أخذ القطار إلى البصرة ثم توجه إلى أبي الخصيب بالسيارة ، ومن ثم إلى قريته جيكور حيث لم يعرفه حتى بعض أصدقائه وأقاربه إلا عندما تحدث معهم (٢). ثم عبر شط العرب على قارب إلى عبادان في خوزستان (عربستان) . وفي ١٢ كانون الثاني ١٩٥٣ فصل بدر رسمياً من وظيفته الحكومية بأمر وزاري ، اعتباراً من ٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٢ (٣).

وكان الدكتور مصدّق قد زُجّ به في السجن . وعلى الرغم من أن الشيوعيين في إيران كانوا لا يزالون أقوياء فإنهم لجأوا إلى الخفاء لتجنّب الإجراءات التي اتخذها ضدهم رئيس الوزارة الجديد الجنرال زاهدي . وقضى بدر بعض الوقت في المحمرّة (خُرّمْشَهْر) وفي عبادان حيث أفادته علاقاته بأعضاء حزب توده الشيوعي ، إذ جهزوه بجواز سفر إيراني باسم علي آرتنك (٤). وفي ليلة مظلمة في أوائل ١٩٥٣ غادر بدر عبادان على ظهر سفينة شراعية متوجهاً إلى الكويت . وقد تذكر هذه الرحلة بعد تسع سنين ، فكتب قصيدة بعنوان «فرار عام ١٩٥٣» (٥) وفيها يقول :

في ليلة كانت شرايينها
فحماً ، وكانت أرضها من لحود
يأكل من أقدامنا طينها ،
تسعى إلى الماء ،
إلى شراع مزّقته الرعود
فوق سفين دون أضواء ،
في الضفة الأخرى ... يكاد العراق
يومىء : يا أهلا بأبنائي

---

(١) مصطفى السياب : المصدر المذكور .
(٢) فؤاد طه العبد الجليل : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ، ٧ تموز ١٩٦٦ .
(٣) وزارة التجارة : مديرية الاستيراد والتصدير العامة ، رسالة الذاتية رقم ١٤٥٣٤ بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٦١ .
(٤) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة، ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ ، نقلا عن بدر شاكر السياب .
(٥) بدر شاكر السياب : « المعبد الغريق» ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٦٢ ، ص ١٣١ – ١٣٦ .

لكننا ، واحسرتاه ، لن نعود .
أواه لو سيكارة في فمي
لو غُنْوة ... لو ضمةٌ ، لو عناق
لسعفة خضراء أو برعم
في أرضيَ السكرى برؤيا غدِ .
إنا مع الصبح على موعد
رغم الدجى ... يا عراقَ !

وفي الكويت نزل بدر مع عدد من رفاقه الشيوعيين في بيت استأجروه معا (١) . ووجد لنفسه وظيفة مكتبية في شركة كهرباء الكويت (٢) لكنه كان يعيش حياة اللاجىء الذي يحنّ بلا انقطاع إلى وطنه . ولم يكن رفاقه الشيوعيون في البيت من المثقفين ، فقد كانوا من أنصاف المتعلمين وإن لم يذكر أحداً منهم باسمه لصديقه محيي الدين اسماعيل . لكنه قال له فيما بعد إنهم كانوا يعتبرونه مجرد لسان ناطق لحركتهم لأنه لم يكن سوى شاعر ، والمناضل أرفع شأناً من الشاعر ، وكانوا يعاملونه معاملة جافية (٣) .

وكان بدر في أوقات فراغه يجلس في مقهى كان يجتمع فيه أكثر العراقيين . وفي إحدى الأمسيات الحارة بدأ يكتب قصيدة في المقهى لكنه لم يلبث أن توقف بعد بضعة سطور وذهب ، فالتقط صديقٌ القصيدة الناقصة ثم نشرها بعد سنوات في جريدة عراقية بعد موت بدر . وهي قصيدة ذات قيمة أدبية قليلة لكنها تعبر عن مشاعر الحنين عند بدر وفيها يقول (٤) :

هو البحر ... لا زال يسخر في كل حينْ
بهذا الشراع الضعيف ينوء به صدر هذا السفين
ويسخر من كل ما يرهق المبحرين
هو البحرُ ..
لا زال بيني وبين العراق
وبيني وبين السنين

---

(١) محيي الدين إسماعيل : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ، ٥ آب ١٩٦٦ .
(٢) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ، ٦ حزيران ١٩٦٦ ومقابلته مع المؤلف ، بيروت ، ١٤ حزيران ١٩٦٦ .
(٣) محيي الدين إسماعيل : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ، ٥ آب ١٩٦٦ .
(٤) نقلا عن مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ، ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ .

هو البحر ... سوراً من الماء قام
بوجهي ... بوجه الحنين
لو انيَ موسى ... رفعتُ لديه عصاي
وصحت به ... كن معيني على الظالمين
أعدني إلى رَبوات الحنينِ
أعدني لأهلي ... لمغنى صباي
لو أنيَ موسى .. رفعت بوجه الخضمّ اليدين
صرخت به : انشقّ لي لجتين
لأرجع عبر صغاري ... وداري
لأجمل ما تقع العينُ يوماً عليه
لأرجع عبر الـ

ولم ينهِ بدر هذه القصيدة لكن فكرة البحر الذي يفصله عن الوطن ما زالت تراوده حتى نجح أخيراً في بلورتها بقصيدة من أجمل ما كتب في هذه الفترة وعنوانها « غريب على الخليج » (١). ولا ريب أن بدراً بالغ في صعوبة العودة إلى وطنه ولكن ذلك في محاولة لتصوير حالة الفقر السيئة التي كان عليها وحالة العراق السياسية الفاسدة التي كانت بعيدة عن عراق أحلامه . فالعراق في هذه القصيدة ليس كياناً جغرافياً ، إنه سلسلة من الذكريات الشخصية العزيزة تستثيرها دورة اسطوانة موسيقية سمعها الشاعر في منفاه : ذكريات تتراوح بين صوت أمه في الظلام يرنم له حتى ينام ، وخوفه صبياً من الأشباح التي يكتظ بها النخيل مع الغروب ، والقصص الشعبية الساحرة التي ترويها النساء للأطفال المصطلين حول التنور بينما الرجال يعربدون ويسمرون خارج البيت . ويرى الشاعر العراق في محبوبة لا يسميها شاركته كل هذه الذكريات ، ولا بد انها وفيقة إحدى قريباته .

يقول بدر في وصف نفسه في المنفى (٢) :

ما زلت أضرب ، مُتْرِبَ القدمين أشعثَ ، في الدروبِ
تحت الشموس الأجنبيه ،
متخافق الأطمار ، أبسط بالسؤال يداً نديّه
صفراء من ذلّ وحمّى : ذلّ شحاذ غريبِ
بين العيون الأجنبية ،

(١) بدر شاكر السياب : «أنشودة المطر» ، ص ١١ — ١٧ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١٤ .

بين احتقار ، وانتهار ، وازورار ... أو «خطيّه»
والموت أهون من «خطيّه» ،
من ذلك الاشفاق تعصره العيون الأجنبيه
قطرات ماء ... معدنيّه !

كان في حاجة ماسّة إلى المال ليعود إلى بلده ، وما كاد يجمع ما يكفي حتى عاد بدر إلى العراق بعد حوالي سنة من التشرد . وكان فيصل الثاني قد جلس على عرش العراق في أيار ١٩٥٣ وأصبح فاضل الجمالي رئيساً للوزراء . وتوجه بدر إلى بغداد ليفتش عن عمل بعد أن بقي مدة مع أسرته في الجنوب . وفي العاصمة نزل في أحد الفنادق الرخيصة ، هو فندق شعبة عدنان (١) . وكان يلتقي بأصدقائه القدماء في مقهى حسن العجمي ومن بينهم محيي الدين اسماعيل الذي حدّثه بأن اليسار الماركسي سيهتم به ويعيده إلى صفه . لكن بدراً قال إنه سيقاوم بصراحة كل اهتمام من هذا القبيل رغم أزمته المالية (٢) . وفي الأمسيات كان بدر يلتقي المزيد من أصدقائه القدامى في مقهى الفرات بشارع الأمين مثل الشعراء كاظم جواد ، وعبد الوهاب البياتي ، وصاحب ياسين ، ورشيد ياسين ، وخالد الشواف ، وأكرم الوتري ؛ والقصاصين عبد الرزاق الشيخ علي ، وشاكر خصباك ؛ والصحفي محمود العبطة ، والنحات خالد الرحال وغيرهم (٣) . وكان هؤلاء الاصدقاء جميعاً من اليساريين وكان بعضهم من الشيوعيين . وقد أصرّ صديق شيوعي هو عبد الجبار وهبي أن يأخذ حقائب بدر من الفندق إلى بيته وقد علم بضيق ذات يده . لكن بدراً رفض ، على ما يروي محيي الدين اسماعيل الذي كان معه إذ ذاك في مقهى حسن العجمي (٤) .

وقد انفرجت أزمة بدر المالية قليلا عندما اشتغل مدة في جريدة «الدفاع» لصادق البصام (٤) . ثم تحسنت حالته عندما أعيد تعيينه بأمر وزاري في مديرية الاستيراد والتصدير العامة براتب شهري قدره واحد وعشرون ديناراً ، اعتباراً

---

(١) محيي الدين إسماعيل : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت، ٥ آب ١٩٦٦ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه . وكذلك محمود العبطة في كتابه المذكور ، ص ١٣ – ١٤ . وشاكر خصباك في رسالة إلى المؤلف من الرياض في ٢١ تشرين الأول ١٩٦٦ .
(٤) محيي الدين إسماعيل : المصدر المذكور .

من ٢٣ كانون الأول ١٩٥٣ (١) . وقد انتقل بعد ذلك إلى بيت متواضع استأجره في الأعظمية بشمال بغداد وطلب من عمته آسيه أن تأتي من جيكور لتدير له شؤون البيت . لكن مع ذلك لم تكن له حياة بيتية تذكر . فقد كان يقضي معظم أوقات فراغه في مقاهي بغداد مع أصدقائه ، يتحدث عن الحوادث الجارية ويناقش أمور الأدب والفن ويجادل في الخلافات العقائدية أو يعلق بالحماسة نفسها على جمال فتاة مارة . وكان يحب أن يقضي الساعات المتأخرة من الليل مع حلقة مختارة من الأصدقاء في إحدى الحانات الرخيصة في شارع الأمين (٢) أو في إحدى الحانات الراقية المدعوة كازينوهات والمطلة على نهر دجلة في شارع أبي نواس ، لكن مجلسه المفضل كان في كازينو تروكاديرو في شارع النهر (٣) . وكان يشرب من غير إسراف ويدخن بكثرة (٣) . وفي مثل هذه المناسبات ، كان لا يملّ من قراءة ما جدّ من شعره على أصدقائه وكانوا هم لا يملون من سماعه على الرغم مما في إلقائه من دراماتيكية لم تبدُ مريحة في أحيان كثيرة (٤) . وكان يحب أن يروي النكات ويرتب المقالب الهازلة لأصدقائه (٥) ويتفكه على السذّج من الناس . ولم يفقد يوماً روح الفكاهة حتى في أحلك لحظات حياته . لكن الخلافات العقائدية كانت تجعل مناقشاته مع بعض أصدقائه حادة اللهجة تكاد تصل إلى درجة الشتم والضرب مع كاظم جواد أو رشيد ياسين مثلا (٦) .

وكان بدر أحياناً يحب أن يكون وحيداً أو مع صديق واحد . فكان يرحب بالشاعر بلند الحيدري إذ يقرع باب داره الصغيرة المظلمة في الأعظمية ويدعوه ليخرج معه فيسيران على شاطىء دجلة مساء لعدة ساعات تنتهي لا محالة في مقهى أو حانة حيث يتبادلان قصاصات من الورق عليها شعر . وإذا أرادا الهرب من الصمت ، كانا يذهبان إلى دار صديق حيث يستمعان حتى ساعة متأخرة من الليل إلى ت. س. إليوت، وإيدث ستويل ، وديلان توماس، يلقون شعرهم

---

(١) وزارة التجارة : مديرية الاستيراد والتصدير العامة ، رسالة الذاتية رقم ١٤٥٣٤ بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٦١ .

(٢) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ١٤ .

(٣) محيي الدين اسماعيل : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت، ٥ آب ١٩٦٦ .

(٤) بلند الحيدري : «بدر شاكر السياب ، الذاهب كالمطر » ، في مجلة «الأديب» ، بيروت ، شباط ١٩٦٥ ، ص ٥٦ – ٥٧ .

(٥) محمود العبطة : المصدر المذكور . ومحيي الدين اسماعيل : المصدر المذكور .

(٦) محمود العبطة : المصدر نفسه .

في تسجيلات صوتية محببة لا يغادر بدر الدار بعدها قبل أن يسمع إيدث ستويل مرة أخرى (١) .

وعندما كان بدر يشعر بالوحدة ولا يستطيع أن يتمالك نفسه ، كان يذهب إلى مبغى بغداد . ولا بد أنه كان يعاني من وخز الضمير بعد مثل هذه الزيارات . فقد رآه صديق له في ساعة متأخرة من الليل جالساً على حافة الرصيف قرب المبغى بعد زيارة لإحدى المومسات هناك . وكان قد اشترى بضعة أرغفة من حانوت قريب وجعل يقطع الخبز قطعاً صغيرة يطعمها الكلاب السائبة التي كانت تحوم حوله . فلما اقترب منه الصديق ، رآه يبكي ورائحة الخمر تفوح من فمه (٢) . وهذه الحادثة ترمز إلى الحالة العاطفية والعقلية التي كان عليها بدر في هذه المرحلة الحرجة من حياته .

فقد كان يشعر أنه كان ينحدر عن المثالية التي كان يريدها لنفسه . كان ممزقاً بين مطامحه المثالية وبين ضعف الطبيعة البشرية فيه ، كان يتفطر بألم بين آماله الكبرى من أجل مجتمع أفضل وبين ما يبدو له من مظاهر الجمود في أحوال العراق . كان ضحية ضرورات الحياة الواقعية التي لم تكن لترحمه أقلّ رحمة . فها هي وفيقة التي جسّدت سراً كل ما هو مثالي بالنسبة له منذ أيام المراهقة تموت مؤخراً وهي لم تكد تتجاوز الثلاثين من عمرها ، فتتركه حائراً بلا جذور . وها هي تجاربه الأخرى في الحب تفشل كلها بلا استثناء . وها هو كفاحه السياسي لا يؤدي به إلا إلى التشرّد والشقاء ، ولا يقدّره حتى الشيوعيون أنفسهم . فقد بدأ يشعر في المدة الأخيرة بالجفاء بينه وبينهم وبدأ ينكر أعمالهم وأساليبهم . أما من جهتهم فقد بدأوا هم أيضاً يميلون بازدياد إلى اعتبار عبد الوهاب البياتي شاعرهم الناطق بلسانهم .

إن كل ما كان عميقاً ورائعاً في نفس بدر كان يصرخ منادياً بالتغيير . وكانت أزمته الروحية جزءاً من أزمة العالم العربي كله . فقد كانت الدول العربية الحديثة الاستقلال في شرقي البحر الأبيض المتوسط ما زالت تتحسّس مكانها تحت الشمس بعد الحرب العالمية الثانية ، وكانت شعوبها تحاول جادة أن تجد شخصيتها القومية بين تيارات متصارعة من العقائد والمذاهب والنظم . كانت ممزقة بين

---

(١) بلند الحيدري : المصدر المذكور . وكذلك في مقابلة له مع المؤلف ، بيروت، ١٩ كانون الثاني ١٩٦٧ .

(٢) روى لصديق هذه الحادثة لمؤيد العبد الواحد الذي نقلها بدوره للمؤلف في رسالة من البصرة في ٣٠ آب ١٩٦٦ .

الشرق والغرب ، وبين الاشتراكية والرأسمالية ، وبين القيم الأوروبية والإسلامية . وقد أصبح قلقها أعمق وأحدّ بعد أن فشل زعماؤها في منع نشوء دولة اسرائيل في ١٩٤٨ . فتعرّت بذلك الأسس الواهية التي يقوم عليها البناء التقليدي للمجتمع العربي . وكان كل ما في العالم العربي من إخلاص ورجاء يصرخ منادياً بالتغيير . وعندما بدأ بعض التغيير يقع بشكل انقلابات عسكرية في سورية ومصر ، واضطرابات سياسية في لبنان والأردن ، حاول العراق كدولة أن يتجنب ذلك كله بإصلاحات جزئية وبتشديد القبضة على أعنّة الحكم . غير ان هذا لم يساعد إلا على تأخير التغيير فقط وجعله أعنف مما كان متوقعاً عندما حصل . أما في منطقة شمال إفريقيا فقد بدأ التغيير يحصل في أول أمره بما قامت به شعوبها من محاولات أخيرة وناجحة لإزالة نير الحكم الأجنبي ، كما بدأ يحصل باتخاذ نظرة جديدة إلى الحياة الحديثة .

الفصل الثالث

مرحلة الاشتراكية الواقعيّة

كانت رؤيا جديدة قد انفتحت لبدر واستحوذت عليه . فلم تعد اهتماماته شخصية بالدرجة الأولى ، ولا شيوعية وحزبية بطريقة تعصبية . كانت رؤياه تحاول أن تشمل الأمة العربية الفتية كلها ، ومن خلال الإنسانية جمعاء في أزمتها الحديثة . وقد وجد بدر نفسه يتوحد مع القوى التي كانت تشكل عالم الغد ، وحاول أن يتخطى هذه القوى فيما كان يأمل ويتوقع .

وكان فنّه الشعري جزءاً من هذه الرؤيا ، وكان قد تطور به في السنوات القليلة السابقة إلى فن بعيد عن النظم التقليدي بينما كانت رؤياه تزداد وضوحاً وتركيزاً في ذهنه . كان بدر ينفصل عن الماضي وعن تقاليده الثقافية ، وإن لم يستطع أن يرفضها كلية . كان يؤمن أن رسالته أن يخلق شعراً جديداً للعالم الجديد ، وعالماً جديداً يتناغم مع رؤياه الشعرية الجديدة .

وكانت قد ظهرت في بيروت ، في كانون الثاني سنة ١٩٥٣ ، مجلة أدبية جديدة اسمها «الآداب» يحررها الدكتور سهيل إدريس . وكانت قد جذبت عدداً من الشعراء والكتاب العراقيين الشباب فيمن جذبت من أدباء طليعيين ، وكانت تبشّر برواج يجعلها المجلة الشهرية الأدبية القائدة في العالم العربي . وكانت المجلة منذ أعدادها الأولى تنادي بالادب الملتزم ، وتظهر ميلا قوياً إلى الاشتراكية والوحدة العربية وتتحلى بانفتاح على الفكر الحديث ولاسيما الوجودية الفرنسية . وقد شجعت حركة الشعر الحر وأصبح بدر واحداً من قرائها الدائمين ولم يلبث أن أصبح واحداً من أخلص من ينشرون فيها .

وفي نيسان ١٩٥٤ نشرت هذه المجلة قصيدة من الشعر الحر لبدر عنوانها

« يوم الطغاة الأخير » (١) وهي بمثابة أغنية ثائر عربي من تونس لرفيقته وفيها يقول الثائر :

نرى الشمس تنأى وراء التلال
وبين الظلال
وقد رفّ ، مثل الجناح الكسير —
على كومة من حطام القيود
على عالم بائد لن يعود
سناها الأخير .

كان هذا بالنسبة لبدر رمزاً لعالمه القديم الذي كان يطرحه جانباً . وكان عالمه الجديد هو العالم الذي وصفته رفيقة الثائر بقولها :

... «نحن ابتداء الطريق —
ونحن الذين اعتصرنا الحياه :
من الصخر تدمى عليه الجباه
ويمتصّ ريّ الشفاه
من الموت في موحشات السجون ؛
من البؤس ؛ من خاويات البطون ؛
لأجيالها الآتية .
لنا الكوكب الطالعُ
وصبح الغد الساطعُ
وآصاله الزاهيه ! »

لكن وضع العراق السياسي لم يكن يبشر بالخير . وكان رئيس الوزراء فاضل الجمالي قد استقال وذهبت معه آماله في الإصلاحات الزراعية والاجتماعية . وقد زاد شقاء الشعب حدةً فيضانُ دجلة الذي هدّد بغداد في ربيع ١٩٥٤ . وآلم بدراً كثيراً أن يرى مثل هذا الشقاء المريع في بلاد ثرية ، وكان مثل شقائه مجانياً ، للبائسين عنه غنى . وتذكر أيام ضياعه وتشرده في الكويت بعيداً عن العراق والأحباء ، فانتفض قلبه . كانت حالته الشخصية هي حالة العراق حقاً .

وبدت له عينا وفيقة تلمعان في خياله ، وأثار أساهما في نفسه رعشة . وإذا قصيدة جديدة تتولد فيه تختلف عن كل ما كتب قبلها . وعندما قيّدها نهائياً

---

(١) «أنشودة المطر » ، دار مجلة شعر ، ١٩٦٠ ، ص ٦٦ — ٦٨ .

على الورق دعاها «أنشودة المطر» (١) ونشرها في مجلة «الآداب» في حزيران ١٩٥٤ مع كلمة قصيرة يقول فيها إنها من وحي أيام الضياع في الكويت على الخليج العربي (٢). وجاء في هذه القصيدة قوله يتنبأ بثورة العراق :

أكاد أسمع العراق يذخر الرعود
ويخزن البروق في السهول والجبال
حتى إذا ما فضّ عنها ختمها الرجال
لم تترك الرياح من ثمود
في الوادِ من أثرْ .

وينهي بدر رائعته هذه بتوقع هطول المطر على الأرض الخراب التي طالما شقي أهلها فيقول :

مطر ..
مطر ..
مطر ..
في كل قطرة من المطرْ
حمراء أو صفراء من أجنّة الزهر
وكل دمعة من الجياع والعراة
وكل قطرة تراق من دم العبيد
فهي ابتسامٌ في انتظار موسم جديد
أو حُلْمةٌ تورّدت على فم الوليد
في عالم الغد الفتيّ ، واهب الحياة .
ويهطل المطر .

كان بدر يحمل آمالا عريضة لبني وطنه ولكل من يناضل مثلهم من أجل حياة فضلى في العالم ، ومن أجل حياة خالية من العوز والاستغلال ، مفعمة بالحرية والخير . لكن مصالح الطبقة الحاكمة في العراق كانت مشغولة في غير هذه الآمال في هذا الوقت ، إذ كان يهمها قبل كل شيء أن تحمي نفسها من أية مكاسب ينالها على حسابها التقدميون والمتحررون . وكانت الانتخابات البرلمانية التي أجريت في حزيران ١٩٥٤ قد أظهرت معارضة شديدة لنوري السعيد وأمثاله من السياسيين المحافظين والرجعيين . فحلّ البرلمان في أوائل آب ،

---

(١) «أنشودة المطر» : ص ١٦٠ – ١٦٧ .
(٢) «الآداب» ، حزيران ١٩٥٤ ، ص ١٨ .

وأصبح نوري السعيد نفسه رئيساً للوزارة – للمرة الثانية عشرة . وقد بدأ ينفذ سياسته القمعية في الحال لكي يزيل أية معارضة لخططه التي كانت ترمي إلى ربط العراق بعجلة الغرب وقطع علاقاته بالاتحاد السوفياتي . وكان يريد أن يمهد لما عرف بعد ذلك باسم «حلف بغداد» الذي يلغي معاهدة ١٩٣٠ بين العراق وبريطانيا ، ولكنه يبقي سياسة العراق الخارجية متمشية مع سياسة الدول الغربية الكبرى . وكان نوري السعيد يأمل بذلك أن تكون سياسته الداخلية – بتأييد الغرب – آمنة مما يدعوه حركات الهدم والتطرف في العراق . وكانت الانتخابات البرلمانية التي أجريت في أيلول ١٩٥٤ في صالحه . فحلّ جميع الأحزاب السياسية بما فيها حزبه ، اي حزب الاتحاد الدستوري . وأغلق ثماني عشرة جريدة وشدّد الرقابة على الصحف الباقية ، وأصدر قرارات مجحفة بحقوق نقابات العمال . وضمن للعراق استقراراً بكل تأكيد ، ولكنه كان استقراراً خارجياً ثمنه عذاب السجون ومرارة الاختناق . إذ كان جواسيس نوري السعيد ورجال مخابراته وقوات أمنه قد جعلوا من العراق دولة بوليسية حقاً ، بل سجناً كبيراً .

شقي بدر كغيره من المثقفين بمراقبة المخبرين الذين كانوا يلاحقونه باستمرار ، وأحياناً عن كثب . فلم يعد يستطيع أن ينعم بأمسيات الأصدقاء في مقهى الفرات بشارع الأمين حيث لا بد أن يكون مخبر في إحدى الزوايا يعدّ عليه أنفاسه . غير أن شخصية المخبر أثارت اهتمامه . فهو على خلاف حفار القبور الذي يعيش على موت الآخرين إنما يحيا على حياة الآخرين ، وذلك بالإخبار عنهم . لكنه كذلك كان يحيا على موت الحرية . وكتب بدر قصيدة عنوانها «المخبر» (١) نشرتها مجلة «الآداب» في عدد تشرين الأول ١٩٥٤ . وقد حاول فيها أن يغوص إلى أعماق ضمير المخبر ليحلل شخصيته الدنيئة . فاستنتج أن المخبر لم يكن يعيش بأمل أو رجاء ، وأنه كان دائم الخوف من الموت في حالة تغيرات سياسية ، وأن حياته كانت حقيرة جداً ، وإن كانت لفترة قصيرة تنعم بالقوة . إنه كان في الواقع ضحية علاقات معقدة ظالمة في مجتمع مبني أصلا على الفساد والشر .

وكانت شخصيةُ ضحيةٍ أخرى قد أثارت اهتمامه أيضاً قبل ذلك ببضعة شهور ، هي شخصية مومس فقدت البصر . فكتب قصيدة طويلة عنوانها

---

(١) «أنشودة المطر» : «المخبر» ، ص ٣٢ – ٣٦ .

«المومس العمياء» ونشرها في كتيّب صغير فيه إحدى وثلاثون صفحة (١). وقد ساعدته خبرته الشخصية وتجربته على أن يرسم صورة واقعية للعلاقات في المبغى ، وساعده خياله كذلك على خلق قصة مؤثرة بطلتها مومس امتدّ بها العمر فأصبحت عمياء غير مرغوب فيها . لكن الشفقة لم تكن هدفه في هذه القصيدة ، وإن كانت عنصراً قوياً في القصيدة . إنما كان هدفه أن يعرض للشقاء البشري الذي لا مبرر له ، ويعرّي الظلم الواقع في الدنيا . فلو كان العدل يسود المجتمع لزال منه كل شقاء بشري . لكن البناء الاجتماعي غير عادل ، ولاسيما في توزيع الثروة والسلطة ، لذلك فإن الشقاء منتشر بين الناس .

وتحدثنا هذه القصيدة عن ابنة فلاح عراقي فقير قتل على بيدر حيث قيل إنه كان يسرق . فغادرت الفتاة البريئة قريتها لتهرب من العار الذي أنزله بها أبوها ، لكنها وقعت في عار أفظع منه عندما احتل العراق جنود أجانب استباحوا جسدها . فاتخذت البغاء رزقاً مدة عشرين عاماً هرمت بعدها وأصابها العمى ولم يعد يرغب فيها أحد . لكنها كانت تنتظر الزبائن كل مساء في غرفتها بالمبغى على ضوء مصباح زيت تدفع أجرته . وهي لا شك سخرية مرّة أن لا تستطيع المومس أن ترى نور مصباح الزيت في شقائها وعماها ، بينما العراق يبدد ثروة زيته الذي يستغله الأجانب :

ويح العراق ! أكان عدلا فيه أنكِ تدفعينَ
سُهاد مقلتكِ الضريرة
ثمناً لملء يديكَ زيتاً من منابعه الغزيرة
كي يثمر المصباحُ بالنور الذي لا تبصرين ؟ (٢)

لكن المومس ليست وحدها ضحية المجتمع الظالم . إنما هي صورة مصغرة لهذا الظلم ، إذ ان كل الأشخاص الآخرين في القصيدة ضحايا مثلها، بمن فيهم الشرطي الذي يحرس المبغى ليلا بينما تمارس زوجته البغاء في وحدتها وفقرها ، ولا يستثنى منهم الرجال أنفسهم الذين يقصدون المبغى :

هم مثلها — وهم الرجال — ومثل آلاف البغايا

---

(١) بدر شاكر السياب : «المومس العمياء» ، مطبعة دار المعرفة ، بغداد ١٩٥٤ . وأعيد طبعها في «أنشودة المطر» (١٩٦٠) ، مع تبديلات طفيفة وتصحيحات ، ص ١٩٥ — ٢٢٧ .

(٢) «المومس العمياء» : ص ٢٥ — ٢٦ ، وكذلك في «أنشودة المطر» ، قصيدة «المومس العمياء» ، ص ٢٢٤ .

بالخبز والأطمار يوتجرون ، والجسدُ المهين
هو كل ما يتملّكون ، هم الخطاة بلا خطايا
وهم السكارى بالشرور كهوّلاء العابرين ،
من السكارى بالخمور .. كهوّلاء الفاجرين بلا فجور
الشاربين — كمن تضاجع نفسها — ثمن العشاء
الدافنين خروق بالية الجوارب في الحذاء
يتساومون مع البغايا في العشيّ على الأجور
ليوفّروا ثمن الفطور ! (١)

وكان للشيوعيين أن يؤيدوا أفكار بدر كلها ويشاركوه مشاعره جميعها في هذه القصيدة إلا حماسته للقومية العربية . والواقع أن هذه القصيدة يمكن أن تعتبر النقطة الفاصلة التي انتهت عندها علاقته الواهية بالشيوعيين . ذلك أن المومس العمياء تقول في حوارها الداخلي وهي تصف نفسها لتجذب الزبائن :

كالقمح لونكِ يا ابنة العرب
كالفجر بين عرائش العنب
أو كالفرات ، على ملامحه
دعة الثرى وضراوة الذهب
لا تتركوني .. فالضحى نسبي :
من فاتح ، ومجاهد ، ونسبي !
عربية أنا : أمّي دمها
خير الدماء .. كما يقول أبي .(٢)

وكتب بدر تعليقاً في الهامش (٣) على كلمة «العرب» يقول فيه : «ضاع مفهوم القومية عندنا بين الشعوبيين والشوفينيين . يجب أن تكون القومية شعبية ، والشعبية قومية . يجب جعل أحفاد محمد وعمر وعلي وابي ذر ، والخوارج والشيعة الأوائل والمعتزلة، يعيشون عيشة تليق بهم كبشر وكورثة لأمجاد الأمة العربية .»

---

(١) «المومس العمياء» : ص ١٧ — ١٨ ، وكذلك في «أنشودة المطر » ، قصيدة «المومس العمياء » ، ص ٢١٤ — ٢١٥ .
(٢) «المومس العمياء» : ص ٢٤ ، وكذلك في «أنشودة المطر » ، قصيدة «المومس العمياء» ، ص ٢٢٢ .
(٣) «المومس العمياء» : ص ٣١ ، وكذلك في «أنشودة المطر» ، قصيدة «المومس العمياء» ، ص ٢٢٢ .

م تساءل في جملة حذفت من طبعة ١٩٦٠ وقال : «أفليس عاراً علينا نحن العرب أن تكون بناتنا بغايا يضاجعن الناس من كل جنس ولون ؟»

وواضح أن بدراً كان يشير إلى الشيوعيين عندما استعمل لفظة « الشعوبيين » التي كان القوميون العرب يستعملونها للنيل منهم . وكذلك فإن الموسم أصبحت في القصيدة رمزاً للأمة العربية التي كانت تبيع شرفها القومي في استهانتها بثرواتها ومواهبها وقيمها التاريخية إزاء الأجانب . وكان الشيوعيون في ذلك الوقت يؤكدون في تكتيكهم السياسي على معاني الأمميّة لا القومية .

وانفصل بدر عن الشيوعيين وتشكيلاتهم ، حتى انه لم يوقع على نداء أنصار السلام بعد هذه القصيدة . لكن نشاطاته الأدبية ظلت ملتزمة ، وظلت تدافع عن قضية الحرية والحياة الفضلى للجماهير الكادحة في العالم . وكانت القومية العربية في هذه الأثناء قد بدأت تسير في اتجاه تقدمي واشتراكي بعد نجاح ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر وابتداء الثورة الجزائرية في أيلول ١٩٥٤ . لكن اهتمامات بدر القومية لم تمنعه من أن يتعاطف مع حركات التحرر في كل مكان ويعبّر عن مخاوف الانسان الحديث وآماله في شتى أنحاء المعمورة . وقصيدته «الأسلحة والأطفال » (١) مثال جيد على اهتماماته ، فقد نشرت في هذه الأثناء ، وكان قسم منها قد نشر قبل ذلك في مجلة محلية . (٢)

وأوحى اليه بهذه القصيدة مشهد أطفال أبرياء يلعبون بسلام في الشارع إذ مر بهم «أبو عتيق للبيع » يعلن في صياحه عن استعداده لشراء الأدوات القديمة من الحديد والرصاص والنحاس . فأوحى الأطفال إلى بدر بمعاني المحبة والسلام بينما أوحى إليه صياح التاجر بمعاني البغض والحرب . وأصبح «أبو عتيق» في تصوره من تجار الحرب يشتري أدوات الحديد والرصاص والنحاس لتُصنع منها أسلحة جديدة تنشر الموت والدمار . بل إنه أصبح جزءاً من خطة عالمية أعدها الطغاة وموّلها الرأسماليون الجشعون جرياً وراء الربح والسلطة وقد فقدوا الضمير جميعاً . كان «أبو عتيق» يعيش على موت الآخرين في الحرب ، لكنه في الواقع كان ضحية مجتمع دولي فاسد البناء . فان الأسلحة التي هي سبب رزقه وحياته ستكون سبب موت أولاده وذويه . وقد تمنى بدر أن تُصنع من الأدوات

---

(١) بدر شاكر السياب : «الاسلحة والأطفال» ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٩٥٤ . أعيد طبعها مع تبديلات طفيفة وحذف في «أنشودة المطر» (١٩٦٠) ، ص ٢٤٩ – ٢٧٧. راجع مجلة «الآداب» ، أيلول ١٩٦١ ، ص ٧٦ تجد تفاصيل عن التغييرات .

(٢) «المثقف» ، العدد الأول ، بغداد ١٩٥٤ .

القديمة محاريث وجسور وأجراس ونواعير بدلا من القيود والأقفال والرصاص والسيوف ، وتمنى أن تمتد المدن واحدة تلو الأخرى عامرة بالحياة فينشأ عالم جديد من أدوات الحديد والرصاص والنحاس ، ويعيش الأطفال فيه هانئين سالمين .

إن النغمات الشيوعية واضحة في هذه القصيدة اذ كتبها قبل أن ينفصل فعلا عن الشيوعيين . وفي طبعة ١٩٦٠ حاول أن يقلّل من شيوعيتها فحذف إشارته الغامزة إلى « وول ستريت » وإلى اضطهاد الزنوج في الولايات المتحدة . واستبدل نهر «الدون» الذي يرمز إلى الاتحاد السوفياتي بنهر «الكنج» الذي يرمز إلى الهند في تحياته إلى الدول المحبة للسلام . (١) لكن القصيدة رغم ذلك تظل دعوة صادقة إلى السلام ويزيد من أثرها تلك المقابلة الصريحة بين عالم الأطفال البريء وعالم تجار الحرب الجهنمي .

وظلت المقابلة بين القوى العاملة من أجل السلام والحياة والقوى العاملة من أجل الحرب والموت عالقة في ذهنه . بل إنه كان يشعر أنه هو ضحية للصراع بين هذه القوى المتقابلة ، وأن البشرية كلها ضحية كذلك . ولم يكن ذلك ليجعله أقل اهتماماً بنتيجة هذا الصراع ، فقد كان متأكداً أن الخير سيتغلب على الشر في النهاية ، وأن الخصب سيتلو الجفاف، وأن الحياة ستصبح موفورة من خلال الموت .

وكان بدر في أواخر ١٩٥٤ قد قرأ في مجلة بغدادية ترجمة لفصلين من كتاب « الغصن الذهبي » للسير جيمس فريزر عن أسطورة أدونيس ، وكان قد نقل الفصلين إلى العربية صديقه الفلسطيني الجديد جبرا إبراهيم جبرا . (٢) فوجد بدر في هذه الأسطورة وسيلة رمزية للتعبير عن إيمانه بانتصار الحياة على الموت من خلال البطل الضحية . وأصبح استعمال بدر لهذه الأسطورة في شعره يزداد مع السنين . وكانت صداقته لجبرا تقوى في الوقت ذاته (٣) بينما كان

---

(١) راجع تعليقاً على ذلك في مجلة «الآداب» ، أيلول ١٩٦١ ، ص ٧٦ .

(٢) جبرا ابراهيم جبرا : «بدر شاكر السياب ، الأسطورة وسيف الكلمة » ، مجلة «العاملون في النفط» ، العدد ٣٨ ، بغداد ، نيسان ١٩٦٥ ، ص ١٣ . وقد ظهرت ترجمة جبرا كجزء كامل من «الغصن الذهبي» بعد ذلك في كتاب «أدونيس»، الصادر عن دار الصراع الفكري ، بيروت ١٩٥٧ .

(٣) جبرا ابراهيم جبرا: من رسالة إلى المؤلف ، بغداد ٤ تموز ١٩٦٦ .

نجم جبرا يرتفع في الأوساط الفكرية والفنية في بغداد ويصبح من كتّاب الطليعة في العالم العربي .

وبينما كان جو العراق السياسي متوتراً بالمعارضة المكتومة لتعاون نوري السعيد مع الغرب من أجل إقامة مشروع إقليمي للدفاع ، كتب بدر عدداً من القصائد يشجب الحرب ويدين الرأسماليين والمستغلين القساة . وكان أسلوبه في ذلك غير مباشر ، لا لأنه كان يريد أن يتجنب الاضطهاد السياسي فقط ، ولكن لأنه أدرك أكثر من أي وقت مضى قيمة استعمال الرمز اللغوي في شعر مشحون بالفكر ، وفهم معنى اهتمام ت. س. إليوت بالأسطورة والاقتباسات والإشارات الأدبية .

وكان أفضل هذه القصائد قصيدة نشرها في عدد كانون الثاني ١٩٥٥ من مجلة «الآداب» بعنوان «من رؤيا فوكاي» (١) . وكانت تتألف من ثلاثة أقسام . وكان من المقرر أن يتبعها أقسام أخرى ، لكن القصيدة في طبعة ١٩٦٠ لم يكن فيها أكثر من هذه الأقسام الثلاثة (٢) . وقد كتب القسم الأول منها بالشعر الحر ، أما القسمان الآخران فنظما على الطريقة العروضية التقليدية .

وفوكاي كاتب في البعثة اليسوعية في هيروشيما جُنّ من هول ما شاهد غداةَ ضربت المدينة بالقنبلة الذرية . وقد رأى بدر من خلال فوكاي عالماً ممزّقاً يسيطر عليه جشع الساعين وراء الذهب المتجردين من كل صفة إنسانية . ومثلما سُفك دم كونفاي العذراء ليتحد به الذهب والفضة والنحاس والحديد لصنع ناقوس للملك في الأسطورة الصينية ، كذلك يُسفك دم البشرية في العصر الحديث لتتحد أرباح تجار الحروب من الذهب والفضة ، وأسلحة الدمار من الحديد والنحاس لصنع ناقوس للاستعمار يؤذن بالموت والفناء للبشر أجمعين . فلقد تبدلت أسلحة قابيل من الحجارة إلى السيوف إلى النار ، غير أن رغبته في قتل هابيل ما زالت هي نفسها . ومع هذا فان قابيل في العصر الحديث كاد يكفّر عن جريمته بتنظيمه للمجتمع الإنساني ، وكاد العالم يقترب من الخلاص بما قدّم من ضحايا فادية . لكنّ نفراً من ذوي الغرائز الحيوانية ، ما زالوا يتعطشون إلى الثروة والسلطة ، فيعملون على قتل الآخرين ، وسوف ينتهون إلى إهلاك أنفسهم إذا لم

---

(١) «أنشودة المطر» : «من رؤيا فوكاي» ، ص ٤٦ — ٥٦ .

(٢) قصيدة «مرثية الآلهة» قسم آخر منها على ما جاء في ملاحظة بدر عليها في مجلة «الآداب» ، شباط ١٩٥٥ ، ص ٨ . ولكن في «أنشودة المطر» ، ص ٤١ — ٤٥ لم تذكر هذه الملاحظة مع القصيدة .

تقمع أهواءهم وأطماعهم الحقيرة . ورأى بدر البشرية من خلال فوكاي وكأنها مريض مصاب بالزهري في مستشفى الصليب الأحمر في هيروشيما ، وقد أنزلت به الزهرة إلهة الحب كل أنواع الآلام والعذاب الناتجة عن أمراضها لأنه شوّه الحب وأفسده . وصار دماغ المريض يصور له مشاهد فظيعة تعكس فظائع هيروشيما . فرأى فيما رأى أرضاً مظلمة قفراء تغطيها القبور ، ورأى ثكلى تحمل فانوساً كابياً تفتش عن قبري طفليها وتناديهما فلا يجيبها إلا البوم ، ثم ينشق قبر ويبتلعها ما عدا كفّيها والفانوس يخفق بينهما ، بينما الريح تقهقه . ثم رأى سهلا ماحلا حارّاً تركض فيه زرافات جائعات ، وقد روّعها أبرص يعدو خلفها مستسقياً وقد أخفته ضمادات يظهر بينها قيح يتزّ ويشخب . ثم ينهل المطر دماء تنهمر من أثداء ممزّقة ، وعيون مفقّأة ، وكُلى مفريّة . وتنتهي القصيدة والمريض يدعو الموت وقد أخافه طبيبه سازاك الذي أصبح الإنسان بالنسبة اليه مجرد رقم .

ونشر بدر قصيدة أخرى في عدد شباط ١٩٥٥ من مجلة «الآداب» عنوانها «مرثية الآلهة» (١) وهي منظومة على طريقة العروض التقليدي وفيها يشجب بدر الحرب والرأسماليين الساعين وراء الأرباح .

ويرمز «كُرُبّ» صانع المدافع الألماني الشهير إلى تاجر الحرب في هذه القصيدة . فهو الذي أزال الآلهة جميعاً عن عرشها ، وشرب دمها وأكل لحمها في سبيل مصالحه ، ولم يستبقِ إلا إلهاً واحداً جديداً يحتلّ معه جبل الأولمب هو «الذهب» الذي له عينا ميدوزا اللتان تحجّران من ينظر إليهما ، وله وجه نرسيس الأصفر وشحوب يهوذا الخائن وغدر قابيل بأخيه واحتقار أوديب للآلهة . و «الذهب» هو الإله الذي جازى أمه الأرض بالدمار ، ووقف أمامه إلهان جديدان يخدمانه راجفين هما : «فحم» و «فولاذ» . فالصوفية الجديدة ، بخلاف صوفية الحلاج ، هي أن يمتلىء المرء بهذا الإله الذهبي ويفنى فيه . ومن هنا نشأت أسباب كل الشرور والمنازعات في الدنيا .

ولما كانت المدينة تجسّد التصنيع الرأسمالي والاستغلال ، فإن بدراً لم يحبّها. وظلت قريته جيكور ترمز في مفهومه إلى المكان الامثل الذي تسوده علاقات بشرية مثلى . لكن جيكور هذه كانت تعيش في ظل الخوف والموت

---

(١) «أنشودة المطر» : «مرثية الآلهة» ، ص ٤١ — ٤٥ .

إزاء حتمية الحروب . وفي قصيدة بعنوان «مرثية جيكور» (١) نشرتها مجلة «الآداب» في عدد نيسان ١٩٥٥ يعبّر بدر عن خيبة أمله في الإنسان ذي النوايا الشريرة تجاه إخوته من البشر . وتصبح جيكور رمزاً لا فقط للشعوب المحبة للسلام ، بل بصورة خاصة ، للشعوب النامية في آسيا وإفريقيا التي تعيش تحت رحمة الغرب الذي يدعي المسيحية ولكنه يخونها خيانة فاضحة .

يرى بدر صليب المسيح ظلا فوق جيكور تلقيه طائرة ترمز إلى الغرب وسيطرته إذ تطير فوق القرية المسالمة وتهددها بالموت والدمار . ويتساءل : أهذا قامت الحضارات واخترعت الاختراعات ونمّيت الفنون ؟ أهذا ولد المسيح وأزيلت الظلمات ؟ والشاعر «ذلك الكائن الخرافي» ينسج ذكريات الماضي المجيد لشعبه ، لكن ذلك لا يصلح من حاله وحالهم ، ولا يبشر بمستقبل أفضل لجيكور . فهو عصر الآلة ، عصر «تعبان بن عيسى» الذي انقلبت فيه القيم . ويرى فوكاي المسيح بعينيه الداميتين يباع بخساً ويرى كل آسيا وإفريقيا سوقاً يشترى فيها لحم البشر . وينهي بدر قصيدته بقوله :

والذي حارت البريّة فيه ، بالتآويل ، كائنٌ ذو نقودِ .

وفي شهر نيسان نفسه من ١٩٥٥ اجتمع في مؤتمر باندونج ممثلو تسع وعشرين دولة آسيوية وإفريقية ، وقرروا فيما قرروا تأييد مبادىء الحياد وعدم الانحياز والتعايش السلمي وتقرير المصير . ورفعوا آمال الشعوب في مستقبل أفضل . وفي الشهر نفسه دخلت بريطانيا الحلف الذي عقد بين تركيا والعراق في شباط ١٩٥٥ ، وعندما انضمت اليه باكستان في حزيران ١٩٥٥ أصبح «حلف بغداد» قائماً وأصبح العراق معزولا عن تيار الفكر التقدمي والسياسة التحررية في العالم العربي . ثم انضمت إيران إلى الحلف في تشرين الأول ١٩٥٥ .

وقد شغل بدر نفسه في معظم هذه الفترة بالترجمة أكثر مما شغلها بكتابة الشعر . وصحيح أنه ترجم لعدد من الشعراء التقدميين في العالم ولكنه فيما يبدو لم يكن يريد أن يصرح بموقفه ويصطدم بالسلطات بكتابة شعر جديد ، ولاسيما من النوع الذي كان يكتبه قبل ذلك مما يحمل نغمات ضد الغرب والرأسمالية ويؤيد الشعوب المحبة للسلام . وكان في الوقت نفسه يفكر تفكيراً جاداً بالزواج . وكان حلمه في الحياة أن يكون له بيت يجد فيه الراحة والطمأنينة . وقد صار الآن يشعر أكثر من أي وقت مضى بحاجة إلى الاستقرار الذي قد توفره الحياة الزوجية

---

(١) «أنشودة المطر» : «مرثية جيكور» ، ص ٩٣ – ٩٨ .

الهائنة . فقد أتعبه التشرد والملاحقة السياسية بقدر ما أتعبته الوحدة في الحياة العازبة . وكانت تجارب حبّه قد فشلت جميعاً ، ولم يعد يأمل في الحصول على شريكة لحياته عن طريق الحب قبل الزواج . فقد كانت التقاليد الاجتماعية العراقية في طبقته لا تيسر ذلك ، وكان عليه أن يخضع لها ضرورة .

ولم تكن الفتاة التي وقع عليها اختياره غريبة عنه . كان اسمها إقبال بنت طه العبد الجليل . وكان عمه عبد القادر السياب قد تزوج أختها الكبرى في أوائل الثلاثينات . وكان أخ لها قد تزوج من أسرة السياب قبل ذلك . وكانت إقبال في بداية العقد الثالث من حياتها ، وقد تخرجت قبل سنتين من دار المعلمات الأولية واشتغلت بالتدريس في مدرسة ابتدائية . ولم تكن على قدر من الجمال أو الثقافة العالية ، ولكنها كانت من عائلة طيبة من أبي الخصيب .

وبعد أن حصل نساء أسرة بدر على موافقة أسرة إقبال في البصرة بالطريقة التقليدية السرية ، تقدم عم الشاعر على رأس جماعة من أقربائه الرجال وطلب يدها لبدر رسمياً من أخيها الأكبر . وبعد نيل الموافقة الرسمية ، تم عقد النكاح في ١٩ حزيران ١٩٥٥ في البصرة ، وقد اقتصر الحفل على الأقارب من الأسرتين (١) . ثم زفّت العروس إلى بدر في بغداد حيث استأجر بيتاً جديداً في منطقة الكسرة على الشارع العام (٢) واقتصرت حفلة العرس على قلة من أصدقائه (١) .

وبعد العرس ببضعة أشهر ، جمع بدر ترجماته من الشعر المعاصر ونشرها في خريف ١٩٥٥ في كتاب بعنوان «قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث» وهو يحتوي على عشرين قصيدة من ثلاثة عشر شعباً . ويقع في مئة وثلاث صفحات ، الأربع الأخيرة منها شروح وملاحظات لبدر (٣) . أما الشعراء الذين ترجم لهم فهم : ت. س. إليوت ، وإديث ستويل ، وإزرا باوند ، وستيفن سبندر ، وسيسل داي لويس ، ووالتر دي لامير ، وجون فلتشر ، وفدريكو غارسيا لوركا ، وأوجينيو مونتال ، وأرتورو جيوفانيتي ، وأنجلوس سكليانوس ، ولويس منيوز مارين ، وأنجيل ميجيل كرميل ، وبابلو نيرودا ، وأرتور رامبو ، وجاك بريفير ، وريز ماريا ريلكه ، وإميل كامير ، ورابندرانات طاغور ، وناظم حكمت .

---

(١) فؤاد طه العبد الجليل : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٣ آب ١٩٦٦ .

(٢) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ١٥ .

(٣) لم يذكر على الغلاف اسم الناشر أو تاريخ النشر .

وترجم بدر القصائد كلها عن اللغة الإنكليزية (١). وهي في الأصل مكتوبة بثماني لغات . ولكن من الممكن أن تعتبر ترجمته أمينة على كل حال وإن غيّر عناوين بعض القصائد ، وأعاد تقسيم الأبيات حسبما يقتضيه الوقع الموسيقي أو التركيب العربي للجملة . وكانت ترجمته غير موزونة ما عدا قصيدتين ترجمهما شعراً حراً فيه بعض القوافي أحياناً . أما مضمون القصائد فكان بالطبع متنوعاً . لكن عدداً منها لا بد أن يكون قد أثار ارتياب رجال الأمن في العراق ولاسيما تلك القصائد التي تدور حول المساجين والعمال والوطنيين أو حول الفقر والاضطهاد والاستغلال . فأوقف مدة سبعة أيام في مركز شرطة الكاظمية (٢). وعندما قدم إلى المحاكمة ، تولّى الدفاع عنه صديقه المحامي محمود العبطة أمام حاكم جزاء بغداد الأول . فلم يجد الحاكم مأخذاً قانونياً على مضمون الكتاب ، ولكنه حكم على بدر بغرامة قدرها خمسة دنانير لأنه لم يذكر اسم المطبعة في الكتاب بمقتضى أحكام قانون المطابع العثماني الصادر في ١٣٢٣ هجرية (٣). وقد خافت امرأة بدر على زوجها ونصحته أن يكون حذراً في المستقبل . فكانت قصيدته التالية موغلة في الحذر غامضة في رمزيتها حتى انها كادت أن تكون مبهمة . وكان عنوانها «تعتيم» . وقد نشرتها مجلة «الآداب» في عدد كانون الأول ١٩٥٥ (٤) ، وفيها قال بدر وهو بمنجى من العقاب كل ما كان يريد أن يقول ضد الحكم الدكتاتوري السالب للحريات . فأشار إلى مثل هذا الحكم بالظلام ، وأشار إلى عملائه بالنمور . أما الرجال الذين يحاربون مثل هذا الحكم فأشار اليهم وإلى كفاحهم بالنار والنور . أما التنّور الذي يصنع فيه الخبز البيتي في القرى فهو يرمز في القصيدة إلى الحياة السعيدة الحرة ، وتعتيمه — كالتعتيم في غارة جويّة — إنما يعني عملا موقتاً يناسب لحظته ، فهو ضروري إلى أن يختبز الخبز المانح الحياة ويمكن تجنب النمور أعداء الحياة ، أو بعبارة أخرى إلى أن تنضج الظروف التي تؤول إلى ثورة ويحين موعد البعث السياسي . وقد بدأ بدر القصيدة بتوجيه الكلام إلى امرأة لعلها زوجته رامزاً بها إلى الأمة ، وقال:

---

(١) ملاحظة بدر : «قصائد مختارة» ، ص ١٠٠ .

(٢) السيد إقبال السياب في حديث مع مؤيد العبد الواحد نقله إلى المؤلف في رسالته عن البصرة ، ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ .

(٣) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ١٤ .

(٤) «أنشودة المطر» : «تعتيم» ، ص ٢٩ — ٣١ .

حين يذر النورْ
ـ يلقي به التنور ـ
عن وجهكِ الظلماء
ويهمس الديجور
آهاته السمراء
على محياكِ
تهجس عيناكِ
بكل حزن الدّهور
وكل أعيادها :
أفراح ميلادها
وغمغمات النذور
وزهرها والخمور !
ألنور والظلماء
أسطورة منحوتة في الصخورْ :
كم ذآد بالنارِ ،
من أسد ضاريْ
وكم أخاف النمور ،
إنسانُ تلك العصور
بالنور والنارِ !
فأطفئي مصباحنا أطفئيه
ولنطفىء التنّورْ
وندفن الخبز فيه ،
كي لا تعيد الصخورْ
أسطورة للنار ، ظلت تدور
حتى غدا أول ما فيها
آخر ما فينا ـ وليل القبور
أول ما فيها ـ
ولنبقَ في الديجور
كي لا ترانا نمور
تجوس في الظلماء
لترجم الأحياء

ـ من غابة في السماء ـ
بالصخر والنار
وتستبيح القبور !

ولا يجوز أن تلام زوجة بدر إن هي لم تفهم هذه القصيدة . فقد كان تقديرها للشعر أقل اهتماماتها الفكرية . كانت امرأة عملية تحب أن يكون لها بيت هانيء وزوج محب وأطفال . وبدأ بدر يحس ذلك منها باكراً في حياته الزوجية ، فحاول أن يثير اهتمامها ولكنه لا بد أن يكون قد يئس وأقلع عن ذلك قبل مرور وقت طويل . وقال بعدسنوات وهو ينصح شاعراً يافعاً هو صديقه مؤيد العبد الواحد : « يا مؤيد ، نصيحتي اليك إذا ما أردت الإقدام على الزواج أن تكون رفيقة مستقبلك ذات ميل إلى الأدب على الأقل ، لكي تفهم مشاعرك وتشاركك في إحساساتك . وإن لم تكن كذلك فحاول أن تحبب لها الدخول إلى هذا العالم الجميل ، وكنْ لها الباب حتى تدخل اليه . حاول وحاول يا مؤيد ، ولا ترتكب الخطأ الذي وقعتُ فيه ... إنها لم تفهمني ولم تحاول أن تشاركني إحساساتي ومشاعري . إنها تعيش في عالم غير العالم الذي أعيش فيه ، لأنها تجهل ما هو الإنسان البائس الذي يحرق نفسه من أجل الغاية التي يطمح إلى تحقيقها ، هذا الإنسان الذي يسمّونه الشاعر ...»

على أن زوجته كانت تتفانى من أجل إسعاده . والواقع أن وزنه بدأ يزداد إذ أصبحت وجبات أكله منظمة وحياته مرتبة ، وصار يقضي كثيراً من وقت فراغه في البيت مستريحاً . واعتزل المقاهي والحانات إلا نادراً (١) وصارت له صداقات جديدة مع المتزوجين أو عموماً مع من كانت حياتهم تميل إلى الهدوء والاستقرار . ومن خلال صداقته مع جبرا ابراهيم جبرا صار يختلط في مجتمع راق ، وتعرف إلى الشاعرة الفلسطينية سلمى الخضراء الجيوسي التي كان زوجها ملحقاً بالسفارة الأردنية في بغداد . وفي حفلة عشاء أقامتها الشاعرة في حديقة بغدادية يضيئها قمر صيفي من سنة ١٩٥٦ التقى بدر بالقصاصة الفلسطينية الراحلة سميرة عزام (٢) وغيرها من الكتاب والشعراء .

وبدا بدر لبعض أصدقائه القدامى وكأن عاطفته بردت من جهة التزامه

---

(١) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ١٥ .

(٢) سميرة عزام : في كتاب «بدر شاكر السياب» ، منشورات أضواء ، ص ٤٤ . وكذلك في مقابلة مع المؤلف في بيروت في ٩ حزيران ١٩٦٦ .

الاجتماعي (١) . أما الحقيقة فهي أنه كان لا يزال ملتزماً. فكفاح شمال إفريقيا من أجل الاستقلال ، ذلك الكفاح الذي كان يقارب نهايته إلى النصر في مراكش وتونس ، أوحى اليه بقصيدتين هامتين هما : «في المغرب العربي» (٢) وقد نشرتها مجلة «الآداب» في آذار ١٩٥٦ ، و «رسالة من مقبرة» (٣) وقد نشرتها مجلة «الآداب» في أيلول ١٩٥٦ . أما اللاجئون الفلسطينيون فقد عبّر عن وضعهم تعبيراً حسناً في قصيدة «قافلة الضياع» (٤) وقد نشرتها مجلة «الآداب» في تموز ١٩٥٦ . ولم تظهر هذه القصائد فقط عطف بدر العميق وصدقه بل أظهرت أيضاً تصوره لعالم عربي مظلوم يحارب في نبل وشهامة من أجل مكان تحت الشمس في محاولته أن يستعيد أمجاد الماضي ويعيش حاضراً مشرفاً لائقاً . ولم يكن أسلوب بدر في هذه القصائد ذلك الأسلوب المباشر الذي قد يثير حماسة الجماهير في خطابيته ، ولكنه كان أسلوباً ذكياً يعتمد الإيحاء والرمز .

وصحيح أنه لم يكن ملتزماً بأية سياسة حزبية في العراق ، فقد كانت الأحزاب قد حلّت على أية حال . لكن اهتمامه بشؤون بلده لم يكن أقل من أجل ذلك . ومع هذا فقد كان بدر يشعر بضغط الرقابة الحكومية الشديدة من ناحية وواجب اتخاذ الحذر من ناحية أخرى . فإذا عالج في قصائده قضايا داخلية ، كان أسلوبه فيها حاذقاً في غموضه أو ازدواج معانيه . ومن ذلك قصيدة «أغنية في شهر آب» (٥) وقد نشرتها «الآداب» في أيار ١٩٥٦ . وحتى عبد الوهاب البياتي ظن أنه استوحاها من قصيدة ت. س. إليوت «أغنية العاشق ج. الفريد بروفروك» (٦) . وقد تكون صورة فيها أو اثنتان من وحي إليوت ، وكذلك استعمال لغة المحادثة اليومية المرفوعة إلى درجة الرمز . لكن محتوى القصيدة من عند بدر بكل تأكيد . والقصيدة في ظاهرها تتحدث عن امرأة تشعر بالبرد في آخر ليلة من تموز وهو عادةً شهرٌ شديد الحرارة . فتسأل مربية الأطفال الزنجية مرجانة أن تضيء

---

(١) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ٧٦ .

(٢) «أنشودة المطر» : «في المغرب العربي» ، ص ٨٢ — ٨٩ .

(٣) المصدر نفسه «رسالة من مقبرة» ، ص ٧٨ — ٨١ .

(٤) المصدر نفسه : «قافلة الضياع» ، ص ٥٩ — ٦٥ . وقد حذف منها الأسطر الثلاثة الأخيرة التي تشير بأمل إلى الفدائيين الفلسطينيين في اسرائيل .

(٥) المصدر نفسه : «أغنية في شهر آب» ، ص ٢٢ — ٢٦ . وقد حذف منها مقطع فيه شعور المرأة باللا مبالاة تجاه زوجها الذي يغدق عليها الهدايا .

(٦) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ٨٧ — ٨٨ .

النور وتعد العشاء ، وتدير مفتاح المذياع على إذاعة لندن حيث موسيقى الجاز الحارة . أما مربية الأطفال فترتجف من البرد وتشعر بشقاء الليل . وإذا بنساء زائرات في الباب يلبسنَ فراء الذئاب . فيدخلنَ ويأكلن ويقضينَ الليل في سمر وغيبة . ولكنهن يشعرن بالبرد كذلك . وتتمنى المرأة أن يعود زوجها المعطاء للهدايا الذي خرج إلى بيت صديق أو إلى بار ، وتدعوه إلى أن يشاركها بردها ، وتناديه حتى تنطلق أمامه في اغتياب الناس بصراحة .

ويمكن أن تفهم القصيدة على أنها صورة للحياة الفارغة والمحطمة التي تحياها أسرة عراقية برجوازية ذات ثراء ، وهي تقلّد عادات الغربيين الاجتماعية وتتظاهر باتخاذ قيمهم وترفهم . لكن بدراً رمى إلى أكثر من ذلك بدليل ما قدم للقصيدة من ملاحظات في مجلة «الآداب» ،(١) حيث يشرح أن تموز إله الخصب الأسطوري قتله في شهر تموز خنزير بري . وبينما يوحي عنوان القصيدة لأول وهلة أن تموز يعني الشهر المعروف ، توحي الملاحظة أنه الإله الذي يعني موته الجفاف . والإشارة في القصيدة إلى البرد في شهر تموز أو آب لا بد أن تكون رمزية كذلك ، فهذان أشد أشهر العراق حرارة .

ولعله من الممكن أن يقال ان بدراً كان في هذه القصيدة يحاول أن يخفي قصده أو يموه مرماه ليتجنب الرقابة . وفي الواقع انه بعد بضع سنوات ذكر ذلك وهو يشرح سبب ازدياد استعمال الرموز بين الشعراء العرب في هذه الفترة ، فقال : «وساعدت الظروف السياسية التي كانت البلدان العربية تمر بها ، حيث الإرهاب الفكري وانعدام الحرية ، إلى اللجوء إلى الرمز يعبّرون بواسطته عن تذمرهم من أوضاع بلادهم السياسية والاجتماعية على السواء وعن أملهم في انبعاث جديد ينتشلها من موتها ...» (٢) ، فمن الممكن أن يكون بدر في هذه القصيدة يقصد أن العراق أصبح بلداً ميتاً بتسلط حكومة مستبدة متحالفة مع لندن في حلف بغداد . والبرجوازية العراقية التي اتخذت الاستعمار الغربي شريكاً لحياتها تمثلها في القصيدة المرأة التي خرج زوجها الثري ليقضي ليلته مع الأصدقاء والخمرة . إن هذه البرجوازية تحتاج إلى نور اصطناعي في ظلام الاستبداد الذي سبّب موت تموز . إنها تريد أن يخدمها الشعب العراقي الذي تستعبده ويمثله في القصيدة مرجانة الزنجية . وهدف هذه البرجوازية أن تجعل

---

(١) «الآداب» : أيار ١٩٥٦ ، ص ١٦ .

(٢) بدر شاكر السياب : «الالتزام واللاالتزام في الأدب العربي الحديث» ، في كتاب «الأدب العربي المعاصر» ، منشورات أضواء ، ص ٢٥٠ .

الشعب العراقي يقبل بأنغام السياسة الغربية التي تمثلها في القصيدة موسيقى الجاز الآتية من لندن . لكن مرجانة تظل بردانة حتى في آب : أي إن الشعب يظل رافضاً للخضوع حتى في حرارة الاستبداد . وتشكو مرجانة شقاء الليل – ذلك الخنزير البري الذي قتل تموز – ثم تأتي النساء الزائرات اللواتي قد يرمزن إلى الدول الآسيوية في حلف بغداد أي تركيا وباكستان وإيران . وتلبس الزائرات فراء الذئاب في حر آب : أي إن الحكومات البرجوازية لهذه الدول تلجأ إلى أساليب الذئاب في الغاب لتخضع شعوبها في القرن العشرين . لكنها مع ذلك تشعر بالبرد ، وإن أكلتْ خبز الشعوب ، أي إنها في الحقيقة لا تخدم شعوبها . وتشعر المرأة المضيفة كذلك بالبرد وتريد أن يعود زوجها إلى البيت : كما تريد البرجوازية العراقية أن يسيطر الاستعمار الغربي في عقر دارها لكي تجد الأمن لنفسها في مركزها غير الطبيعي .

وقد يكون لهذه القصيدة تفسيرات أخرى . ولكن الحكومة العراقية على أية حال كانت أقل اهتماماً بها منها ببيان يؤيد الثورة الجزائرية. كان بدر أحد المفكرين والأدباء العراقيين الذين وقعوه (١) . فقد كانت الحكومة تخاف كل تجمع للفكر التقدمي . ولما كان بعض الموقعين على هذا البيان معروفين بميولهم اليسارية المتطرفة امتد الشك إلى بدر لكنه أعلن تبرؤه من الحزب الشيوعي (٢) . وبعد ذلك بمدة وجيزة انتدبته الحكومة العراقية ليمثلها رسمياً في مؤتمر الأدباء العرب الثاني المنعقد في سورية بين ٢٠ و ٢٧ أيلول ١٩٥٦ . وكان محمد بهجت الأثري ونازك الملائكة المندوبين الآخرين الرسميين . وكانت هذه مناسبة طيبة يتعرف فيها بدر شخصياً على بعض رجال الأدب المشهورين في العالم العربي . وقد مضى اليوم الأول من المؤتمر في دمشق حيث افتتحه رسمياً الرئيس شكري القوتلي في الجامعة السورية، ثم انتقل المؤتمر الى مصيف بلودان الجميل، حيث انهى أيامه المقررة في فندق بلودان الكبير .

وقد ألقيت في المؤتمر خمس محاضرات صباحية ، تبع الأربع الأولى منها تعليقات مطولة ومناقشات عامة في جلسات بعد الظهر . وكانت المحاضرة الأولى لميخائيل نعيمه تحدث فيها عن الكاتب والناقد ، وعلق عليها رئيف خوري . وكانت المحاضرة الثانية لفؤاد الشايب تحدث فيها عن الأدب والدولة ، وعلق

---

(١) راجع «الآداب» ، أيار ١٩٥٦ ، ص ٧٦ .

(٢) مصطفى السياب : في مقابلة مع المؤلف ، بيروت ، ١٤ حزيران ١٩٦٦ .

عليها الدكتور يوسف إدريس . وكانت المحاضرة الثالثة لمحمود أمين العالم تحدث فيها عن الأدب والفنون الجميلة ، وعلق عليها الدكتور سهيل إدريس . وكانت المحاضرة الرابعة لبدر شاكر السياب وعنوانها «وسائل تعريف العرب بنتاجهم الأدبي الحديث» (١) وعلق عليها الدكتور شكري فيصل . أما المحاضرة الخامسة فكانت للدكتور طه حسين وقد تحدث فيها عن مكانة الأدب العربي بين الآداب العالمية . وكانت جلسات المؤتمر المسائية تقضى في اجتماعات غير رسمية للاستماع إلى الشعر والقصة أو للمحادثات الودية .

وقد تألفت أربع لجان لوضع التوصيات على ضوء المحاضرات . وتألفت لجنة خامسة كان بدر أحد اعضائها لوضع التوصيات النهائية للمؤتمر (٢) .

كانت محاضرة بدر حسنة الوقع على الجملة . ويمكن أن يقال إنه قسمها قسمين : الأول يعالج صفات الأدب الذي يجدر بالعرب أن يعرفوه ، والثاني يعالج باختصار وسائل التعريف بهذا الأدب . وقد بدأ كلمته بقوله إن موضوع كل أدب رائع خالد هو الصراع بين الإنسان وقوى الشر . ثم ذكر أن الاستعمار والظلم الاجتماعي أبشع قوى الشر وأن المستعمرين والظالمين أخطر عوامل الشر . فوظيفة الأدب الرائع إذن أن يصور الصراع بين الإنسان ومصادر الشر هذه على أمل أن يخلق حياة فضلى . وأقر بدر بأنه يؤمن بالأدب الواقعي أو الملتزم الذي تحدث عنه ستيفن سبندر في محاضرة له بعنوان «الواقعية الجديدة والفن» . وذكر أنه يعتبر «الأرض الخراب» للشاعر ت. س. إليوت و « عناقيد الغضب» للروائي جون شتاينبك مثلين جيدين لهذا الأدب . وعندما تحدث عن نتاج العرب الأدبي الحديث قسمه ثلاثة أقسام : (أولا) الواقعي أو الملتزم ، (ثانياً) المحايد ، (ثالثاً) المنحل . وقال إن النوع الثاني لا يضر العرب ولكنه أدب ذاتي في معزل عن الأحداث الجارية . أما النوع الثالث فهو ضار لأنه ينشر اليأس والانهزامية بين العرب أو الفساد الأخلاقي والانحلالية . وأيد بدر النوع الأول من الأدب شريطة أن يكون انتاجه في حرية كاملة لا تحت أي نوع من الضغط . وفي حديثه عن وسائل تعريف العرب بمثل هذا الأدب الواقعي أو الملتزم ، أكّد بدر دور النقد الصحيح وأهمية تشجيع الدولة بدون شرط . ولكي يتغلب العرب

---

(١) راجعها في مجلة «الآداب» ، تشرين الأول ١٩٥٦ ، ص ٢٢ – ٢٤ و ص ١٠٠ – ١٠١ .

(٢) راجع «الآداب» ، تشرين الأول ١٩٥٦ ، ص ٩٧ – ١٠٠ .

على صعوبات النشر والتوزيع فيما بين أقطارهم ، اقترح بدر تأسيس دار للنشر تكون وجهاً من وجوه النشاط الثقافي لجامعة الدول العربية واقترح كذلك تأسيس رابطة دائمة للأدباء العرب .

وواضح أن بدراً عالج مفهومه هو للأدب الجيد أكثر من معالجته للأدب العربي الحديث ووسائل تعريف العرب به . وقد أشار إلى ذلك الدكتور شكري فيصل في تعليقه على المحاضرة (١). فقد تحدث بدر بحماسة شاعر ملتزم أكثر مما تحدث بموضوعية مفكر يقترح حلولا عملية ، ولكنه كان متواضعاً ، مخلصاً في استعداده لتقبل اقتراحات الآخرين . وذكر ميخائيل نعيمه أن محاضرة بدر «نمّت عن ذوق سليم وتركيز في التفكير والتعبير.» (٢) وقال بكثير من عمق النظرة الصادقة يصف الانطباع الذي تركه بدر في ذهنه في هذا المؤتمر : «رجل يغلب الحياء على طبعه وتتحكم فيه كآبة تعود إلى أسباب نفسية ومادية . فكأنه كان يعاني من غربة في وطنه وبين أهله ، أو كأنه كان يفتش عن ضالة فلا يهتدي إليها .» (٢)

ولم يكد بدر يعود إلى بغداد حتى قامت حرب السويس بعد ذلك بشهر اي في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦ ، ودامت عشرة أيام ، وقد تحمس بدر كالملايين من العرب واستفزته هذه الحرب . وظهر تضامن الأمة العربية في شتى أقطارها في هذه المناسبة أكثر من أية مناسبة قومية سابقة ، وأدى اكتشاف تواطوء بريطانيا وفرنسا مع إسرائيل في أولى مراحل الحرب إلى شعور عارم بالغضب على الغرب بين الجماهير العربية ، وحتى نوري السعيد ارتبك وهو أخلص أصدقاء الغرب في البلاد العربية ، فقطع علاقات العراق الدبلوماسية بفرنسا وقاطع اجتماعات حلف بغداد التي تحضرها بريطانيا . وتحول انكسار مصر العسكري بسهولة إلى نصر قومي وسياسي ، ولاسيما عندما أيد الرأي العام العالمي مصر في هيئة الأمم المتحدة ، وحمل المعتدين على الانسحاب من أراضيها . وزادت أزمة السويس مكانة الرئيس عبد الناصر ورفعت من قدره زعيماً للعرب ورمزاً للكفاح ضد الاستعمار (٣) .

---

(١) راجع «الآداب» ، كانون الأول ١٩٥٦ ، ص ٥٧ – ٥٩ .

(٢) ميخائيل نعيمه : من رسالته إلى المؤلف ، بسكنتا ، ٢٦ تشرين الأول ١٩٦٦ .

(٣) George Lenczowski: The Middle East in World Affairs. Cornell University Press, Ithaca, N.Y., 3d. Ed. 1962, p. 296.

ومن بين الاجتماعات العامة الكثيرة التي عقدت في مختلف أنحاء العالم العربي اجتماع عقد في دار المعلمين العالية في بغداد ألقى فيه بدر قصيدة طويلة عنوانها «بور سعيد» (١) نشرت بعد ذلك في مجلة « الفنون» في العاصمة العراقية . ويلاحظ أن المناسبة أملت على الشاعر في هذه القصيدة لهجة خطابية ذات ألفاظ رنانة . وقد تراوح الشعر التقليدي والشعر الحر في الأجزاء الخمسة التي تؤلف القصيدة . واستعمل الشعر التقليدي عامة عند وصف الأحداث نفسها وأثرها الخارجي في العالم . أما الشعر الحر فقد استعمل خاصة للتعبير عن أحاسيس الشاعر الداخلية من الحيرة والألم والعطف والغضب والأمل . وما بين العالم الخارجي وعالم الشاعر الداخلي شارك عروض القصيدة كلماتها في خلق أثر قوي لحركة الفكر وتلون الشعور . وإذا كانت صور هذه القصيدة معقدة أحياناً بحيث لم يفهم الجمهور مراميها من مجرد الاستماع اليها ، فإن روح القصيدة لم يمكن أن يخطئوا فهمه : فهو روح الفخر بأعمال بور سعيد البطولية ، وروح العطف على الإخوة العرب الذين يعانون الشدة ، وروح التضامن الكامل بل التوحّد الكلّي معهم في مصير مشترك . وقد فضحت القصيدة المعتدين لمغامرتهم هذه التي اتخذت أساليب القرصنة القديمة ، ومع هذا ظهر فيها شفقة على ضحاياهم . وأشادت القصيدة بالنصر العربي ورثت للضحايا من العرب لكنها اعتبرتهم بداية فجر جديد . وجاء في القصيدة مدح رفيع للرئيس عبد الناصر بصفته رمزاً لبطولة العرب ومجدهم في الماضي وتجسيداً للبطل العربي المنتظر في الحاضر :

هذا الذي حدثتنا عنه أنفسنا ... في كل دهياء نبلوها وننتظرُ
هذا الذي كل عن سحق لبذرته ... بالخيل والذابلات الروم والتترُ
يا أمةً تصنع الأقدارَ من دمها ... لا تيأسي إن عبد الناصر القدرُ (٢)

وقد أنهى بدر هذه القصيدة بنغمة اعتذارية وهو يوجه الكلام إلى بورسعيد قلعة النور، ويقول :

يا قلعة النور تدمى كلّ نافذة ... فيها وتلظى ولا تستسلم الحُجَرُ
أحسستُ بالذل أن يلقاك دون دمي ... شعري وأني بما ضحّيتِ أنتصرُ
لكنها باقةٌ أسعى إليكِ بها ... حمراءُ يخضل فيها من دمي زهرُ (٣)

---

(١) «أنشودة المطر» : «بور سعيد» ، ص ١٨١ — ١٩٤ .
(٢) استبدل اسم عبد الناصر باسم سيف الدولة في طبعة ١٩٦٠ في ديوان «أنشودة المطر» ، قصيدة «بور سعيد » ، ص ١٩٣ . راجع جليل كمال الدين : «الشعر العربي الحديث وروح العصر» ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٨٠ — ٢٨١ .
(٣) «أنشودة المطر» : ص ١٩٤ .

الفصل الرابع

المرحلة التموزية

ولد أول أطفال بدر في ٢٤ كانون الأول ١٩٥٦ ، بعد انسحاب القوات البريطانية والفرنسية بقليل من الأراضي المصرية في أعقاب حرب السويس . وكانت المولودة ابنة سمّاها غيداء . ولا يبدو أن ولادتها أدخلت إلى نفسه فرحاً خاصاً . ولعله كان كالكثيرين من الشرقيين يفضل الذكر على الأنثى ولاسيما المولود الأول في الأسرة . ولكنه كان شديد الفرح والحماسة لولادة مجلة فصلية جديدة اسمها «شعر» تعنى بالشعر بكليتها . كان محررها الشاعر اللبناني يوسف الخال ، وقد بدأت بالظهور في شتاء ١٩٥٧ في بيروت . وكان أكثر الذين يكتبون فيها من الشباب الذين يقدرون الشعر المعاصر في أوروبا وأمريكا تقديراً عميقاً ويشتعلون حماسة لمطاولته ووضع الشعر العربي في خط جديد من تطوره . وكانوا يشتركون في نفورهم من الأشكال والأفكار القديمة المكررة في الشعر العربي . فبدأوا يثورون عليها بفن وحذق وروّيا ، متخذين أجرأ التجارب في المضمون واللغة والصور والإيقاع والقافية . وكانت حركة الشعر الحر قد انغرست في الأوساط الأدبية العربية في هذا الوقت ، فساعدت هذه المجلة على إعطائها جذوراً أقوى وغصوناً جديدة . وعلى الرغم من أنه لم يكن للمجلة أي اتجاه سياسي أو عقائدي معيّن ، إلا اتجاه التحرر العام ، فإنه قد يكون من سوء حظها أن بعض الذين كانوا يكتبون فيها كانوا أعضاء سابقين أو حاليين في الحزب السوري القومي الذي كان اسمه يزداد سوءاً في عالم عربي محمول على موجة عارمة من الشعور القومي العربي تعادي بطبيعتها كل إقليمية تجزيئية . لكن المجلة فتحت صفحاتها للشعر الجيد من كل لون وبغض النظر عن المضمون وعن آراء اصحابه السياسية والفكرية والاجتماعية ، وكان تقبّلها حسناً على الجملة .

ولم يلبث بدر أن أصبح من كتّاب هذه المجلة مثل عدد من أصدقائه الشعراء

كجبرا إبراهيم جبرا وغيره . وفي عددها الثاني أي عدد ربيع ١٩٥٧ نشر قصيدة عنوانها « النهر والموت » (١) وصار من بعدها ينشر شعره في هذه المجلة بانتظام تقريباً لمدة السنوات الخمس التالية . وإنه لذو دلالة أن بدراً توقف في هذه المدة عن النشر في مجلة «الآداب» المعروفة بميولها القومية العربية والاشتراكية (٢) . ولعل جفوة شخصية بينه وبين الدكتور سهيل إدريس ، محرر «الآداب» كانت وراء هذا التوقف (٣) . ولكن يمكن تفسيره على أنه في ما يبدو تبدل في موقف بدر السياسي أو على الأقل فتور في حماسته السياسية . وعلاوة على ذلك اتخذ بدر عملا مسائياً إضافياً في جريدة ليحيى قاسم هي جريدة «الشعب» البغدادية المعروفة بميولها نحو الغرب . فصار يحرر ملحقها الأسبوعي والصفحة الأدبية ويترجم لها المقالات . وصحيح أنه ليس في ما نشر في الجريدة من ترجمات وفي ما كتب أو حرر فيها من مقالات ما يناقض آراءه السياسية المعروفة ، حتى إنه كتب لها مجموعة من الحكايات والأساطير عن ريف البصرة ، ووصفاً لشخصيات قروية شعبية (٤) ، وذلك ليكون بعيداً عن السياسة . ولكن مجرد عمله في هذه الجريدة ، أثار تساؤلات كثيرة عن موقفه السياسي في الأوساط القومية العربية ، وخاصة في وقت كان الشعب العراقي فيه — على الرغم من تكميمه — يقف ضد نوري السعيد وسياسته الحليفة للغرب . فهل تراجع بدر عن موقفه المعادي للغرب ؟ هل تخلى عن إخلاصه لشعبه والأمة العربية ؟ هل أصبح صنيعة لحكومة مؤيدة للغرب وخادماً لعملاء الغرب في بلاده ؟ هل انحرف عن التزامه لقضية الحرية السياسية والذين يكافحون من أجلها ؟

لا أظن أن بدراً غيّر موقفه السياسي في دخيلة نفسه ، على الرغم من أن أعماله قد توحي بعكس ذلك لبعض الناس . إنه ظل الثوري الذي كان إياه دائماً ، ولكنه بدأ يشعر بخيبة الأمل . فعلى الرغم من أنه ظل متعلقاً بمبادئه

---

(١) «أنشودة المطر» : «النهر والموت» ، ص ١٣١ — ١٤٤ .

(٢) للسياب قصيدة في عدد آب ١٩٥٨ من «الآداب» وأخرى في عدد حزيران ١٩٦٠ قبل عودة «الولد الضال إلى بيته» في عدد حزيران ١٩٦٢ من «الآداب» .

(٣) ناجي علوش : في مقابلة مع المؤلف ، بيروت ١١ حزيران ١٩٦٦ .

(٤) راجع مثلا : «كاسي حلاق القرية» بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٥٨ ، و«شجاعة في يوم قانظ» بتاريخ ١ شباط ١٩٥٨ ، و «خالقو يذهب إلى المدرسة» بتاريخ ١٥ آذار ١٩٥٨ ، «وعبد الماء في شط العرب» بتاريخ ١٢ تموز ١٩٥٨ من الملحق الأسبوعي لجريدة «الشعب» .

السابقة ، فإنه بدأ يدرك أن كفتي الكفاح غير متوازنتين وانه قد يكون بلا جدوى في النهاية . ومن ناحية شخصية ، بدأ بدر يشعر أنه خاسر على ما يبدو ، وأنه ضحية الصراع الجبار بين الشرق والغرب ، وليس بوسعه أن يحتفظ بمكانه على شدة ما كان يحب ذلك ، ناهيك بأن يرمي بثقله الضئيل في إحدى كفتيْ الصراع ليقرر نتيجته . فسقط تحت وطأة طلبات الجسد الضعيف ، وإن كان الروح قوياً مستعداً . ومأساته أنه كان يدرك ذلك . فتمنى أن يموت ضحيةً إذا كانت حياة الآخرين تستفيد من ذلك . وبدا له البطل الضحية وحده منتصراً في النهاية . وفي قصيدة «النهر والموت» يقول : (١)

عشرون قد مضين ، كالدهور كل عامْ .
واليوم ، حين يُطبقُ الظلام
وأستقر في السرير دون أن أنام
وأرهف الضميرَ : دوحةً إلى السَحَرْ
مرهفة الغصون والطيور والثمرْ —
أحس بالدماء والدموع كالمطرْ
ينضحُهُن العالم الحزينْ :
أجراس موتى في عروقي تُرعشُ الرنينْ ،
فيدلهمّ في دمي حنينْ
إلى رصاصة يشق ثلجُها الزؤامْ
أعماقَ صدرِي ، كالجحيم يُشعل العظامْ .
أود لو عدوتُ أعضد المكافحين
أشد قبضتيَّ ثم أصفع القَدرْ .
أود لو غرقتُ في دمي إلى القرار ،
لأحملَ العبء مع البشرْ
وأبعثَ الحياة . إن موتيَ انتصار !

وعندما دعته مجلة «شعر» أن يحضر إلى بيروت لإحياء أمسية شعرية ضمن نشاط «خميس مجلة شعر» ، قبل الدعوة وقد ازدهاه الاعتّراف بشاعريته . وقضى في بيروت عشرة أيام تعرف فيها إلى عدد من الشعراء مثل يوسف الخال ، وأدونيس (علي أحمد سعيد) ، وشوقي أبي شقرا ، وأنسي الحاج ، وفؤاد رفقه

(١) «أنشودة المطر» : «النهر والموت» ، ص ١٤٣ — ١٤٤ .

وغيرهم من الأدباء . وأجريت معه مقابلة بثّتها محطة الاذاعة اللبنانية ومقابلات أخرى نشرتها الصحف اللبنانية ، فتحدث عن الشعر والشعراء في العراق والعالم العربي . ثم انعقد خميس مجلة شعر في الجامعة الأمريكية ببيروت فألقى بدر مختارات من شعره أمام مئات الناس . وقد قدم لها بكلمة عبّر فيها عن رأيه بأن رؤيا الشاعر الحديث للعالم إنما هي رؤيا كابوس مرعب ، وواجب الشاعر أن يفسر العالم ويحسّنه بإيقاظ الروح والكشف لها عن أذرع الأخطبوط الهائل من الخطايا السبع الذي يطبق عليها ويوشك أن يخنقها . ولما كان العالم الحديث لا شعر فيه وتسوده القيم المادية ، توجّب على الشاعر أن يعمد إلى الأساطير والرموز ليعبر عن رأيه فيه ، وذلك أن الأساطير لا تزال تحتفظ بحرارتها لأنها ليست جزءاً من هذا العالم . وعبر بدر عن ثقته بأن الشعراء العرب الحديثين ، وإن كانت محاولاتهم الشعرية في بداية الطريق، قد تنجح وقد لا تنجح ، فإنهم سيمهدون الطريق لجيل جديد من الشعراء العرب سيجعل الشعر العربي عالمياً (١) .

وقد عززت زيارة بدر هذه لبيروت الروابط بينه وبين مجلة «شعر» بما يسرت له من اعتراف به وتعاطف معه .

وفي بغداد كان بدر ما يزال موظفاً في مديرية الاستيراد والتصدير العامة ، وقد أصبح معاون ملاحظ ، ابتداء من تشرين الأول ١٩٥٦ ، براتب قدره اثنان وعشرون ديناراً عراقياً ونصف (٢) ، وهو راتب لا يكاد يكفي رجلا متزوجاً له ابنة . وكانت زوجته تنتظر مولوداً جديداً ومسؤولياته العائلية في ازدياد . وصحيح أن راتبه ارتفع إلى سبعة وعشرين ديناراً عراقياً في تشرين الأول ١٩٥٧ (٢) ، الا انه كان يستصعب التوصل إلى سد الحاجات الضرورية لأنه كان في الوقت ذاته يعيل والده الذي كان يلاحقه طلباً للمساعدة (٣) . لذلك كان عليه أن يجد لنفسه مصدراً آخر للدخل . ولما كانت الجرائد المؤيدة للحكومة هي وحدها المسموح بنشرها فإنه كان لا بد أن يشتغل في واحدة منها استبعاداً لشبح الفقر والجوع . ولعل هذا من الاسباب التي جعلت بدراً يرتبط بجريدة «الشعب» ، ولكنه في الوقت نفسه تجنّب القضايا السياسية وظل حذراً من الوقوع في ما يناقض آراءه السياسية أو يعرضها للشبهة. ومع ذلك، فقد شعر أن وضعه ذاك لم يكن الوضع

---

(١) راجع مجلة «شعر» ، العدد ٣ ، صيف ١٩٥٧ ، ص ١١١ — ١١٣ .

(٢) وزارة التجارة : مديرية الاستيراد والتصدير العامة ، رسالة الذاتية رقم ١٤٥٣٤ بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٦١ ، الموجهة إلى المديرية العامة لصندوق التقاعد .

(٣) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٢٢ تشرين الأول ١٩٦٦ .

المثالي ولم يفقد بعد ذلك أبداً شعوره بأنه ضحية مغلوبة على أمرها . وظل الموت فكرة رئيسية في قصائده ، ولكنه أصبح الآن موتاً فادياً . وعمد بدر بازدياد إلى الأساطير للتعبير عنه . ولما لم يكن بمقدوره أن يموت في الواقع مع الذين يكافحون فإنه كان يموت رمزياً في قصائد حزينة ذات أطر أسطورية . وكان رجاؤه أن موتاً مثل ذلك سيوفر حياة للآخرين .

وفي قصيدة « المسيح بعد الصلب » (١) تحدث بلسان المسيح وهو يُنَزل من على الصليب وروحه الإلهية غير مقهورة تمنح الحياة للطبيعة والناس :

مُت ، كي يؤكل الخبزُ باسمي ، لكي يزرعوني مع الموسمِ ،
كم حياةٍ سأحيا : ففي كل حفره
صرتُ مستقبلا ، صرت بذره
صرت جيلا من الناس ، في كل قلبٍ دمي
قطرةٌ منه أو بعض قطره .

وقد دهش يهوذا من المسيح الحي بعد الصلب لأنه هو نفسه كان يتمنّى سراً أن يصبح حياً أبداً مثل المسيح ولكنه لم يجرؤ على الموت مثله . إن موت المسيح هو انتصار ، لأن أهل المدينة تجرأوا وحذوا حذوه فماتوا مثله :

بعد أن سمّروني وألقيتُ عيني نحو المدينه
كدتُ لا أعرف السهلَ والسور والمقبره :
كان شيء ، مدى ما ترى العين ،
كالغابة المزهره ،
كانٍ في كل مرمى ، صليبٌ وأمٌ حزينه .
قُدّس الرب !
هذا مخاض المدينه(٢) .

هكذا كان تصور بدر لعذابه وعذاب الأمة العربية على أنه مخاض يليه ميلاد حياة جديدة . بل إنه شعر إنه هو نفسه تجسيد للأمة العربية كلها في تألمه ، وأن الشعب العربي وقد سحقه الصراع العظيم بين الشرق والغرب من جهة وبين العقائد المتنافسة والمصالح العربية المتنافرة من جهة أخرى سيخرج من ذلك كله في النهاية منتصراً لينعم بحياة جديدة لا يبقى فيها حكام عرب ظالمون مثل يهوذا

---

(١) «أنشودة المطر» : «المسيح بعد الصلب» ، ص ١٤٥ – ١٤٩ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١٤٩ .

بل أمة عربية خالدة جروّت أن تصبر على العذاب وتموت على الصليب لكي تقهر الموت وتكون لها حياة موفورة .

في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٧ وضعت زوجة بدر صبياً . فطار بدر فرحاً وسمّاه غَيْلان . وقد شعر أنه تخلّد به شخصياً وجسدياً . وكان جده عبد الجبار قد توفي في السنة نفسها فجاء ابنه غيلان الآن ليواصل سلسلة الحياة . رأى بدر في ابنه عراقاً خصباً وجيكوراً مزدهرة ، وأحس أنه هو نفسه في قاع بويب يذوب فرحاً ويسيل مع مائه لمنح الحياة للنخيل مثل بعل . وقد وضع مشاعره هذه كلها في قصيدة نادرة عنوانها «مرحى غيلان» (١) وفيها يقول :

– «بابا ... بابا ...»
ينساب صوتُكَ في الظلام إلي كالمطر الغضيرِ ،
ينساب من خلل النعاس وأنت ترقد في السرير .
من أي رؤيا جاء ؟ أي سماوة ؟ أي انطلاق ؟
... وأظل أسبح في رشاشٍ منه ، أسبح في عبيرِ .
فكأن أودية العراق
فتحتْ نوافذ من رؤاكَ على سهادي : كل وادِ
وهبتْه عشتارُ الأزاهرَ والثمار . كأن روحي
في تربة الظلماء حبّةُ حنطةٍ وصداكَ ماء .
أعلنتِ بعثي يا سماءُ
هذا خلودي في الحياة تكنّ معناه الدماءُ .

لكن بدراً في جذله ظل يذكر حالة بلاده وأمته ، فلن تكون سعادته كاملة حتى يتغلب النور على الظلمة نهائياً . غير أن ميلاد ابنه جعله يرجو مستقبلا أفضل . وفي نهاية القصيدة يقول :

الأرضُ (يا قفصاً من الدم والأظافر والحديد
حيث المسيحُ يظل ليس يموت أو يحيا ... كظل ،
كَيَد بلا عَصَبٍ ، كهيكلِ ميّتٍ ، كضحى الجليدِ ،
النور والظلماء فيه متاهتان بلا حدودِ)
عشتارُ فيها دون بَعْلِ
والموت يركض في شوارعها ويهتف : يا نيامُ

(١) «أنشودة المطر» : «مرحى غيلان» ، ص ١٨ – ٢١ .

هبّوا فقد ولد الظلامُ
وأنا المسيحُ ، أنا السلامُ .
والنار تصرخ : يا ورود تفتّحي ، ولد الربيعُ
وأنا الفراتُ ، ويا شموعُ
رشّي ضريحَ البعل بالدم والهُباب وبالشحوبِ .
والشمس تُعول في الدروب :
بردانة أنا والسماء تنوء بالسُحبِ الجليد .
« بابا ... بابا ...»
من أي شمس جاء دفؤكَ ؟ أي نجم في السماءِ ؟
ينسل للقفصِ الحديدِ ، فيورقُ الغد في دمائي ؟(١)

ولعل بدراً كان محقاً في تساؤله عن آماله في المستقبل الأفضل . فان الوضع السياسي في العالم العربي كان أبعد ما يكون عن المثل الأعلى في الوحدة . وفي السياسة العربية الخارجية إزاء الحرب الباردة بدأ معسكران عربيان يتبلوران : الأول يميل إلى الغرب ويقوده العراق ، والثاني يميل ضد الغرب وتقوده مصر . وقد عبّر هذا الانقسام عن نفسه دستورياً بعد محادثات دبلوماسية طويلة بتأسيس الجمهورية العربية المتحدة التي توحّد بين مصر وسورية في ١ شباط ١٩٥٨ ، والاتحاد العربي الذي يجمع فدرالياً بين العراق والأردن في ١٤ شباط ١٩٥٨ . وكانت الجمهورية العربية المتحدة أكثر شعبية بين الجماهير في العالم العربي ، إذ كان الاتحاد العربي يعتبر زيفاً خاضعاً للاستعمار الغربي . وقد شارك بدر أكثرية مثقفي العراق في نفورهم من الاتحاد الجديد الذي كان نوري السعيد رئيس وزرائه الفدرالي . ولكنه ظل يعمل في جريدة «الشعب» المؤيدة له . فزادت سمعته سوءاً بين القوميين العرب .

وفي قصيدة عنوانها «جيكور والمدينة» (٢) كتبها في هذا الوقت ونشرها في مجلة «شعر» تظهر كراهيته للمدينة بصفتها تجسيداً للجشع الرأسمالي والموت الروحي ، ويظهر حنينه وشوقه إلى قريته جيكور التي أصبحت رمزاً للسلام الأكمل والحياة الفضلى . وقد تكون هذه الازدواجية من ناحية ممثلة لمشاعر

---

(١) «أنشودة المطر» : ص ٢٠ — ٢١ .

(٢) «أنشودة المطر» : «جيكور والمدينة» ، ص ١٠٣ — ١٠٧ . مجلة «شعر» ، العدد ٧ — ٨ ، صيف وخريف ١٩٥٨ .

بدر الحقيقية بصفته قروياً يحس بالضياع والغربة في مدينة كبيرة معقدة . ومن ناحية أخرى فإنها قد تكون ممثلة لموقفه إزاء الظروف السياسية الراهنة إذ ترمز المدينة إلى كل ما هو شر وظلم فيها وجيكور إلى كل ما هو مثالي لم يتحقق بعد . اسمعه يصف المدينة وأثرها في نفسه إذ يقول :

وتلتف حولي دروبُ المدينه :
حبالا من الطين يمضغنَ قلبي
ويُعطين ، عن جمرة فيه ، طينه ،
حبالا من النار يجْلدْن عُرْيَ الحقول الحزينه
ويحرقْن جيكورَ في قاع روحي
ويزرعن فيها رماد الضغينه .

واللات تندب ابنها تموز الذي تمتد شرايينُهُ عبر المدينة مثل كرم جفّت عساليجه العاقرة فتدخل بلا جدوى كل دار وسجن ومقهى وبار وملهى ومستشفى ومبغى . تندب اللات ابنها الميت الذي انفجرت عروقه إذ صكّه التيار الكهربائي وهو يحاول أن يمنح النور للمدينة اللامبالية ويبدد عنها الظلام ، بينما جيكور تقوم وراء سور وقد مس الأصيل ذرى النخيل فيها بشمس حزينة . ويتساءل بدر :

فمن يخرق السورَ ؟ من يفتح البابَ ؟ يدمي على كل قفل يمينه
ويمناىَ : لا مخلبٌ للصراع فأسعى بها في دروب المدينه
ولا قبضة لابتعاث الحياة من الطين
لكنها محض طينه .
وجيكور من دونها قام سورٌ
وبوابةٌ
واحتوتها سكينه

في هذه الأسطر الأخيرة من القصيدة اعترف بدر بعجزه التام عن تحقيق رؤياه ، وإن كانت الرؤيا نفسها ما زالت ماثلة أمام عينيه . إنه ما زال يعتقد أن الشاعر راء أو نبي في العصر الحديث ، وأن رسالته أن ينذر ويَهدي وإن لم يستطع أن يساعدَ بالمشاركة العملية ولكنه قد يشارك في الألم العظيم . وكان بدر قبل ذلك قد قال : « لو أردت أن أمثّل الشاعر الحديث ، لما وجدت أقرب إلى صورته من الصورة التي انطبعت في ذهني للقديس يوحنا ، وقد افترست عينيه رؤياه ، وهو يبصر الخطايا السبع تطبق على العالم كأنها أخطبوط هائل . » (١)

---

(١) مجلة «شعر» . العدد ٣ ، صيف ١٩٥٧ ، ص ١١١ .

وكانت الأحداث في العالم العربي تجري بسرعة . فقد اندلعت نار حرب أهلية في لبنان في أيار ١٩٥٨ بين القوميين الراغبين في وحدة عربية توّيدهم سراً الجمهورية العربية المتحدة ، وبين الوطنيين اللبنانيين الحريصين على الاحتفاظ باستقلال بلادهم واتجاهها المؤيد للغرب . وفي الأردن، اكتشفت مؤامرة ضد الملكية في صالح سياسة الوحدة العربية. وفي العراق فوجئت الدولة القوية في ١٤ تموز ١٩٥٨ بنهاية سريعة اذ سيطر اللواء عبد الكريم قاسم على بغداد ولاقى جميع أفراد العائلة المالكة حتفهم في ثورة متفجرة ، واعتقل الوزراء الفدراليون والعراقيون ما عدا نوري السعيد الذي اكتشف بعد بضعة أيام متنكراً بزي امرأة وقُتل . ونزل جنود الأسطول السادس الأمريكي إلى بيروت بدعوة من الحكومة اللبنانية ، وطار المظليّون البريطانيون من قبرص إلى عمان بدعوة من ملك الأردن .

وسرعان ما انشأت الجمهورية العراقية الجديدة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي وغيره من دول الكتلة الشيوعية ، وسمحت للمنفيين السياسيين بالعودة إلى العراق . وقد شجعت على تشكيل فرق من المواطنين المسلحين عرفت بقوات المقاومة الشعبية . وأنشأت محكمة الشعب لتقاضي سياسيي العهد البائد وضباط الجيش . وقد خلقت أعمال العنف الغوغائية المحمومة جواً إرهابياً متوتراً ، فقد كان العراق يعاني ثورة طالما انتظرها .

وشعر بدر أن المطر قد جاء إلى العراق في النهاية ، وأن تموز قد عاد ليمنح الحياة للأرض الخراب : فلم يكن الدم الذي أريق سدىً . ونظم بدر قصيدة من ثلاثين بيتاً من البحر البسيط يحيي الثورة فيها وعنوانها «يوم ارتوى الثائر» (١) . ولكنه لم ينشرها ، ولعل ذلك بسبب لغتها وأسلوبها التقليديين . ولعله نظمها ليلقيها على الناس لكن الفرصة لم تسنح له في أول أيام الثورة (٢) .

في أيلول ١٩٥٨ ، استقال بدر من مديرية الاستيراد والتصدير ، وعيّن في وزارة المعارف مدرساً للإنكليزية في مدرسة الأعظمية الإعدادية براتب عال

---

(١) «كتاب منجزات لواء البصرة في العهد الجمهوري ١٩٥٨ – ١٩٦١» : أصدرته متصرفية لواء البصرة ، ١٩٦١ ، قصيدة «يوم ارتوى الثائر» ، ص ٢٨٣ .

(٢) القى بدر هذه القصيدة في العيد الثالث للثورة العراقية عندما طلب منه مدير مصلحة الموانىء في البصرة أن يشترك في الاحتفالات العامة . وقد أضاف اليها نزولا عند رغبته البيت الثامن والعشرين يمدح قاسماً والبيت الثاني والثلاثين يشير إلى الميناء ، على ما روى للمؤلف مؤيد العبد الواحد في رسالته من البصرة ، ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ . راجع الملحق ، ص ٢٦٥ .

نسبياً قدره خمسون ديناراً عراقياً (١). وانتقل من منزله وسكن في محلة هيبة خاتون بالأعظمية (٢) في شمالي بغداد . وكانت حكومة الثورة قد أوقفت جريدة «الشعب» عن الصدور فوجد بدر لنفسه عملا إضافياً في جريدة «الجمهورية» لصاحبها سعدون حمادي (٣) التي كانت تؤيد الجمهورية كل التأييد .

ولم تلبث خدمات بدر الحكومية أن نقلت من وزارة المعارف إلى مديرية التجارة العامة بوظيفة رئيس ملاحظين وبراتب قدره خمسون ديناراً ، ابتداء من ٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٨ (٤) . وفي حدود هذا التاريخ كان الصراع على السلطة بين عبد الكريم قاسم ونائبه عبد السلام عارف الذي أودع السجن قد قسم العراقيين فريقين : واحداً في الحكم يقوده قاسم ويؤيده الشيوعيون ويرغب في الإبقاء على العراق كياناً سياسياً مستقلا ، وثانياً في المعارضة ينظر إلى عارف زعيماً له ويؤيده بصورة خاصة حزب البعث ويرغب في نوع من الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة . وعلى الرغم من أن قاسماً لم يكن شيوعياً فإنه ، لكي يكبح الميول إلى الوحدة العربية ، سمح للشيوعيين، بل لعله شجعهم ،على أن يتسللوا إلى قوات المقاومة الشعبية ويسيطروا عليها وعلى نقابات العمال واتحادات الطلاب والمهن الحرة، وان يصبحوا ذوي نفوذ في الصحافة ووسائل الإعلام العامة والمدارس والكليات وعدد من الوزارات .

وجاءت مقاومة المد الشيوعي من قبل البعثيين والعناصر القومية العراقية بين المدنيين في أوائل ١٩٥٩ . وفي آذار دبّر العقيد عبد الوهاب الشواف ثورة عسكرية في الموصل لم تلبث أن انهارت تحت ضربات قاسم الثقيلة التي وجهتها اليها قواته الموالية الجوية والبرية . وأنشأ الشيوعيون بعد ذلك إرهاباً في الموصل ارتكبت فيه وحدات التصفية التي أقاموها كل انواع الفظائع ضد البرجوازية المحلية ، وحكمت «محكمة الشعب» التي عيّنوها من أنفسهم أحكاماً بالموت في ساحة المدينة ونفذتها فوراً أمام الجماهير الهائجة .

وفي هذا الغليان الثوري كله ، كان موقف بدر ضد الشيوعية . وقد أثار

---

(١) وزارة التجارة : مديرية الاستيراد والتصدير العامة ، رسالة الذاتية رقم ١٤٥٣٤ بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٦١ .

(٢) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ١٦ .

(٣) عبد الجبار داود البصري : « بدر شاكر السياب ، رائد الشعر الحر » ، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٩١ .

(٤) وزارة التجارة : المصدر المذكور .

نقده لأعمال الشيوعيين ووسائلهم بين زملائه الشيوعيين في مديرية التجارة عداءهم فاتهموه لدى السلطات بأنه عدو الثورة عندما رفض أن يوقع على عريضة تهاجم عبد الناصر (١). فأوقفه رجال الشرطة للتحقيق معه ، ولكنه بمساعدة صديقه الرسام العراقي نوري الراوي (٢) والمحامي محمد العبطة (٣) أطلق سراحه بكفالة بعد خمسة أيام (٤) . غير أنه فصل من الخدمة الحكومية لمدة ثلاث سنوات بأمر وزاري ابتداء من ٧ نيسان ١٩٥٩ . ودُفع له بعد بضعة أشهر مبلغ خمسمئة وستة وأربعين ديناراً عراقياً وذلك مكافأة تقاعدية عن خدمة اثنين وخمسين شهراً (٥) وهي مدة خدمته السابقة وإن كانت متقطعة .

وظنت زوجته وعمته آسيه أن علاقته بمحيي الدين اسماعيل كانت سبب فصله ، ولكن الأخير ظل سكرتيراً لوزارة الشؤون الاجتماعية فضلا عن كونه محرراً في جريدة «الحرية» . غير انه ، احتراماً لرأي السيدتين فيه ، قلّل من زيارته لبيت بدر (٦) . وصار بدر يقضي معظم أماسيه مع محيي الدين في بيت محيي الدين أو في بيت جبرا إبراهيم جبرا في الأعظمية . (٧) وفي أحد الأيام جاءت إحدى فرق المقاومة الشعبية إلى بيت بدر تطلب محيي الدين ، لكن عمة بدر أخبرت أفرادها أنه انتقل من تلك الناحية وأنها لم تعرف عنوانه الجديد . وبعد مغادرتهم أسرع بدر إلى بيت محيي الدين المجاور وأنذره ، فذهب الاثنان إلى بيت جبرا حيث استمعا إلى ترجمته العربية لمسرحية «هاملت» وهي ما تزال مخطوطة (٨) .

وقد روى جبرا كيف كان بدر متجهاً ليزوره يوماً فتعرض له الشيوعيون في الشارع وشتموه وأجبروه على حمل صورة عبد الكريم قاسم في شريط على

---

(١) السيدة إقبال السياب : في حديث لها مع مؤيد العبد الواحد ، نقله للمؤلف في رسالته ، البصرة ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ .
(٢) محيي الدين اسماعيل : في رسالته إلى المؤلف ، بيروت ٥ آب ١٩٦٦ .
(٣) محمود العبطة : المصدر المذكور ، ص ١٦
(٤) السيدة إقبال السياب : المصدر المذكور .
(٥) وزارة التجارة : المصدر المذكور ، وكذلك مصلحة الموانىء العراقية : قسم المحاسبة ، رسالة رقم تقاعد/١٠٣ بتاريخ ٩ حزيران ١٩٦٦ .
(٦) محيي الدين اسماعيل : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ٥ آب ١٩٦٦ .
(٧) المصدر نفسه ، وكذلك جبرا ابراهيم جبرا ؛ في مقابلة مع المؤلف ، بغداد ١٠ كانون الثاني ١٩٦٧ .
(٨) المصدران انفسهما .

ياقة معطفه (١). كما روى أنه وجد له وظيفة في شركة نفط العراق غير أن إبراهيم كبّه وزير الاقتصاد الوطني وكان ذا ميول ماركسية رفض الموافقة على تعيين بدر على الرغم من أن الوزارة كانت قد وافقت على ذلك في غيابه (٢). وكان على بدر أن يكتفي بوظيفة صغرى كمترجم في السفارة الباكستانية بأجر زهيد (٢) ، وان ينتظر تحسن الأحوال . لقد مات تموز ثانية بالنسبة له عندما انحرفت الثورة عن أهدافها الأصلية .

وقد وصل إرهاب الشيوعيين قمته في أواسط تموز ١٩٥٩ ، عندما بدأوا الاضطرابات الدموية في كركوك ، فداهموا البيوت والحوانيت، وجروا أعداءهم بالحبال في الطرقات ليعذبوهم ثم يقتلوهم . هذه الحوادث ومسيرات الشيوعيين الضخمة في بغداد بمناسبة أول أيار أثارت مخاوف قاسم من سيطرة الشيوعيين في النهاية . فبدأ بالتدريج يعدل الميزان ويتقرب إلى القوميين المعتدلين في العراق وإن لم يكن ممكناً أن يرضي العناصر المنادية بالوحدة العربية . فإنها قامت بمحاولة فاشلة لاغتياله في تشرين الأول ١٩٥٩ . وهكذا جعل قاسم يضرب القوى المتطرفة واحدة بالأخرى وينجح في كبحها جميعاً لكنه خسر تأييدها جميعاً في آخر المطاف .

وكان من بين وسائله لكبح الشيوعيين السماحُ بنشر مقالات تهاجم الشيوعية في الصحف القومية المتزايدة . فكتب بدر سلسلة من المقالات بدأت تظهر في جريدة «الحرية» في منتصف آب ١٩٥٩ تحت عنوان «كنتُ شيوعياً». وقد اتخذ بدر في كل مقال ناحية من تجربته مع الشيوعيين فوصفها وضخّمها بحيث تصبح رجساً مكروهاً ، واعتمد في منطقه على إشارات إلى آخر تجارب العراق مع الشيوعيين . ولعله كان يريد أن يكتب شيئاً يماثل ما كتبه ستيفن سبندر أو إيناسيو سيلوني في كتاب «الإله الفاشل» (٣) . لكن بدراً لم ينجح في ذلك لأن

---

(١) جبرا ابراهيم جبرا : «شاعر تجدد الحياة لم ترأف به الحياة» ، مجلة «حوار» ، العدد ١٥ ، آذار نيسان ١٩٦٥ ، ص ١٢٨ .

(٢) جبرا ابراهيم جبرا : في مقابلة مع المؤلف ، بغداد ١٠ كانون الثاني ١٩٦٧ ، وكذلك السيدة إقبال السياب : في مقابلتها مع المؤلف ، البصرة ، ١٥ كانون الثاني ١٩٦٧ .

(٣) The God That Failed. Ed. Richard Crossman. Harper & Brothers, 1950 وقد ترجمت فصول من هذا الكتاب إلى العربية ونشرت بدون توقيع إلى جانب مقالات بدر ، ولعل بدراً هو نفسه المترجم .

اهتمامه بالمهاترة غلب على عاطفته وأفقده القدرة على استبطان الذات لاستخراج التجربة العميقة والحكم الموزون . غير أن مقالاته مع هذا كانت تقرا بنهم ، ولا بد أنها كانت ذات أثر في جمهور تلك الأيام العصيبة .

إن موقف بدر من قاسم ليس واضحاً تماماً . فمؤيد العبد الواحد مثلا (١) يذكر قصيدة لبدر عنوانها «القميص» كتبها بعد أن أطلق البعثيون النار على قاسم فجرحوه في محاولتهم لاغتياله . وفي هذه القصيدة يذكر بدر قميص قاسم الملطخ بالدم الذي قيل إنه وضعه في دولاب زجاجي بمبنى وزارة الدفاع ، ويربط بينه وبين قميص أسطوري يتهرأ لحم لابسه ويتساقط أشلاء ، ويعبّر بدر في هذه القصيدة عن شعور بالعداء تجاه قاسم . ومن ناحية أخرى ، يشير علي الحلي ، فيما يشير ، إلى أربع قصائد لبدر مدح بها قاسماً (٢) هذه مطالعها :

١ — هب في الفجر هبوبَ العاصفات ... قدرٌ حطّم أبوابَ الطغاة
٢ — ربيع شبابنا عاداً ... بفخر لف بغداداً
٣ — أطل فرشَ الليل ناراً وأنجما ... ونوّر أفقاً كان لولاه مظلما
٤ — عبد الكريم أغثني هد في الداء ... وحطمتني أرزاء وأعباءُ

ولم أستطع العثور على هذه القصائد الخمس ، ولكنه يبدو لي أن بدراً كان ضد قاسم عندما كان قاسم يساعد المد الشيوعي وكان معه عندما كبحه بعد ذلك . أما إذا أردنا الحكم من قراءة قصائد هذه الفترة المنشورة في مجموعاته ، فإن موقف بدر فيها هو ضد حكم قاسم الذي عزل العراق عن حركة الوحدة العربية. ولم يهاجم بدر فيها عهد قاسم جهراً ، ولكنه عبّر عن عدائه له في قصائد أسطورية الإطار ، رمزية اللغة مثل « مدينة السندباد » (٣) و « سربروس في بابل » (٤) و «المبغى» (٥) وغيرها .

ففي «مدينة السندباد» يرى بدر الموت السياسي الذي سبق الثورة بمثابة الجفاف والعقم والشوق إلى المطر ، ويقول :

---

(١) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ، ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ .
(٢) راجع علي الحلي : «الفنان والخلق الثوري» ، مجلة «الآداب» ، تموز ١٩٦٣ .
(٣) «أنشودة المطر» : «مدينة السندباد» ، ص ١٥٠ — ١٥٩ .
(٤) المصدر نفسه : «سربروس في بابل» ، ص ١٦٨ — ١٧١ .
(٥) المصدر نفسه : «المبغى» ، ص ١٣٥ — ١٣٨ .

جوعان في القبر بلا غذاءْ
عريان في الثلج بلا رداء
صرختُ في الشتاء :
أقبِضْ يا مطرْ
مضاجع العظام والثلوج والهباء ،
مضاجع الحجر ،
وأنبتِ البذورَ ، ولتفتّح الزهر ،
وأحرقَ البيادر العقيمَ بالبروقْ
وفجّرِ العروق
وأثقلِ الشجرْ .

ولكن ما كاد المطر يسقط حتى ودت العظام المبعوثة أن تموت ثانية . وألعازر الذي عاد إلى الحياة بدأ يشعر بآلام الجوع والعطش ، ويخاف الزمن والموت ، ويمدح الرعاع ويسفك الدماء . وقد تجنّب بدر ذكر الإله تموز لئلا ينكشف قصده بربط اسم الإله بثورة ١٤ تموز ، ولذلك دعاه باسمه اليوناني أدونيس وعبّر عن خيبة أمله في الثورة التي طال انتظارها وإذا بها تنقلب شيوعية :

همُ التتارُ أقبلوا ، ففي المدى رعافْ ،
وشمسنا دمٌ ، وزادنا دمٌ على الصحافْ ،
محمد اليتيم أحرقوه فالمساءْ
يضيء من حريقه ، وفارتِ الدماء
من قدميه ، من يديه ، من عيونهِ
وأحرق الإله في جفونه ،
محمد النبي في «حراء» قيّدوه
فسُمّرَ النهارُ حيث سمّروه .
غداً سيُصلب المسيحُ في العراقْ ،
ستأكل الكلابُ من دم البراقْ .

ثم يندب بدر الربيع الخادع الذي يأتي بالنجيع لا بالثمار « إلى مدينة الحبال والدماء والخمورْ ، مدينة الرصاص والصخورْ » التي هي بغداد . ويرى تمثال الجنرال مود النحاسي وتمثال الملك فيصل الأول الحجري وقد أزالهما الشعب من الشوارع وحطمهما فيقول :

أمسِ أزيح من مداها فارسُ النحاس ،

أمسِ أزيح فارسُ الحجر ،
فرانَ في سمائها النعاسْ
ورنّق الضَجَرْ
وجال في الدروب فارسٌ من البشر
يقتّل النساء
ويصبغ المهود بالدماء
ويلعن القضاء والقدر !

والراجح أن الفارس البشري يرمز إلى عبد الكريم قاسم نفسه . ثم يرى بدر بغداد وكأنها مدينة بابل القديمة تعود من جديد ، جنانها المعلقة مزروعة رؤوساً جزّتها الفؤوس القواطع وعيوناً نقرتها الغربان ويتساءل :

أهذه مدينتي ؟ جريحة القباب
فيها يهوذا أحمر الثياب
يسلّط الكلاب
على مهود إخوتي الصغار ... والبيوت ،
تأكل من لحومهم . وفي القرى تموت
عشتار عطشى ، ليس في جبينها زهَرْ ،
وفي يديها سلّةٌ ثمارها حَجَرْ
تُرجَم كل زوجة به . وللنخيلْ
في شطها عويلْ .

وفي قصيدة أخرى عنوانها «سَرْبَروس في بابل» ، يرى بدر قاسماً وكأنه الكلب ذو الرؤوس الثلاثة الذي يحرس مملكة الموت المظلمة :

ليعْوِ سَرْبَروسُ في الدروبْ
في بابلَ الحزينةِ المهدمه
ويملأ الفضاءَ زمزمه ،
يمزق الصغار بالنيوب ، يقضم العظامْ
ويشرب القلوب .
عيناه نيزكان في الظلامْ
وشدقه الرهيب موجتان من مُدَى

تخبّىء الردى
ــ أشداقه الرهيبة الثلاثةُ احتراقْ
يوْج في العراقْ ــ
ليعْوِ سَرْبَروسُ في الدروب
وينبش التراب عن إلهنا الدفين
تموزنا الطعين ،
يأكله : يمص عينيه إلى القرارْ ،
يقصم صلبه القوي ، يحطم الجرار
بين يديه ، ينثر الورود والشقيق .

ثم يندب بدر الإله الميت ويتمنّى عودته ، لأن الصغار في العراق لا يعرفون ما القمح والتمر والمهود والماء والبشر لأن كل ما يرونه دم ينز وحبال وحفر . وعندما تجول عشتار لتلتقط في سلة لحمَ تموز المنتثر ، يركض سربروس وراءها ويعضعض ساقيها ويديها ، ويمزق رداءها ويلوث وشاحها بالدم القديم ويعوي فوق الدم الجديد . وينهي بدر هذه القصيدة بقوله :

ليعْوِ سربروس في الدروبْ
لينهش الالهة الحزينة ، الإلهة المروعه ؛
فإن من دمائها ستخصب الحبوبْ ،
سينبتُ الأله ، فالشرائح الموزعه
تجمّعتْ ، تململتْ . سيولدُ الضياءْ
من رحمٍ ينز بالدماءْ .

وفي قصيدة «تموز جيكور» (١) يتخذ بدر شخصية تموز نفسه . ودمه المتدفق لم يغدُ شقائق أو قمحاً بل ملحاً . فينادي عشتار ويسمع ثيابها ترفّ ووقع خطاها يخفق كالبرق الخلّب . ويشتاق إلى قبلة منها ولكنه عندما ينالها فكأنّ ظلمة تنثال عليه وتنطبق . ومع هذا ، لا يفقد الأمل ويقول :

جيكورُ ... ستولد جيكورُ :
ألنّورُ سيورق والنّورُ
جيكور ستولد من جرحي
من غصّة موتي ، من ناري ،

---

(١) «أنشودة المطر» : «تموز جيكور» ، ص ٩٩ ــ ١٠٢ .

سيفيض البيدر بالقمحِ
والجرْن سيضحك للصبحِ ،
والقريةُ داراً عن دارِ
تتماوج أنغاماً حُلْوَه ،
والشيخُ ينام على الربوه ،
والنخل يوسوس أسراري .
جيكور ستولد . لكني
لن أخرج فيها من سجني
في ليل الطين الممدود
لن ينبض قلبي كاللحنِ
في الأوتارِ ؛
لن يخفق فيه سوى الدود .

وفي قصيدة «العودة لجيكور» (١) ينظر بدر في الآفاق بحثاً عن الكوكب الذي يعلن ميلاد الخلاص . ويسري على جواد الحلم الأشهب من المدينة إلى جيكور ليقدم طعامه للجياع ودموعه للبائسين ودعاءه لأن يقذف البركان نيرانه ويرسل الفرات طوفانه . ويقدّم نفسه ليتوّج بالشوك ويُصلب ، ويدعو الطيور والنمل لتولم من جرحه . وعندما يعود لجيكور ماضيها البهيج يصيح الديك فيضمحلّ الحلم أمام عينيه الدامعتين ، وينهي القصيدة بقوله :

جيكورُ ، نامي في ظلام السنين .

في ٢٠ نيسان ١٩٦٠ ، كتب بدر قصيدة عنوانها « رؤيا في عام ١٩٥٦ » (٢) نشرها في عدد حزيران ١٩٦٠ من مجلة «الآداب» . وعودته إلى هذه المجلة ذات دلالة . والمقصود من عنوان القصيدة أن يخدع الرقابة العراقية ويحملها على الاعتقاد أنه كان فيها يهاجم العهد الملكي ، لا عهد قاسم . لكن محتواها وتاريخها برهان كاف على غرضها الحقيقي. في هذه القصيدة يصف بدر رؤيا مؤلمة تنقضّ عليه كالصقر يرى فيها جنكيز يدمر بغداد : يرى حبالا تسحب شيخاً وفتاة وعجوزاً ويرى ضلوعاً محطمة وأثداء ممزقة ورأس طفل ونهد أم تنقره الديدان . ويرى

---

(١) «أنشودة المطر» : «العودة لجيكور» ، ص ١٠٨ – ١١٥ . مجلة «شعر» ، العدد ١٤ ، ربيع ١٩٦٠ ، ص ٧ .

(٢) «أنشودة المطر» : «رؤيا في عام ١٩٥٦» ، ص ١١٦ – ١٢٧ .

منجلا يحتث أعراق تموز بقطع أعراق الدوالي . ثم يصبح المشهد المضطرب احتفالا طقسياً للخصب يحييه عابدو الإله أتيس . ولا يربط فيه تمثال الإله فقط على ساق شجرة وإنما يربط أيضاً كل الأبرياء على كل ساق في العراق ، وفيهم «الأم الشمالية لأنها ليست شيوعية » ، والدم على شجر الزيتون يصبح كأنه الشقيق المزهر . وحفصة إحدى شهيدات مذبحة الموصل التي تصلب على شجرة ويدق مسمار في رحمها تصبح تجسيداً لعشتار يباع لحمها بخساً بالأفّة ، وثيابها يمسح بها الدم عن السكين القاتل . «فلتحيَ زنود العمال» . وشخنوب ، وهو عامل الاسمنت الذي استأجره الشيوعيون ليتظاهر بالموت في الجنازة التي أرادوا منها الاحتجاج على بطش الجيش بهم ، يقوم ماشياً مثل ألعازر عندما يسقط النعش : ذلك لأن البعث الزائف في رأي بدر هو نتيجة الموت الزائف . وهنا تنتهي الرؤيا ويختم بدر القصيدة بقوله : «فإنما الدماءُ تواثم المطرْ »

إن الإشارة إلى حفصة وشخنوب لا تدع مجالا للشك بأن بدراً كان يهاجم عهد قاسم ، لأن الحوادث المذكورة وقعت إبان المد الأحمر في العراق . والقصيدة مكتوبة بالشعر الحر لكن بدراً استمد موسيقاها من بحور عدة ، وهذا مما زاد اضطراب الرؤيا التي ترويها . وفكرتها الرئيسية أن الدم المراق في العراق في أول أيام الثورة سيجازى بالخصب والازدهار للبلاد ، فكأن المد الأحمر وشهداءه احتفالٌ طقسي للإله أتيس تُحييه البلاد بأسرها وفيه يجرح الكهنة والعابدون أنفسهم في أوج حميّتهم ويقدمون دماءهم قرباناً للخصب وشوقاً إليه ، فالبعث الحقيقي لا يأتي إلا بعد الموت الحقيقي فقط .

وفي ١٩ حزيران ١٩٦٠ كتب بدر قصيدة أخرى ونشرها في عدد خريف ١٩٦٠ من مجلة «شعر» تحت عنوان «جيكور المبغى» . وغريب أن يدعو بدر جيكوره مبغى ، فهي في شعره رمز المجتمع المثالي السعيد وهي الغرض الفكري الذي يستقطب كل مطامحه وتضحياته . ولكنه استعمل كلمة جيكور بدلا من كلمة بغداد في القصيدة ليخدع الرقابة العراقية . فالكلمتان تتألفان من مقطعين طويلين ، لكن القافية في موضعين من القصيدة تستدعي كلمة بغداد لا جيكور . وعندما أعيد نشر القصيدة في مجموعته «أنشودة المطر» ظهرتْ تحت عنوان « المبغى» واستبدلت كلمة جيكور بكلمة بغداد في المواقع الخمسة التي ترد فيها في القصيدة . بغداد إذن هي المبغى ، بغداد قاسم بكل تأكيد . لكن بدراً

---

(١) «أنشودة المطر» : «المبغى» ، ص ١٣٥ – ١٣٨ .

في مجموعته المذكورة أضاف ملاحظة في حاشية القصيدة يقول فيها إنها «كتبت في العهد المباد» . وليس هذا صحيحاً ، لأن بدراً عندما نشر القصيدة للمرة الأولى في مجلة «شعر» كتب تحتها تاريخها بصراحة وهو ١٩ حزيران ١٩٦٠ (١) . إنه لم يكن يتحدث إذن عن الملكية وانما كان يقصد الجمهورية في قصيدته هذه وكان يحاول أن يخدع رقابة قاسم .

وكانت المواخير قد ألغيت رسمياً في العراق بعد الثورة ، ولكن فكرة المبغى ظلت عالقة في ذهن بدر على أنه من أسوأ الشرور في المجتمع الفاسد . وكانت بغداد تحت حكم قاسم مبغى في رأيه ، إذ فقدت فيها القيم شرفها وحرمتها . والسأم الذي كان العراقيون يشعرون به وهم يتوقعون التغيير بدا لبدر في عينيْ مغنية :

كساعة تتكّ في الجدارْ
في غرفةٍ الجلوس في محطة القطارْ .

كانت بغداد كابوساً من الرعب والموت ، وعيون النساء فيها غير العيون التي وصفها الشاعر العباسي علي بن الجهم متغزّلا ، فبدر يقول :

عيون المها بين الرصافة والجسر
ثقوب رصاص رقّشتْ صفحة البدرِ

والبدر يسكب على بغداد شلالا من الرماد من ثقبيْ عينيه بينما الطاغية يضغطها في قبضته :

الدورُ دار واحده ،
وتُعصر الدروب ، كالخيوط ، كلّها
في قبضة ماردِه
تمطّها ، تشلّها
تحيلها درباً إلى الهجيرْ

وتحت حكم «الزعيم الأوحد» كما كان قاسم يدعى أصبح الناس في بغداد

... من طينٍ
يعجنه الخزّافَ تمثالا ،
دنيا كأحلام المجانين
ونحن ألوانٌ على لحّتها المرتجّ أشلاء وأوصالا .

---

(١) مجلة «شعر» : العدد ١٦ ، خريف ١٩٦٠ ، ص ٥٨ .

أما سعادة الأمس في «عيد الزهور» فقد تركت الناس حيارى : أيزرعون أم يقتلون ؟ وينهي بدر القصيدة متسائلا :

أهذه بغداد ؟
أم أن عاموره
عادت فكان المعاد
موتاً ؟ ولكنّي في رنّة الأصفادْ
أحسستُ ... ماذا ؟ صوتَ ناعوره
أم صيحة النّسغِ الذي في الجذورْ ؟

هذه القصيدة وغيرها تشير إلى أن بدراً كان ضد حكم قاسم ، وأنه كان ما يزال يأمل في ظروف أفضل من تلك الظروف الراهنة تكون النتيجة النهائية للثورة .

في تموز ١٩٦٠ ذهب بدر إلى بيروت لينشر مجموعة من شعره هناك . وكانت مجلة «شعر» قد أعلنت عن جائزة قدرها ألف ليرة لبنانية لأفضل مجموعة من القصائد المخطوطة ، فقرر بدر أن يدخل المسابقة بكل القصائد التي كان قد كتبها منذ ١٩٥٢ . وكانت شركة التأمين العربية هي التي تبرعت بقيمة الجائزة وكان بدر هو الذي فاز بها لمجموعته « أنشودة المطر » (١) التي نشرتها دار مجلة شعر في بيروت بعد ذلك .

وخلال إقامته في بيروت التي دامت شهراً تقريباً تعرف بدر على عدد كبير من الشعراء والكتاب والصحفيين في لبنان وخالط أرقى الأوساط الأدبية . وأجرت الصحف والمجلات الأدبية مقابلات معه وسنحت له الفرصة لأن يلقي بعض شعره في اجتماعات نظمتها «الندوة اللبنانية» ومجلة «شعر» (٢) .

وفي مكتب مجلة «شعر» قدّمه يوسف الخال إلى الآنسة لوك نوران وهي كاتبة وصحفية بلجيكية في أواخر العقد الثالث من عمرها . وكانت مهتمة بترجمة بعض قصائد بدر إلى لغتها الفرنسية . واجتمع بدر بها على حدة في مقهى «أنكل سام» وغيره من مقاهي بيروت ليساعدها على الترجمة لأنها لم تكن تعرف العربية ، وكان عليها أن تستعين بلغة بدر الإنكليزية وتفسيره الشخصي

---

(١) «أنشودة المطر» ، دار مجلة شعر ، بيروت ، تشرين الثاني ١٩٦٠ .
(٢) راجع مجلة «شعر» ، العدد ١٧ ، شتاء ١٩٦١ ، ص ١٧٢ .

للقصائد (١) . وقد أعجب بدر بذكائها وحساسيتها وكسبت ودّه وصداقته .

وعندما رجع بدر إلى العراق أعيد تعيينه رئيس ملاحظين في مديرية الاستيراد والتصدير براتب قدره اثنان وخمسون ديناراً عراقياً ، بعد أن ألغي قرار فصله لمدة ثلاث سنوات بموافقة مجلس الوزراء ولجنة الاعتراضات الخاصة بالمفصولين والمعزولين (٢) . فعاد إلى عمله في ١٦ آب ١٩٦٠ . غير أنه على ما يبدو لم يعد سعيداً بالحياة في بغداد . فقد لاحقته فيها ذكريات غير سارّة في العاصمة ، وودّ لو يذهب إلى الجنوب حيث يكون قريباً من جيكور ، وبعيداً عن ضوضاء السياسة . وكانت صحته قد بدأت تتأثر من ضغط العمل المضني والتوتر السياسي . وصار يشكو من ضعف عام ومن بعض الصعوبة في تحريك رجله اليمنى . فراجع الدكتور علي كمال (٣) وهو اخصائي بالأمراض العصبية ، فتحسنت صحته . ولكنه قرر أن يغادر بغداد . فاستقال من وظيفته في ٢٢ كانون الثاني ١٩٦١ (٤) وانتقل بعائلته ليسكن البصرة .

ودعاه اللواء الركن مزهر الشاوي ليعمل في مصلحة الموانىء العراقية في البصرة ، وكان مديرها العام . وكان الشاوي رجلا محبوباً طيب القلب ، وكان يقدّر شعر بدر وينظم الشعر هو نفسه (٥) . وفي ٦ شباط ١٩٦١ عيّن بدر رئيس ملاحظين في مديرية الشؤون الثقافية في مصلحة الموانىء براتب شهري قدره اثنان وخمسون ديناراً . (٦) وفي اليوم التالي أعيرت خدماته موقتاً لرئاسة

---

(١) Luc Norin: "As-Sayyab ou la vie au coeur de la mort". Les Conférences du Cénacle, XIXe Année, No. 2, Beyrouth, 1965, p.56
وانظر ترجمتها لشعر السياب في كتاب :
Anthologie de la littérature arabe contemporaine : La Poésie. Tr. Luc Norin et Edouard Tarabay, Paris, Editions du Seuil, 1967

(٢) وزارة التجارة : مديرية الاستيراد والتصدير العامة ، رسالة الذاتية رقم ١٤٥٣٤ بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٦١ .

(٣) جبرا ابراهيم جبرا : «شاعر تجدد الحياة لم ترأف به الحياة» ، مجلة «حوار» ، العدد ١٥ ، آذار، نيسان ١٩٦٥ ، ص ١٢٨ .

(٤) وزارة التجارة : المصدر المذكور .

(٥) راجع ما كتبته عنه Ethel Mannin في كتابها A Lance for the Arabs (لندن ١٩٦٣) ، ص ٧٠ — ٧٢ .

(٦) وزارة المواصلات : مصلحة الموانىء ، رسالة مديرية الذاتية إلى المؤلف رقم س ١٠٩/٦٢١ بتاريخ ١٨ أيار ١٩٦٦ .

النقليات بأرصفة الميناء في المعقل (١) .

في غضون ذلك ، اتهم بدر بأنه اشترك في مظاهرة ببغداد وأصدر الحاكم العسكري العام أمراً بالقبض عليه وحجزه بتاريخ ٤ شباط ١٩٦١ . وعندما احتج بدر بأنه لم يكن في بغداد ، أصدر الحاكم العسكري العام أمراً آخر بإطلاق سراحه بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٦١ (٢) .

وأعيد بدر إلى مديرية الشؤون الثقافية في مصلحة الموانيء . وكانت مسؤولياته الرئيسية فيها العناية بشؤون الطلاب المرسلين في بعثات علمية لدراسة العلوم البحرية في الجامعات العربية أو الأوروبية. وكان مدير دائرته عمسو إسكندر عمسو الذي كان سابقاً أستاذه للإنكليزية في مدرسة البصرة الثانوية للبنين . وهو رجل لطيف للغاية . وكان يقدر خدمات بدر ويتعاون معه بسهولة (٣) . وكان بين زملاء بدر في مصلحة الموانيء واحد أصبح من أقرب أصدقائه اليه اسمه مؤيد العبد الواحد . وهو من عائلة غنية في أبي الخصيب . وكان جدّه عبد الوهاب جلبي العبد الواحد (ت ١٩٥٥) ومن بعده أبوه (ت ١٩٥٩) قد وظفا والد بدر وكيلا عاماً على أملاكهما الواسعة ومشرفاً على شؤون بيتهما . وكان مؤيد يعرف والد بدر — «العم شاكر» كما كان يسميه هو وإخوته في صغرهم . ولا يزال يذكر انه كان رجلا ذا نفوذ في بيت الجلبي (٤) . وكان مؤيد في منتصف العقد الثالث من عمره يصبو إلى أن يصبح شاعراً معترفاً به . وكان معجباً بشعر بدر ومتأثراً به إلى حدّ بعيد . وكان بدر يحبه لصراحته وإخلاصه ودماثة خلقه ، ويصحح له كثيراً من قصائده . وكان يرى فيه شاعراً له مستقبل حسن فشجعه .

في هذه الاثناء كانت صحة بدر في تدهور . فقد بدأ يجد صعوبة في تحريك رجليه كلتيهما وبدأ يشعر بألم في القسم الأسفل من ظهره . فراجع الدكتور توما هندو في البصرة (٥) ، وحصل على بعض التحسن . لكنه كان يقول إنه يعاني من فقر شديد في الدم (٦) وهو داء يقترن بعدد من الأمراض الالتهابية

---

(١) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ .
(٢) رسالة سرية من مديرية الأمن العامة ، الدائرة الجنائية ، إلى مصلحة الموانيء ، رقمها ٢٠٨٦ بتاريخ ٢٨ شباط ١٩٦١ .
(٣) عمسو اسكندر عمسو : في مقابلة مع المؤلف ، البصرة ١٧ كانون الثاني ١٩٦٧ .
(٤) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٣٠ آب ١٩٦٦ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) عيسى الناعوري : في كتاب «بدر شاكر السياب» ، منشورات أضواء ، ص ٤٦ .

والفسادية المفهومة قليلا التي تصيب النخاع الشوكي وتسبب خراب أجهزة خلاياه الهرمية (١) ، وتؤدي إلى الشلل .

في ٧ تموز ١٩٦١ وضعت زوجة بدر طفلة سمّاها آلاء (٢) . وكان بدر يجد صعوبة في القيام بمسؤولياته العائلية والمالية . وساءت الأمور عندما تقرر أيضاً أن يرد للحكومة في دفعات شهرية ابتداء من آب ١٩٦١ المكافأة التقاعدية البالغة ٥٤٦ ديناراً التي تسلمها في ١٩٥٩ تضاف اليها فائدة ٥٪ ، وذلك إذا كان يريد أن يحتفظ بوظيفته (٣) . وهكذا كان يُقتطع من راتبه شهرياً أكثر من ثلثه ، فيبقى له من المال ما لا يكاد يقوم بكفاف العيش فضلا عن المعالجة الطبية .

وفي محاولة لمساعدته مالياً عيّنه اللواء الركن مزهر الشاوي عضواً في هيئة تحرير مجلة «الموانىء » وهي مجلة مصلحة الموانىء العراقية التي كان عبد الوهاب الصافي محررها المسؤول . وكانت العضوية في هيئة التحرير تعود على كل عضو فيها بخمسة دنانير عراقية شهرياً (٤) . لكن بدراً لم ينشر في هذه المجلة شيئاً من شعره أو مقالاته على الرغم من أنه طُلب منه ذلك مرة بصراحة . وقد طار إلى بغداد في الأسبوع الأخير من تشرين الثاني ١٩٦١ للإشراف على عدد خاص منها ، وحل مرةً أخرى محل المحرر المسؤول الذي كان في إجازة مرضيّة . لكنه في ما سوى ذلك كان قليل الارتباط بهذه المجلة الحكومية في عهد قاسم . وصحيح أنه مدح قاسماً علناً بمناسبة العيد الثالث للثورة (٥) وكتب بضعة مقالات في جريدة « العهد الجديد » تعترف بحكمه بطريقة غير مباشرة (٦) لكن بدراً الآن كان قصبة مرضوضة وكانت ظروفه الحرجة كثيراً ما توقعه في تناقضات عديدة .

وقد حملته الحاجة إلى المال أن يقبل ترجمة كتابين أمريكيين لمؤسسة فرنكلين ببغداد ، وأن يراجع لها ترجمة كتاب ثالث ويكتب له مقدمة . ومؤسسة فرنكلين

---

(١) راجع مادة «شلل» Paralysis في Encyclopaedia Britannica (1967 Edition)

(٢) فؤاد طه العبد الجليل : في رسالة إلى المؤلف ، عن بريد البصرة ٧ تموز ١٩٦٦ .

(٣) مصلحة الموانىء العراقية : رسالة دائرة المحاسبة ، رقم تقاعد /١٠٣ بتاريخ ٩ حزيران ١٩٦٦ .

(٤) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ .

(٥) راجع الملاحظة (١) على صفحة ١٢٣ ، والملاحظة (١) على صفحة ١٢٤ أعلاه .

(٦) راجع مجلة «الآداب» ، تموز ١٩٦٣ : «الفنان والخلق الثوري» لعلي الحلي . وعبد الجبار داود البصري : «بدر شاكر السياب ، رائد الشعر الحر »، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٨١ .

للطباعة والنشر منظمة أمريكية غير تجارية تأسست في نيويورك عام ١٩٥٢ غايتها نشر الثقافة الأمريكية بترجمة المؤلفات والكتب الأمريكية إلى لغات عدة . ولها مكاتب في نيويورك ، وبيروت ، والقاهرة ، وبغداد ، وطهران ، وتبريز ، وداكا ، وجاكرتا ، وكوالالمبور . ولها مكاتب جديدة في كابل ، ولاهور ، ولاغوس، وإينوغو، وبونس آيرس . ويقال إن أموالها تأتي من الهبات المعفية من ضريبة الدخل التي يقدمها لها المواطنون الأمريكيون والشركات الأمريكية (١) ، ولكنه من الراجح أيضاً أن الحكومة الأمريكية تقدم لها المساعدة المالية في محاولة لمكافحة الشيوعية ونشر المعلومات الأمريكية في العالم .

وقد ترجم بدر لهذه المؤسسة «الجواد الأدهم» من تأليف وولتر فارلي ، ويجب أن يكون قد قبض مقابل ذلك حوالي ٢٣٠ ديناراً عراقياً . وترجم كذلك «مولد الحرية الجديد» من تأليف فرجينيا س. إيفرت ، ويجب أن يكون قد قبض مقابل ذلك حوالي ٣٢٠ ديناراً عراقياً . وراجع أيضاً ترجمة كتاب «توماس جفرسون » من تأليف فنسنت شيان وترجمه جاسم محمد ، وكتب للكتاب مقدمة ، ويجب أن يكون قد قبض مقابل ذلك حوالي ٣٥ ديناراً عراقياً . والواقع أن بدراً لم تدفع له قط مبالغ طائلة كهذه من أجل أي عمل أدبي قبل ذلك .

لكن أعمال الترجمة استغرقت الكثير من وقته حتى انه لم يكتب الا القليل من الشعر في هذه المدة . وفي نيسان ١٩٦١ ، زار مسقط رأسه جيكور ، فعاد اليه حشد من ذكريات الماضي إذ وقف في ساحة القرية . وأثار شباك وفيقة الأزرق أعمق مشاعره وهو ينفتح أمامه على ساحة القرية الخالية . وكانت وفيقة قد توفيت قبل حوالى عشر سنوات ، ولكنها كانت لا تزال حية في قلبه مثالا أعلى لا يُنال . ولم يذكره شباكها الأزرق بآماله الخائبة فقط ، بل ذكّره أيضاً بفناء الحياة نفسها . فكتب قصيدة في قسمين عنوانها «شباك وفيقة» . (٢) وكانت هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها اسم وفيقة في شعره . كان شباكها

---

(١) الآنسة سميرة عزام ، محررة بمؤسسة فرنكلين في بيروت : في مقابلة مع المؤلف ببيروت في ٩ حزيران ١٩٦٦ . راجع التقرير السنوي لمؤسسة فرنكلين للسنة المنتهية ٣٠ حزيران ١٩٦٣ وفيه ذكرت (صفحة ١) «الحكومات (الولايات المتحدة وغيرها) » كصادر للهبات المالية بالاضافة إلى المؤسسات والشركات والأفراد والدخل الناتج من عمليات المؤسسة . وفي التقرير ايضاً (ص ١٠ و ١٦) ذكر ان الحكومة الأمريكية تقدم لها الهبات بموجب القانون العام ٤٨٠ .

(٢) «المعبد الغريق» : «شباك وفيقة» ، ص ٥ — ١٦ .

يبدو وكأنه ينتظر أعجوبة ، مثل الجليل تنتظر مشية يسوع . كان شباكها مثل إيكار الهارب من المتاهة ليقترب من الشمس محلقاً بلا خوف ثم يسقط في قبره البحري . تذكر بدر كيف كان شباكها هو الصخرة التي عرج منها قلبه إلى سماء الحب ، ولكنه شعر الآن أنه مثل عوليس العائد إلى بيته شيخاً أبيض الشعر . هناك شبابيك مثله محبوبة في لبنان والهند واليابان ما زالت تحلم بأمل ، بينما وفيقة تحلم في قبرها ، وشباكها مثل جناحيْ إيكار احترقتْ ألواحه إلى الأبد . تمنى بدر لو انشق الشباك الأزرق عن وجهها كما انشق المحار عن عشتروت فسارت من الرغو إلى الشاطىء . ولكن وفيقة لم تحقق أمنيته ، فشعر كأنه طائر عبر البحر وطاف بشباكها الأزرق متعباً يريد التجاء فلم تفتح له . كان شباك وفيقة بالنسبة له حبلا يشدّ الحياة إلى الموت كي لا تموت . كان بدر يريد أن يعيش في الماضي لأن الماضي لا يموت ما دامت ذكراه حيةً في الذهن :

شفاهكِ عندي ألذّ الشفاه
وبيتكِ عندي أحبّ البيوت
وماضيكِ من حاضري أجملُ :
هو المستحيلُ الذي يُذهلُ ،
هو الكاملُ المنتهي لا يريد
ولا يُشتهى إنه الأكملُ ،
ففي خاطري منه ظلّ مديد
وفي حاضري منه مستقبلُ (١) .

وقد أثارت زيارة دار جدّه في القرية أفكاراً مماثلة جسّدها في قصيدة بعنوان «دار جدي» (٢) وكانت الدار مهجورة دبّ اليها الخراب بعد وفاة جدّه . فلم يُجب طرقاتِه على بابها إلا صدى طفولته وصباه ، ووجوه العجائز التي هي أفصح من الجنائزِ والقبور في حديثها الصامت عن مناجل الزمن . تذكر بدر أيام صباه في تلك الدار ، فأدرك أنه لا يشتهي الدار نفسها في جدّتها ورونقها ، وإنما يشتهي الصبا والهناء . أما خرائب الدار المحدّقة اليه فهي تذكره فقط بأنه يحمل برعم الردى في داخله . وشعر بدر وهو يواجه خرائب الدار كأنه أورفيوس ينزل إلى الجحيم فيلتقي بزوجته الحبيبة يورديس وقد عادت حية . عادت إلى بدر كل ذكريات صباه ورأى عالم طفولته لا يشيخ أبداً وقد توقف فيه الزمن ،

---

(١) المصدر نفسه : ص ١٤ – ١٥ .
(٢) المصدر نفسه : «دار جدي» ، ص ٤٥ – ٥٢ .

فهو سعيد أبداً . وقال بدر في ختام القصيدة :

أهكذا السنون تذهبُ
أهكذا الحياة تنضبُ
أحسّ أنني أذوب ، أتعبُ
أموت كالشجر .

وكان اهتمام بدر بمشكلة الموت يزيد حدّة بانحدار صحته المتواصل . وكان يشعر بضعف جسده أمام حياة لا ترأف به ولا تقلل من طلباتها . كان في السابق يرى الموت قوة فداء ووسيلة خلاص تؤديان إلى حياة موفورة فضلى . أما الآن فبدأ يشعر أنه مشكلة شخصية بكل ما للتجربة الفردية من صميمية ويقين . كان الموت الآن ، موته هو ، لا موت الآخرين . كان موته وحده ولا يستطيع الآخرون مساعدته — بل إن الآخرين مضوا في لامبالاة يتابعون شؤون حياتهم ، حتى إنهم أحياناً ليتدخلون في مملكة الموتى .

في تموز ١٩٦١ كتب قصيدة عنوانها «أمّ البروم» (١) . وقد أوحت فكرة القصيدة نفسها اليه إذ رأى مقبرة أمّ البروم تصبح جزءاً من مدينة البصرة النامية المتوسعة . فحيث كان الموتى يرقدون في صمت يحلمون بماضيهم وينتظرون موعد الربّ ، تضجّ المدينة الآن برنين النقود وضوضاء السيارات والمسافرين وصخب الملاهي الليلية والمقاهي والحانات . فقد قلّعت المدينة عيون الأموات وعصّرت النهود الدفينة ومزّقتها بالعجلات والرقصات وركلتها — ثم تثاءبت وكأن المدينة لم يكن لديها ما يكفيها من لحم الأحياء لتعركه فعمدت إلى ضلوع الأموات تلوكها ثم تقيئها للريح . وحيث كان السلام سائداً ، جاءت المدينة بالدلاّل يطالب بأتعابه ، وجاءت بالسكارى والبغايا يقهقهون ، وجاءت بكل خصومات البشر التافهة وشرورهم .

ومع هذا لم تستطع أية مدينة أن تتدخل في عالم وفيقة السفلي . ففي قصيدة بعنوان «حدائق وفيقة» (٢) كتبها في آب ١٩٦١ ، وصف بدر هذا العالم السفلي المنيع بالإشارة إلى نباته العطر وأنهاره الظليلة حيث يلتقي الضياء والظلام والحقيقة والخيال ، وحيث وفيقة «تتمطى في سرير من شعاع القمر» ، بينما الغصون الهامسة والفتور الناعس والشحوب الدامع والألوان المنطفئة والأصوات

---

(١) «المعبد الغريق» : «أم البروم» ، ص ٢٤ — ٣١ .

(٢) «المعبد الغريق» : «حدائق وفيقة» ، ص ١٧ — ٢٣ .

الخافقة توحي كلها ببرودة الموت وأسى الوحدة الذي تنتظر فيه وفيقة رفيقها .

وبعد أسبوعين كتب بدر قصيدة « أمام باب الله » (١) يصوّر فيها نفسه منطرحاً امام باب الله الكبير يستجير بانكسار ويطلب السلام في الموت . وهو لا يبتغي من الحياة غير ما لديه ، فالهري مليء بالغلال . ولكنه يريد أن يترك حقله لسواه يزرعه ويحصده . ويقول :

أريد أن أعيش في سلام
كشمعة تذوب في الظلام
بدمعة أموت وابتسام .
تعبتُ من توقّد الهجير
أصارع العبابَ فيه والضمير
ومن ليالٍ مع النخيل ، والسراج ، والظنون
أتابع القوافي
في ظلمة البحار والفيافي
وفي متاهة الشكوك والجنون .
تعبتُ من صراعي الكبير
أشقّ قلبي أطعم الفقير ،
أضيء كوخَهُ بشمعة العيون ،
أكسوه بالبارق القديمة
تنث من رائحة الهزيمه .
تعبتُ من ربيعيَ الأخير
أراه في اللقاح والأقاح والورود ،
أراه في كل ربيع يعبر الحدود .
تعبتُ من تصنّع الحياه
أعيش بالأمس ، وأدعو أمسيَ الغدا
كأنني ممثل من عالم الردى
تصطاده الأقدار من دجاه
وتوقد الشموع في مسرحه الكبير
يضحك للفجر وملء قلبه الهجير .
تعبتُ كالطفل إذا أتعبه بكاه .

---

(١) المصدر نفسه : «أمام باب الله» ، ص ٣٢ – ٣٩ .

ويتمنى أن يسعى إلى سدّة الله مع الخطاة الآخرين ويعترف بفشله في لفت العيون اليه في عالم يرى زنابق الماء على وجه الماء ولا يرى المحار في القرار واللؤلؤ الفريد . ويشكو لله مفجّر الجمال وجهاً لم يعرف الجمال والوسامة ، وطفولة تقضت وشباباً انطفأ . وينهي كلامه قائلا :

منطرحاً أصيح ، أنهش الحجار :
«أريد أن أموت يا إله ! »

كانت هذه حقاً أدنى درجة من اليأس وصل اليها بدر في حياته . ولم يكن يدري أنه سيعيش في حضن الموت مدة سنوات ثلاث أخرى يتأرجح فيها بين اليأس والأمل إلى أن يلفظ نفسه الأخير . وكان عليه أن يعاني المزيد من الآلام المبرّحة والمشاعر الساحقة . كان عجزه عن المشي بسهولة كلّ ما يراه العالم منه ، أما هو فكان يعلم أن شيئاً آخر كان يحدث لجسده مؤخراً . فقد بدأ يفقد الإحساس في المناطق السفلية مما أدّى إلى عدم ضبط البول ليلا بضع مرات وإلى ما هو أسوأ من ذلك، إذ بدأ يفقد قواه الجنسية بتزايد ملحوظ (١) . ولم ينفع علاج في نظره . فهذه الحالة المرضية بعد الصحة العادية كانت ضربة شديدة الوقع على نفسه حتى انه رغب في الموت الفوري . ولكنه كان سيعوّد نفسه على الصبر رغم التدهور المتواصل في صحته حتى ان أهله وأصدقاءه ومعارفه لم يفقدوا ابداً روحه الفكهة .

وفي صيف ١٩٦١ تسلم بدر دعوة للاشتراك في مؤتمر للأدب العربي المعاصر يعقد في روما في تشرين الأول من تلك السنة . وقد طلب اليه أن يعد محاضرة عن « الالتزام واللاالتزام في الأدب العربي الحديث» . وكان المؤتمر بادارة المنظمة العالمية لحرية الثقافة ومعهد الشرق الايطالي ومجلة «تمبو بريزنته» الإيطالية . وليس بين أيدينا ما يدل على أن بدراً كان يخالجه ريب بأن حكومةً ما كانت تموّل المؤتمر لأغراض سياسية ، ولكنه لا بد كان يعرف أن الهيئات التي دعت له وكانت تديره كانت غربية النزعة في موقفها السياسي . ولما لم يكن هذا الموقف مناقضاً لموقفه هو الجديد فإنه قبل الدعوة .

ونحن الآن نعرف أكثر مما كان معروفاً عندئذ عن المصادر المالية للمنظمة العالمية لحرية الثقافة منذ أن نشرت جريدة « نيويورك تايمز » سلسلةً من خمس

---

(١) هذه المعلومات الطبية قدمها للمؤلف بإذن خاص مستشفى الجامعة الأمريكية بيروت في تقرير التسريح للمريض رقم ١٨٠٧٠٤ وفي رسالة إلى المؤلف بتاريخ ٢١ تموز ١٩٦٦ .

مقالات بين ٢٥ و ٢٩ نيسان ١٩٦٦ تكشف فيها دور وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في تمويل حركات الطلاب ومنظمات العمال والهيئات الثقافية سرّاً وبطريقة غير مباشرة في محاولتها لمكافحة الشيوعية في العالم . وكانت المنظمة العالمية لحرية الثقافة التي تأسست في ١٩٥٠ قد أصبحتْ – غفلةً – من المنتفعين من أموال الاستخبارات الأمريكية ومن وسائلها العالمية في استراتيجية الحرب الباردة على المستوى الفكري . وكانت المنظمة العالمية لحرية الثقافة ترعى عدداً من المجلات الليبرالية في العالم مثل «دير مونات» في ألمانيا ، و «إنكاونتر» في بريطانيا ، و «بريف» في فرنسا ، و «كوادرنت» في أستراليا ، و «كويست» في الهند ، و «كادرنوس برازيلوس» في البرازيل ، و « فريدم» في اليابان ، و «كومنت» في الفيليبين ، و «ترانزيشن» في أوغندا ، و «تمبو بريزنته» في إيطاليا ، و «ميزفا» في اليونان ، و «فورم» في النمسا ، وأصدرت ابتداء من تشرين الثاني ١٩٦٢ مجلة «حوار» في لبنان (١) . وكانت المنظمة ترعى أيضاً عقد مؤتمرات إقليمية أو دولية لبحث شتّى القضايا الفكرية وتدافع دوماً عن حرية الثقافة .

وكان أعضاء مؤتمر الأدب العربي المعاصر المنعقد في روما أكثر من خمسين شخصاً جاؤوا من جميع أنحاء العالم العربي تقريباً ومن بعض مراكز الاستشراق في أوروبا وأمريكا . وفي هذا المؤتمر التقى بدر بعض أصدقائه مثل جبرا إبراهيم جبرا ، ويوسف الخال ، وأدونيس ، وسلمى الخضراء الجيوسي ، وتعرّف إلى عدد من الأصدقاء الجدد مثل توفيق صايغ ، وكاتب ياسين ، وأسعد رزوق ، وسيمون جارجي ، وفرحات زيادة ، وألبرت حوراني ، وجميل صليبا ، وبنت الشاطىء ، وإبراهيم مدكور ، وتعرف إلى عدد من المستشرقين الإيطاليين

---

(١) في اجتماع الجمعية العمومية الذي عقدته المنظمة العالمية لحرية الثقافة في باريس في أيار ١٩٦٧ بعد سنة من التساؤلات الصحفية عن الفضيحة الفكرية أعلن المدير العام للمنظمة أن الأنباء القائلة إن الاستخبارات الأمريكية مولت المنظمة أنباء صحيحة . واستنكر بلهجة شديدة الخدعة التي تعرضت لها المنظمة على يد الاستخبارات الأمريكية . وقد استقال بعض محرري مجلات المنظمة ، ولاسيما ستيفن سبندر وفرانك كرمود ، محررا مجلة «إنكاونتر» . وأوقف توفيق صايغ مجلة «حوار» في أعقاب الحملات الشديدة التي وجهت اليه في العالم العربي . راجع مجلة «أفكار» ، العدد ١٣ ، عمان ، حزيران ١٩٦٧ ، ص ١٤٩ – ١٥٣ . وراجع كذلك جريدة «القدس» ، العدد ٥٤ ، الصادر عن القدس في ٢٨ أيار ١٩٦٧ ، ص ٦ .

مثل باولو منغانتي ، ومارتينو مورينو ، وماريا نللينو ، وجورجيو دلافيدا وغيرهم. وقد سرّ بلقاء ستيفن سبندر الذي كان يمثل مجلة «إنكاونتر» ، وإيناسيو سيلوني الذي كان يمثل مجلة «تمبو بريزنته» ، فإنهما كليهما مرّا بتجربة مع الشيوعية تشبه تجربته . وكان بين الصحفيين في المؤتمر الآنسة لوك نوران ، فجدّد بدر روابط الصداقة والود معها . وكان جون هَنْت ، سكرتير المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، يبدي اهتماماً شخصياً ببدر .

كان جو المؤتمر جو صراحة وصداقة وحرية في بيئة مريحة باذخة راقية . وكانت لغات المؤتمر الرسمية العربية والإنكليزية والفرنسية ، وكان فيه ترجمة آنيّة على سمّاعات فرديّة من اللغة الواحدة إلى الاثنتين الأخريين . وكانت أبحاثه من مواضيع الساعة . فقد تحدث يوسف الخال عن «الأديب العربي في العالم الحديث» وعلّق عليه سيمون جارجي ، وتحدث عيسى الناعوري عن «الأديب العربي والثقافة العالمية» وعلّق عليه محمد برّادي ، وتحدث إبراهيم مدكور عن «الأدب العربي تجاه مشكلتيْ اللغة والحرف» وعلّق عليه فرانشيسكو غابريلي ، وتحدثت بنت الشاطىء عن «الأدب النسوي العربي المعاصر» وعلقت عليها سلمى الخضراء الجيوسي ، وتحدث أدونيس عن «الشعر العربي ومشكلة التجديد» وعلّق عليه ستيفن سبندر ، وتحدث جبرا ابراهيم جبرا عن « الرواية والقصة القصيرة والمسرحية ودورها في المجتمع العربي» وعلّقت عليه بنت الشاطىء ، وتحدث بدر عن «الالتزام واللا التزام في الأدب العربي الحديث» وعلّق عليه إيناسيو سيلوني . وكان كل تعليق يلحقه مناقشات طويلة ما عدا المحاضرة الأخيرة عن «الأدب العربي بين التقليد والتجديد — موقف الأدباء العرب» لمحيي الدين محمد ، فقد وردت الأعضاء متأخرة ولم يجرِ النقاش حولها بشكل نظامي (١) .

وكانت محاضرة بدر كلمة عجولة سطحية اعتمدت على التجربة الشخصية أكثر من اعتمادها على البحث العلمي . وقد كرس معظمها للشعر العربي بينما لم تنل الرواية والقصة القصيرة والمسرحية كثيراً من عنايته . وزعم بدر أن الشعر العربي شعر ملتزم منذ أقدم عصوره إلى العصر الحديث ما عدا استثناءات نادرة . لكن الشيوعيين هم الذين طرحوا مشكلة الفن للفن أو الفن للمجتمع في العالم العربي في أعقاب الحرب العالمية الثانية . فكان الالتزام الأدبي بالنسبة لهم يعني الالتزام

---

(١) راجع «الأدب العربي المعاصر — اعمال مؤتمر روما المنعقد في تشرين الأول سنة ١٩٦١» ، منشورات أضواء ، بلا تاريخ (ولعله بيروت ١٩٦٢) .

بالمادية الديالكتيكية وحدها ، وكان يعني في الواقع إلهاب عواطف الجماهير والفقراء واستعمال الشعارات الحزبية الشيوعية . وكانت نتيجة هذا الالتزام شعراً ركيكاً قدّم بدر منه نماذج سيئة . وقد قام التزام القوميين العرب في وجه الالتزام الشيوعي . ولكنه لم يكن مختلفاً عنه إلا في استعمال ألفاظ معيّنة تناسب الشعارات القومية . وقد جاء مفهوم جان بول سارتر للأدب الملتزم ليؤيد الالتزام غير الشيوعي بين الأدباء العرب ، وأثرت فيهم جميعاً واقعيةُ ت. س. إليوت ولاسيما في «الأرض الخراب» وإن لم يفهموا فنه دائماً فهماً صحيحاً ولاسيما الشيوعيون. لكن فئة من الشعراء العرب الشباب دعاهم بدر «تموزيين» وعدّ نفسه منهم فهمت روح إليوت وتكنيكه وقدّرت استعماله للرموز . هؤلاء عمدوا إلى الرموز ليخفوا تذمرهم من الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة في العالم العربي حيث انعدمت الحرية . وكانوا في رأيه شعراء ملتزمين حقاً . فبينما كان التزام الشيوعيين مفروضاً فرضاً من الخارج ، كان التزام هؤلاء التموزيين نابعاً بحرية من نفوسهم ولا يتخلّون معه عن الجودة الفنية من أجل الشهرة الشعبية . هذه الفئة تعرضت لهجوم من اليسار لأنها في نظره تخدم مصالح البرجوازية والاستعمار ، ومن اليمين لأنها في نظره فئة ضعيفة الأدوات الشعرية قليلة الحصيلة من الأدب العربي القديم أفسدتها أموال المستعمرين لتعمل على تحطيم التقاليد الشعرية العربية المتوارثة . وعلى الرغم من أن شعرهم كان يبشر بمستقبل لامع فإنهم على ما يبدو أصيبوا بخيبة الأمل في النهاية كما هو واضح من آخر نتاجهم حيث أقلعوا عن الالتزام وانصرفوا إلى المشاكل الذاتية والشخصية بل إنهم افتعلوها . وذكر بدر أمثلة على ذلك الاتجاه من شعر يوسف الخال ، وصلاح عبد الصبور ، وأدونيس ، ونفسه . وقال متحدثاً عن نفسه : « ...كأنني تخمّت من الالتزام فأنا أتفلت منه » . وبعد إشارة عابرة إلى الالتزام في الروايات الواقعية والقصة القصيرة لدى محمد حسين هيكل ، وطه حسين ، ومحمود تيمور ، ونجيب محفوظ ، وذو النون أيوب ، ومارون عبود ، وأخرى إلى الالتزام في مقالات عمر فاخوري ، وطه حسين ، اختتم بدر محاضرته بأن قسم الالتزام الأدبي نوعين : الأول هو الالتزام الشيوعي وأولى أن يسمّى إلزاماً ، والالتزام القومي الحزبي الذي لا يختلف عنه الا في بعض التفاصيل ، والثاني الالتزام اللاشيوعي واللاحزبي النابع من نفوس الأدباء ممن قدّموا نماذج رائعة من الأدب الملتزم ، ولكنهم اندحروا في مجتمع يسيطر عليه التعصب الحزبي .(١)

(١) المصدر نفسه : ص ٢٣٩ – ٢٥٥ .

وعلّق إيناسيو سيلوني على هذه المحاضرة فأيد الرأي القائل إن الكاتب الملتزم عن دعوة شخصية ينتسب إلى المجتمع لا إلى الدولة ، ولا يقبل أبداً أي التزام يأتيه من أية سلطة ، ويظل أميناً لنفسه في خدمة الإنسان (١) .

وفي إحدى فترات الاستراحة في المؤتمر قال جون هَنْت سكرتير المنظمة العالمية لحرية الثقافة لألبرت حوراني الأستاذ بجامعة أكسفورد إن المنظمة مستعدة أن تقدم لبدر منحة دراسية في إحدى جامعات انكلترا . ووعد الأستاذ حوراني بأن يحاول إيجاد جامعة تقبله (٢) . وكان جبرا إبراهيم جبرا من الذين شجعوا بدراً على مواصلة الدراسة في الخارج وكان بدر يعتقد أنه قد يجمع بين الدراسة والمعالجة في إنكلترا ، فتوسط له جبرا لدى صديقه القديم الأستاذ حوراني ليساعد بدراً في هذا المجال (٣) .

وبينما كان بدر في روما سنحت له الفرصة وزار الكوليزيوم والآثار الرومانية الأخرى ولكنها بدت له وكأنها تقيد روحه . غير أنه عندما زار الفاتيكان والبابا يوحنا الثالث والعشرين قال : «الآن اكتشفت أن لرومة معنيين : معنى في الكوليزه يقيد الإنسان ، ومعنى في الحاضرة الفاتيكانية يحرره .» (٤)

وكتب بدر قصيدة عنوانها «حنين في روما» (٥) يحنّ فيها إلى وطنه وإلى امرأة لا يسميها يعبّر لها عن حبه الشبق. هل كان يوجه إلى زوجته هذه القصيدة أم إلى وفيقة ؟ وكتب في بيروت وهو في طريق عودته إلى العراق قصيدة حب أخرى عنوانها «احتراق» (٦) وفيها يعبر عن عدم قدرته على إثارة شهوة ملتهبة في محبوبته مثل شهوته هو ، وكأن بينهما أستاراً حاجبة أو صحاري من ثلوج . وبعد أن وصل البصرة كتب قصيدة حب ثالثة عنوانها «مدينة السراب» (٧) وفيها يذكر المسافة بين أوروبا وآسيا التي قطعها بسرعة ، ويقارنها بالمسافة السحيقة التي تفصل بينه وبين محبوبته ويقول :

---

(١) المصدر نفسه : ص ٢٥٦ .
(٢) البرت حوراني : في رسالة إلى المؤلف ، أكسفورد ٩ كانون الثاني ١٩٦٧ .
(٣) جبرا ابراهيم جبرا : في رسالة إلى المؤلف ، بغداد ٢٨ تموز ١٩٦٦ .
(٤) خليل رامز سركيس : في كتاب «بدر شاكر السياب»، منشورات أضواء ، ص ٤٢.
(٥) «المعبد الغريق» : «حنين في روما» ، ص ٥٣ — ٥٨ .
(٦) المصدر نفسه : «احتراق» ، ص ١٤٥ — ١٤٧ .
(٧) المصدر نفسه : «مدينة السراب» ، ص ٧١ — ٧٤ .

وأنتِ يا ضجيعتي ، كأنكِ الكواكب البعيده ،
كأن بيننا من الكرى جدارَ .
تضمكِ اليدانِ ، تعصران جثة بليده ،
كأنني معانق دمي على حجار
في منزل لصوصهُ الرياح والهجير والغيوم ،
مساؤه السكون والنجوم
وصبحه انتظار .
ترامت السنون بيننا : دماً ونار ،
أمدّها جسور ،
فتستحيل سور ،
وأنتِ في القرار من بحاركِ العميقه
أغوصُ لا أمسّها ، تصكّني الصخور ،
تقطّع العروق في يديّ ، أستغيث: «آه يا وفيقه
يا أقرب الورى إليّ ، أنتِ يا رفيقه
للدود والظلام.»
عشر سنين سرتها إليكِ ، يا ضجيعةً تنام
معي وراء سورها ، تنامَ في سرير ذاتها ،
وما انتهى السفار
إليكِ يا مدينة السراب ، يا ردى حياتها .
عبرتُ أوروبا إلى آسيه
وما انطوى النهار ،
وأنتِ يا ضجيعتي ، مدينة نائيه
مسدودة أبوابها وخلفها وقفتُ في انتظار .

ويبدو لي أن رغبة بدر في الاجتماع بوفيقه بالموت كانت تختلط بشبقه الشديد من ناحية وعجزه الجنسي المتزايد من ناحية أخرى . لقد أصبحت الحياة صحراء باردة بالنسبة له وأصبح الحب سراباً . وكانت علاقاته الزوجية تزداد فتوراً . فلاحت له وفيقة الأمينة المثالية التي تخلصه ، وكانت قد توفيت قبل عشر سنوات لكنها ما فتئت المثال الحي في ذهنه . وأصبحت مشكلته الشخصية أشدّ حدّة في كانون الأول ١٩٦١ عندما كتب يقول (١) :

(١) «المعبد الغريق» : «الغيمة الغريبة» ، ص ٤٢ — ٤٣ .

أريد أن أضمّ ، أن أقبّلَ
الدمَ الذي ينبض في الشفاه
كأنما القلب الذي يقبّلُ .
الجسد الموات لا يحسّ شهقة الإله
تغور كالمدية حين تقتل
فتبعث الحياة في القتيل ...
لو كان ما تحسّه الحبيبه
الألمَ ، الدوارَ — لا الخواءا
ما كنتُ مثل غيمة غريبه
ترعد حتى تشعل الهواءا
رعداً
وتأبى الأرض أن تجيبه !

كان بدر يشعر أنه مثل «غيمة غريبة» ترعد . وزوجته الحبيبة لا تجيب ذلك الرعد بل تشعر بـ «الخواء» لأن «الجسد الموات لا يحسّ شهقة الإله» في النشوة الجنسية . وكان بدر يشعر كذلك أنه مثل «غيمة غريبة» لأن شعره كان يرعد لكن العالم كان عنه غافلا . وكان الشيوعيون والقوميون العرب يهاجمونه في الأوساط الأدبية على أنه خائن انقلب على عقبيه . فغربته عن زوجته الحبيبة والعالم المناهض كانت أليمة مأساوية، ولاح له عالم وفيقة خيالا فتشبث به. وعاش في الماضي بالضرورة . وكان يكفي أن يزور نهر أبي الخصيب في شباط ١٩٦٢ ليتذكر هالة (١) الراعية التي أحبها قبل عشرين عاماً . وكذلك ذكرته زيارة لجيكور في آذار ١٩٦٢ بقصص أبي زيد والسندباد التي سمعها في صباه (٢) وجعلته يسأل سؤاله الوجودي (٣) :

جيكور ... ماذا ؟ أنمشي نحن في الزمنِ
أم أنه الماشي
ونحنُ فيه وقوف ؟

وكذلك ذكّره صياح البط البريّ (٤) بأيام طفولته في القرية حيث كان يسمعه

---

(١) «المعبد الغريق» : «يا نهر» ، ص ٨٤ — ٨٨ .
(٢) المصدر نفسه : «أفياء جيكور» ، ص ١١٢ .
(٣) المصدر نفسه : ص ١١٠ .
(٤) المصدر نفسه : «صياح البط البري» ، ص ٨٩ — ٩٢ .

قبيل موسم المطر . وبعد زيارة أخرى لجيكور في نيسان ١٩٦٢ كتب قصيدة عنوانها «جيكور شابت» (١) يتذكر فيها جمال الطبيعة ونبض الحياة في قريته ويعجب لها كيف أصبحت كئيبة كأنها شابت وولّى صباها . إن بدراً الذي كان ما يزال في مقتبل العمر صار ينظر إلى الدنيا بعينيْ شيخ على حافة القبر ، ولوّن مرضُه كل أفكاره وعواطفه بلون داكن . ومرت به فترات لم تعد الدنيا فيها تهمّه وهو منطو على ذاته وآلامه . وإن بقي في أعماق قلبه صدى صوت قديم يناديه للاهتمام بالعالم لأنه عالمه فيستجيب له، كما قال في رسالة إلى يوسف الخال(٢) .

بهذه العقلية كتب بدر قصيدة «المعبد الغريق» (٣) في شباط ١٩٦٢ ، وفيها وجد رمزاً لنفسه معبداً بوذياً في الملايو غرق في بحيرة في الأدغال بفعل انفجار بركاني . فهبط إلى قرارة البحيرة سالماً بكل كنوزه تحرسه التماسيح وهولات الماء . إن مرور الزمن لا يؤثر في المعبد أو كنوزه فهي في يقظة أبدية ولا موت يحدّ حاضرها الترف إذ تهزأ بغرور الإنسان الهالك .

لكن الكنوز لا نفع منها إن ظلت غريقة . فإن آلاف الأطفال سيشبعون وآلاف المرضى سيُقالون من الداء ، وجموع الشعوب المضطهدة ستحرر إذا رُفعت كنوز العالم الغرقى إلى فلك الضمير . لذلك يدعو الشاعر عوليس إلى أن يغامر ويشق طريقه في نهر الباهنج المؤدي إلى البحيرة لينقذ الكنوز غير خائف من وحوش الماء . ويذكّره بضحايا حرب طروادة الذين رأى العراق مثلهم في المد الأحمر . إن العالم لم يَرَ بعدُ كوكب بيت لحم الوهاج ولم يسمع بعدُ آيات غار حراء . فآلهة البحيرة يجب أن تزار ، وترفع إلى جبل الأولمب وليل آسيا الطويل يقارب النهاية .

وقد أطال بدر الوقوف في هذه القصيدة عند الفظائع التي ارتكبها الشيوعيون في العراق خلال المد الاحمر (٤) وكاد هذا الاستطراد السياسي يؤدي بوحدة القصيدة الفنية . وفي قصيدة تالية كتبها بدر في آذار ١٩٦٢ وعنوانها «ابن الشهيد» (٥) وصف أثر السيطرة الشيوعية وما جرّته على العراق من دمار وكأن

---

(١) المصدر نفسه : «جيكور شابت» ، ص ١٣٧ — ١٤٤ .
(٢) مجلة «شعر» : ربيع ١٩٦٢ ، ص ١٣٨ .
(٣) «المعبد الغريق» : قصيدة « المعبد الغريق» ، ص ٩٣ — ١٠٦ ، ومجلة «شعر» ، ربيع ١٩٦٢ ، ص ٤٥ — ٥١ .
(٤) المصدر نفسه : ص ١٠١ — ١٠٣ .
(٥) المصدر نفسه : «ابن الشهيد» ، ص ١٢٥ — ١٣٠ .

الطوفان تراجع فتكشفت قمم التلال وبدت الأكواخ الخربة ، والحقول الملأى حسكاً وجثثاً وعظاماً وقبوراً . ويلخص ردّ القوميين العرب في صبيّ تلبسه أمّه الرداء العسكري الذي تركه والده الشهيد وهي ترجو للعروبة غداً مشرقاً .

وهكذا كان بدر يظهر بعض الاهتمام بالعالم مستجيباً للصوت القديم في أعماق قلبه . ولكنه كان شديد المرض بحيث لم يستطع أن يواصل مثل هذه الاستجابة بلا انقطاع . لم يعد قادراً على المشي الا اذا ساعده أحد الناس . وكان يسكن في بيت عنوانه ٢ شارع أجنادين (شارع التنّومة سابقاً) في محلة المعقل من البصرة على مقربة من مقر مصلحة الموانىء العراقية ، وكان البيت من البيوت التي بنتها المصلحة لموظفيها وأسكنتهم فيها بأجرة زهيدة . وكان صديقه مؤيد العبد الواحد يأخذه كل صباح في سيارته إلى عمله ويساعده على تسلق السلالم المؤدية إلى مكتبه في الطابق الأول . وكان يعيده إلى بيته في نهاية الدوام اليومي (١) . لكن مؤيداً ما لبث أن أرسل في بعثة حكومية إلى لندن لدراسة علم الإحصاء في دورة قصيرة . وقرر بدر أن يذهب إلى بيروت للمعالجة الطبية في مستشفى الجامعة الأمريكية فيها . فأخذ إجازته الاعتيادية البالغة خمسة عشر يوماً وطار إلى بيروت في منتصف نيسان ١٩٦٢ .

---

(١) مؤيد العبد الواحد : في مقابلة مع المؤلف ، البصرة ١٦ كانون الثاني ١٩٦٧ .

الفصل الخامس
المرحلة المأسويّة

في العاصمة اللبنانية التقى بدر اصدقاءه من أمثال يوسف الخال وأنسي الحاج وخليل حاوي وغيرهم من الأدباء . وعلى الرغم من أنهم لم يتركوه وحيداً فإنه شعر بالوحدة وتاق إلى العراق كما تدل قصيدته «لأني غريب» (١) التي كتبها في بيروت في ١٥ نيسان ١٩٦٢ . كانت فكرة الموت تلحّ عليه وتزعجه فكتب قصيدة أخرى في اليوم ذاته بينما كان أرقاً في المدينة الصاخبة ليلا . فتخيل أنه يرى جيكور بأنهارها وزوارقها ، لكن أبواق السيارات في بيروت ما فتئت تغزو أذنيه وتصوّر له أنها تدعو البغايا والسكارى . ولم يستطع إلى النوم سبيلا وقال في ختام القصيدة :

سهرتُ لأنني أدري
بأنيَ لن أُقبّلَ ذاتَ يوم وجنة الفجر
سيقبل مُطلقاً في كل عشٍ نغمةً وجناح
وسوف أكون في قبري (٢).

في ١٨ نيسان ١٩٦٢ أدخل بدر مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت . وتقول ملاحظة كتبتْ على بطاقة دخوله «معفى من رسوم الطبيب» وهو معروف حصل عليه بواسطة أصدقائه ، وفي طليعتهم سلمى الخضراء الجيوسي ويوسف الخال ، وإن كان قد دفع رسوم المستشفى البالغة ٣٧٠,٢٥ ليرة لبنانية (٣).

---

(١) «المعبد الغريق» : «لأني غريب» ، ص ١٢٢ – ١٢٤ .

(٢) «المعبد الغريق» : «سهر» ، ص ١٥٢ – ١٥٣ .

(٣) مستشفى الجامعة الأمريكية : رسالة مساعدة المدير إلى المؤلف، بيروت، بتاريخ ٢١ تموز ١٩٦٦ .

وقد أشرف على علاجه الدكتور شفيق حداد ، وعني به الدكتور فؤاد صبرا الأستاذ المساعد لأمراض الجهاز العصبي، ثم الدكتور فؤاد حداد الأستاذ المساعد لجراحة الجهاز العصبي . فبعد الفحوص التمهيدية التي كان بينها إبرة في صلب الظهر لفحص السائل النخاعي ، سُرّح من المستشفى في ٢١ نيسان ١٩٦٢ ثم أعيد إدخاله في ٢٦ منه . وفي هذه المرة أخذت صورة لنخاعه الشوكي استدعت قبلها إبرة في صلب الظهر لحقن النخاع بمادة لا تخترقها الأشعة السينية ، وقد سبب له ذلك ألماً شديداً . ومع هذا فقد فشلت الصورة وتقرر أن تؤخذ له صورة أخرى . لكنه رفض ذلك (١) . ودلّ تشخيص مرضه على أنه يعاني من مرض فساديّ في الجهاز العصبي ، ومن أعراض تصلب جانبي ضموري (٢). ولم يعط أية أدوية وقرر أن يغادر المستشفى في ٢٩ نيسان ١٩٦٢ .

وكان يزوره في المستشفى عدد من أصدقائه الأدباء في بيروت مثل سلمى الخضراء الجيوسي، وتوفيق صايغ ، وليلى بعلبكي ، وخليل حاوي ، وسميرة عزام ، وجميل جبر وخصوصاً يوسف الخال . وكان يشكو لهم حالته إلا أنه كان ينجح في المحافظة على روح المرح والفكاهة . وقد تركت الممرضات على صحيفته الملاحظة التالية مرتين : «مكتئب ومهموم بحالته». وفي ١٩ نيسان كتب قصيدة في المستشفى عنوانها «الوصية» (٣) وفيها يعبر عن خوفه من الموت ، ومن أن يزلق من غيبوبة التخدير إلى الموت ، ويخشى ألا يكون بعد الموت من صحوة ، فيترك لزوجته هذه الوصية :

إقبالُ ، يا زوجتيَ الحبيبه
لا تعذليني ما المنايا بيدي
ولستُ ، لو نجوتُ ، بالمخلّدِ .
كوني لغيلان رضىً وطيبه
كوني له أباً وأماً وارحمي نحيبه
وعلميه أن يُذيلَ القلب لليتيم والفقير
وعلّميه ...
ظلمةُ النعاس
أهدابُها تمسّ من عيونيَ الغريبه

---

(١) مستشفى الجامعة الأمريكية : تقرير تسريح بدرشاكر السياب ، المريض رقم ١٨٠٧٠٤.
(٢) المصدر نفسه .
(٣) «المعبد الغريق» : «الوصية» ، ص ١٥٤ – ١٦٢ .

في البلد الغريب ، في سريري
فترفع اللهيب عن ضميري
لا تحزني إن متّ ، أي باس
أن يُحطّم الناي ويبقى لحنه حتى غدي ؟
لا تبعدي
لا تبعدي ...
لا ...

في ٢٥ نيسان ١٩٦٢ حصل من الدكتور شفيق حداد على تقرير طبي يذكر فيه الطبيب أن بدراً لن يكون في الأغلب قادراً على العمل قبل مدة شهرين . وبعد أن نال التقرير المصادقة الرسمية من السلطات اللبنانية وقنصلية الجمهورية العراقية العامة ببيروت أرسل إلى مصلحة الموانىء في البصرة (١) .

وبينما كان الشاعر السوري خليل خوري يزور بدراً في المستشفى اقترح عليه أن يراجع ألمانياً اختصاصياً بتقويم اعضاء الجسم كانت له عيادة على شارع بليس غير بعيدة عن مستشفى الجامعة الأمريكية . وكان اسمه كما ظهر على اللافتة النحاسية على بابه د. زويتش (D. Zeuch) (٢). وكان قد عاش معظم حياته في أنحاء مختلفة من الشرق الأوسط فكان يعرف العربية وكان متزوجاً من لبنانية . ولكنه على ما يبدو لم يكن طبيباً معترفاً به .

فزاره بدر في ٥ أيار ١٩٦٢ ، برغم ممانعة يوسف الخال الذي كان يعرف ان داءه لا شفاء منه ، وان هذا الطبيب لن يفيده . وظل بدر تحت عناية هذا الطبيب أكثر من شهرين ، إذ جعل يتردد على عيادته حيث كانت امرأة زويتش أيضاً تقوم بتدليكه ، ثم طلب منه أن ينزل في فندق قريب في رأس بيروت إزاء المنارة يدعى فندق سان بول ، وذلك للمزيد من العلاج .

وفي ٥ أيار ١٩٦٢ كتب بدر رسالة مؤثرة (٣) إلى اللواء الركن مزهر الشاوي ، المدير العام لمصلحة الموانىء العراقية في البصرة ، يشرح له أنه بائس شقيّ ومهدد بالشلل الكلي ، وأن علاجه قد يطول مدة ثلاثة أشهر ويكلف ٢٥٠٠ ليرة لبنانية ، دفع منها ١٠٠٠ ليرة لبنانية مقدماً وعليه أن يدفع الباقي بعد شفائه .

(١) مؤيد العبد الواحد زود المؤلف بنسخة من التقرير .
(٢) هذه المعلومات زود المؤلف بها أخوه الرسام كمال بلاطه الذي زار د. زويتش بناء على طلب من المؤلف . فرأى سجلاته الطبية في عيادته الجديدة في الأشرفية ببيروت في ١١ أيار ١٩٦٧ و ١٦ أيار ١٩٦٧ .
(٣) مؤيد العبد الواحد زود المؤلف بنسخة منها . راجعها في الملحق ، ص ٢٦٩ .

ثم أضاف أن عدة جهات غير عراقية عرضت عليه المساعدة (١) لكنه كان واثقاً من ان بلده قادر على مساعدته وراغب فيها . وختم بدر رسالته قائلا : «فهل سيخيب أملي ، أم أنني سأجد منك ، كمدير عام للموانىء العراقية ، العون الذي أرجوه . مع تقبيل يديك الكريمتين — ولدك المخلص .»

وفي غضون ذلك ، جمع بدر قصائده واتفق مع دار العلم للملايين ببيروت على نشرها باسم «المعبد الغريق» لان دار مجلة شعر التي نشرت له «أنشودة المطر» في ١٩٦٠ كانت تعاني ضائقة اقتصادية ادت إلى اغلاقها في ١٩٦٤. ولكن الدخل الضئيل من هذا الديوان ما كان ليسدّ نفقات علاجه ، فسعى عدد من الأدباء في بيروت لمعونته (٢) وأرسلوا برقية إلى عبد الكريم قاسم وقّعها خليل حاوي، وفؤاد صرّوف، وقسطنطين زريق ، وخليل رامز سركيس وغيرهم يطلبون منه مساعدة الشاعر العراقي(٣) . فجاءته مساعدة قاسم بعد مدة وقدرها خمسمئة دينار عراقي قدّمها له الملحق العسكري بالسفارة العراقية في بيروت (٤). وقد نظم بدر قصيدة شكر تقليدية مدح بها قاسماً بهذه المناسبة .

وكان د. زويتش قد وضع بدراً في مشدّ لتقويم العظام (٥) مصنوع من القماش المقوى غطى جسده بأكمله ما عدا رأسه وذراعيه . وقد قامت امرأة زويتش بخدمة بدر مدة في فندق سان بول ، وبعد ذلك أحضرت لخدمته ممرضة فتيّة جميلة اسمها ليلى . وكانت تلازمه في الفندق من الساعة السابعة صباحاً إلى التاسعة مساء وتتقاضى عشرين ليرة لبنانية يومياً . وكان د. زويتش يزوره في الفندق من وقت لآخر وكثيراً ما كان بدر يصرّ على تقبيل يديه . وكان بدر يبدو مرحاً على الرغم من سوء حالته . وقد روت امرأة زويتش أنه بينما كان يتنقل بمعونتها وهي تسانده من جانب وليلى من الجانب الآخر كان يقول : «غداً سترونني مثل الحصان .»

وقد زاره في فندق سان بول العديد من أصدقائه ، لكن واحداً كان يبدو

---

(١) من هذه الجهات : المنظمة العالمية لحرية الثقافة . راجع رسالة السياب إلى سيمون جارجي في كتاب «بدر شاكر السياب» ، منشورات أضواء ، ص ١٣١ .
(٢) الآنسة سيرة عزام : في مقابلة مع المؤلف ببيروت ، ٩ حزيران ١٩٦٦ .
(٣) الدكتور خليل حاوي : في مقابلة مع المؤلف ببيروت ٨ حزيران ١٩٦٦ .
(٤) مصطفى السياب : في رسالة إلى المؤلف ، بيروت ٦ حزيران ١٩٦٦ .
(٥) لا في قالب من الجص كما زعم بعضهم مثل مطاع صفدي في مجلة «الآداب» ، شباط ١٩٦٥ ، ص ٧٣ هامش (١) .

اكثر اهتماماً به وهو يوسف الخال . وزاره كذلك الدكتور سهيل إدريس محرر «الآداب» وحصل منه على قصيدة «ابن الشهيد» (١) . وكان بدر قد توقف منذ ١٩٥٧ عن النشر في مجلته ما عدا قصيدتين في فترتين متباعدتين (٢) . فعودته إلى «الآداب» بعد خمس سنوات من صداقته لمجلة «شعر» التي كانت الآن تعاني ضائقة مالية تزايدت عاماً بعد عام منذ ولادتها ، كما كانت تواجه هجمات شديدة من الصحافة الأدبية القومية ، استدعت شرحاً من قبل بدر . لذلك صدّر قصيدة «ابن الشهيد» بالمقدمة التالية : «يسرني أن يعود الولد الضالّ إلى بيته ، وأن أعود إلى «الآداب» التي على صفحاتها متنفّسي الطبيعي الذي أعاهد نفسي أن يدوم أبداً (٣) .» وأخبر بدر الدكتور إدريس أيضاً بحضور الدكتور خليل حاوي وبهيج عثمان أنه سيطلب رفع اسمه من مجلة «أدب» كمراسل لها في العراق ، وكانت مجلة جديدة شقيقة لمجلة «شعر» (٤) . وفي الوقت نفسه ظل بدر على الصعيد الشخصي صديقاً ليوسف الخال ، محرر مجلتي «شعر» و «أدب»، الذي كان يشفع له ، لاسباب انسانية ، بالتناقضات التي كان يقع فيها ، متفهماً تبرير بدر لها على الصعيد الشخصي لا الاخلاقي .

وكانت فكرة الموت القريب ما زالت تلحّ عليه . ففي قصيدة بعنوان «نداء الموت» (٥) يتصور أمه تدعوه إلى قبرها فيجيب :

فيا قبرها افتح ذراعيك ...
إني لآت بلا ضجة ، دون آه !

وكتب قصيدةً في أيار ١٩٦٢ يتحسّر فيها على أنه لم يحمل إلى محبوبته سوى الخرز الملوّن (٦) وقصيدة أخرى في حزيران ١٩٦٢ يعبر فيها عن حزنه لموت الكثيرين من الجزائريين قبل الاستقلال (٧) . فإن الحياة غالية قصيرة ، وها هو

---

(٢) مجلة «الآداب» ، حزيران ١٩٦٢ ، ص ٤ .
(٢) راجع مجلة «الآداب» ، آب ١٩٥٨ وحزيران ١٩٦٠ .
(٣) مجلة «الآداب» ، حزيران ١٩٦٢ ، ص ٤ .
(٤) راجع ملاحظة المحرر في مجلة «الآداب» ، حزيران ١٩٦٢ ، ص ٧٥ . وقد ظهر اسم بدر كراسل لمجلة «أدب» في العراق على الصفحة الثانية من «أدب» ، العدد ١ ، بيروت ، شتاء ١٩٦٢ . ولكنه لم يظهر في الأعداد اللاحقة . راجع قصيدته في مجلة «أدب» ، العدد ١ ، ص ١٠٩ ، وعنوانها «الأم والطفلة الضائعة» .
(٥) «منزل الأقنان» : «نداء الموت» ، ص ١٦ — ١٨ .
(٦) المصدر نفسه : «حامل الخرز الملون» ، ص ٣٣ — ٣٥
(٧) المصدر نفسه : «ربيع الجزائر» ، ص ١٩ — ٢٥ .

منطرح مريض في ريعان الشباب غير قادر على التمتع بها .

وكانت الممرضة الجميلة ليلى تلازمه في وحدته ووحشته . وكانت تعتني به جيداً وتعطف عليه . فبدأ بالتدريج يشعر بجاذبية نحوها . فتبادل وإياها كلمات ودّية فيها تفاهم عميق . وصار يفكر بها ليلا وينتظر عودتها بشوق كل صباح . وقد أعطته هي خصلات من شعرها الأشقر وبعض رسائل حبها ليقرأها . ولم ترد أن تخيّب أمله ، وجعلها شعورها بواجبها المهني تواصل خدمته . لكن امرأة زويتش تقول ان ليلى شكت لها أن بدراً أسرّ اليها بأنه ينوي أن يتزوجها (١) . فأرسلت السيدة زويتش كلمة إلى امرأة بدر تنصحها بالمجيء إلى بيروت .

وفي منتصف حزيران ١٩٦٢ وصلت السيدة إقبال إلى بيروت مع ابنها غيلان . وكان بدر في هذه المدة قد أزيل عنه مشدّ تقويم العظام وكان في حاجة إلى تدليك . فأحضر له د. زويتش مدلّكة إيطالية اسمها سيسيل كالندرا . وكانت تدعي بالمعرفة الطبية وتزعم انها قادرة على شفاء بدر ، فقبلها بدر ، ولكنه شعر أن د. زويتش قد خدعه في ماله . وقد نجح صديق بدر ، الشاعر خليل حاوي الأستاذ في الجامعة الأمريكية ببيروت ، أن يتوسط لدى وزارة الصحة ويحمل د. زويتش على ردّ بعض المال الذي كان قد أخذه منه (٢) .

وكان على بدر أن يمدّد إجازته المرضيّة بأخذ تقرير طبي من طبيب معترف به . ففي ٢٤ حزيران ١٩٦٢ زار الدكتور جورج بخعازي في مستشفاه ببيروت ، وأخذ منه تقريراً طبياً يقول إن بدراً كان مصاباً بالتهاب في المثانة وهبوط في الضغط مع حالة ضعف عمومي تحتاج إلى مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر من الراحة والمعالجة (٣) . وبعد المصادقة الرسمية على التقرير من قبل السلطات اللبنانية وقنصلية الجمهورية العراقية العامة ببيروت أرسل إلى مصلحة الموانىء في البصرة .

وكانت معالجة سيسيل كالندرا طويلة ، ومكثت السيدة إقبال في فندق سان بول مع زوجها . ولم تلبث أن اكتشفت خصلات الشعر الأشقر ورسائل ليلى في غرفة زوجها . فرمت بها من الشباك في اتجاه البحر في غضب وتهديد . وفي ٢٧ حزيران ١٩٦٢ كتب بدر قصيدته «رحل النهار» (٤) التي يطلب فيها

---

(١) السيدة زويتش : في مقابلة كال بلاطه لها التي نقلها إلى المؤلف في رسالته ، بيروت ١١ أيار ١٩٦٧ .

(٢) الدكتور خليل حاوي : في مقابلة المؤلف له ببيروت في ٨ حزيران ١٩٦٦ .

(٣) مؤيد العبد الواحد زود المؤلف بنسخة من هذا التقرير .

(٤) «منزل الأقنان» : «رحل النهار» ، ص ٥ — ١١ .

من فتاة ، هي غالباً ممرضته ، أن تذهب إلى بيتها بعد أن رحل النهار ، ويقول فيها :

خصلات شعرك لم يَصُنْها سندباد من الدمار ،
شربتْ أجاج الماء حتى شاب أشقرها وغار
ورسائل الحب الكثار
مبتلّة بالماء منطمس بها ألق الوعود .

وفي أول تموز ١٩٦٢ كتب بدر قصيدة حب عنوانها «هدير البحر والأشواق» (١) ولعلها موجهة أيضاً إلى ممرضته ليلى ، وفيها يعبر عن هيامه بها واشتهائه الجسدي الملتهب لها . وفي ٣ تموز ١٩٦٢ كتب قصيدة «خذيني» (٢) وفيها يسأل فتاته ، ولعلها ليلى أيضاً ، أن تأخذه ليطير معها في أعالي السماء . ويعترف لها بفشل زواجه ويرى فيها حباً جديداً يقوده اليها «كوزن يقود القصيدة» . ثم يعترف لها كيف تشهّاها في غيبتها مثل مراهق ، فجعل يشمّ رداءها ويتحسّسه ويقبّله وهو يتصور أجزاء عارية من جسدها .

ويبدو أن شبق بدر كان يزداد قوة بازدياد عجزه الجنسي الناتج عن فقدان الإحساس بسبب إصابة الجزء الأسفل من النخاع الشوكي بمرض أودى بخلاياها . وقد تذكر ليلى في البصرة بعد حوالي ستة عشر شهراً عندما كان داؤه قد استفحل فكتب قصيدة عنوانها «كيف لم أحببك» (٣) وفيها يتذكر بلوعة وحسرة جمال جسد الفتاة ويتندّم لأنه فقد الفرصة وضيّع فتاته في زحمة أيامه الطويلة . وتذكرها أيضاً في أواخر ١٩٦٤ ، قبيل وفاته في الكويت بمدة وجيزة ، فدعاها باسمها الصريح في قصيدة عنوانها «ليلى» (٤) ولكن تجارب أخرى كانت في ذلك الوقت قد حدّت من غلوائه .

وبينما كان بدر في بيروت ، سنحت له الفرصة لحضور اجتماع لخميس مجلة «شعر» (٥) لكنه لم يشترك في المناقشة التي دارت بين يوسف الخال ، وأدونيس، وأنسي الحاج، وشوقي أبي شقرا، ومحمد الماغوط، وفؤاد رفقه وغيرهم.

---

(١) المصدر نفسه : «هدير البحر والأشواق» ، ص ١٢ — ١٥ .
(٢) المصدر نفسه : «خذيني» ، ص ٢٦ — ٣٢ .
(٣) «شناشيل ابنة الجلبي» : «كيف لم أحببك» ، ص ٨٨ — ٨٩ .
(٤) جريدة «الأحد» البيروتية : العدد ٧٤٣ ، ٢٠ حزيران ١٩٦٥ ، ص ١٥ . راجعها في الملحق ص ٢٧٢ .
(٥) مجلة «شعر» ، العدد ٢٣ ، صيف ١٩٦٢ ، ص ١٣٤ .

ولما لم تنجح معالجة سيسيل كالندرا في الحصول على تحسّن في صحة بدر ، عاد إلى البصرة قبل أن تنتهي إجازته المرضيّة ، وباشر أعماله في مصلحة الموانىء العراقية صباح ٨ أيلول ١٩٦٢ . وقد لاحقته سيسيل كالندرا في كانون الأول ١٩٦٢ بواسطة السفارة الإيطالية في العراق ومديرية الشرطة العراقية تطالب ببقية رسومها (١) ، وليس هناك ما يدل على أنه دفع لها المبلغ لأنه لم يكن قد شفي .

والواقع أن المرض قد بلغ به حداً لم يستطع معه أن يقوم بأي عمل في مكتبه . فراجع الدكتور توما هندو في البصرة ونال منه إجازة مرضيّة ، ثم إنه لجأ إلى الطب الشعبي فاستعمل الأعشاب بل عمد إلى التعاويذ (٢) بلا جدوى . وأخيراً بدأت تتحقق خططه الرامية إلى الذهاب إلى انكلترا . فقد رتّب الأستاذ ألبرت حوراني مع الأستاذ ت. و. ثاكر مدير مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة درم أن يُقبل بدر طالباً في الجامعة ، وأن تتكاف المنظمة العالمية لحرية الثقافة بنفقات بعثته الدراسية لسنة كاملة (٣) . وسمحت له الحكومة العراقية أن يقبل هذه البعثة وأن يغيب في إجازة . وكان بدر يأمل أن يحصل على العلاج الطبي والدراسة الجامعية العالية في إنكلترا . وفي طلبه المقدّم إلى جمعية سانت كاثبرت ذكر أنه يريد البدء بدراساته في تشرين الثاني ١٩٦٢ ، وينوي أن يدرس الأدب المقارن ، وأن المنظمة العالمية لحرية الثقافة هي التي ستقوم بالإنفاق عليه (٤) . ومن أنظمة جامعة درم أنه يتوجب على الطالب أن يلتحق بكلية أو جمعية فيها . وجمعية سانت كاثبرت هي الهيئة التي تشرف على أمور الطلاب غير المقيمين ، بينما تختص الكليات عادة بشؤون الطلاب المقيمين في جامعة درم .

ولكن بدراً لم يستطع أن يغادر البصرة حتى منتصف كانون الأول ١٩٦٢ ، فمرّ على بغداد حيث قضى بعض الوقت مع صديقه جبرا إبراهيم جبرا (٥)

---

(١) مصلحة الموانىء العراقية : رسالتان إلى مديرية شرطة مصلحة الموانىء ، من المدير العام ومدير الذاتية، البصرة، بتاريخ ١٣ كانون الأول ١٩٦٢ و ٢٧ أيار ١٩٦٣ .

(٢) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ .

(٣) الأستاذ ت . و. ثاكر : في رسالة إلى المؤلف ، درم ٢٥ تشرين الأول ١٩٦٦ . وكذلك الأستاذ البرت حوراني : في رسالة إلى المؤلف ، أكسفورد ٩ كانون الثاني ١٩٦٧ .

(٤) الأستاذ ج. ل. بروكس : عميد جمعية سانت كاثبرت ، في رسالة إلى المؤلف ، درم ٤ تشرين الثاني ١٩٦٦ .

(٥) راجع مجلة «حوار» ، العدد ١٥ ، آذار، نيسان ١٩٦٥ ، ص ١٢٨ .

ثم طار منها إلى لندن . ووصل لندن في ١٦ كانون الأول ١٩٦٢ ونزل في فندق كمبرلاند ، وهو فندق جيد ورخيص يقع عند «القوس الرخامي» على ناصية شارع أكسفورد . وكان أول ما فعله في اليوم التالي لوصوله أن اتصل هاتفياً بالسيد دنيس جونسون ديفيز محرر مجلة «أصوات» التي كانت تصدر عن لندن باللغة العربية كل ثلاثة أشهر . وكان بدر قد نشر فيها بعض قصائده مثل «إلى جميلة بو حيرد» . فجاء جونسون ديفيز إلى الفندق تلبية لطلب بدر وصعد إلى غرفته وانتظر أمام بابه مدةً بدت له طويلة قبل أن يفتح له بدر(١). وكان سبب التأخير أن بدراً استغرق ذلك الوقت كله لقطع الغرفة من سريره إلى الباب . وقد رتّب جونسون ديفيز لبدر موعداً يرى فيه طبيباً في لندن هو الدكتور جيمس بيفان بعد بضعة أيام .

وفي اليوم نفسه ، كتب بدر رسالة إلى صديقه مؤيد العبد الواحد الذي كان يدرس في لندن . وقد دهش عندما رآه في الفندق وقد تسلّم الرسالة بعد ثلاث ساعات فقط (٢) . وبرهن مؤيد أنه صديق مخلص ، ورافق بدراً في لندن وساعده واعتنى به كثيراً .

وقد أحال الدكتور بيفان بدراً إلى الدكتور تشارلز هارولد إدواردز ، مستشار أمراض الجهاز العصبي في مستشفى سانت ماري في لندن . ففحصه الدكتور إدواردز في عيادته الخاصة في ٢١ كانون الأول ١٩٦٢ فحصاً تمهيدياً ، ثم رتّب لإدخاله المستشفى المذكور فيما بعد للمزيد من الفحوص الطبية (٣) .

وكان بدر منذ وصوله إلى انكلترا يكتب الشعر بكثرة وتدفق ملحوظين . فقد كاد أن يبلغ إنتاجه قصيدة كل يوم ، بل إنه كان ينتج أكثر من ذلك أحياناً . ذلك أن المحيط الغريب الذي وجد نفسه فيه بعيداً عن العراق ، وتجاربه الجديدة فيه من أشياء يراها أو يحسّها ، وفوق ذلك أمله في الشفاء وخوفه من الموت وانشغال باله على أسرته أوحى له بالكثير مما كان يكتب .

وفي سلسلة من عشر قصائد بعنوان «سفر أيوب» (٤) كتبها في لندن بعد

---

(١) دنيس جونسون ديفيز : في رسالة إلى المؤلف ، لندن ١٣ تشرين الأول ١٩٦٦ .
(٢) مؤيد العبد الواحد : في مقابلة مع المؤلف ، البصرة ١٦ كانون الثاني ١٩٦٧ .
(٣) الدكتور تشارلز هارولد إدواردز : في رسالة إلى المؤلف ، لندن ١٢ آب ١٩٦٦ .
(٤) «منزل الأقنان» : «سفر أيوب» ، ص ٣٦ – ٨١ بين تاريخ ٢٦ كانون الأول ١٩٦٢ و ٢ كانون الثاني ١٩٦٣ .

زيارته للدكتور إدواردز ، أبدى بدر روحاً جديدة عالية من الصبر والتحمل والأمل . وقد بدأها بقوله :

لك الحمد مهما استطال البلاء
ومهما استبدّ الألمْ ،
لك الحمد ، إن الرزايا عطاء
وإن المصيبات بعضُ الكَرَمْ .

وذكر شوقه لابنه غيلان وامرأته إقبال وقريته جيكور وشمس العراق الدافئة وهو في برد لندن وثلجها وضبابها . ويتحمل ذلك كله فوق ألمه ويقول :

إني سأشفى ، سأنسى كلّ ما جَرَحَا
قلبي، وعرّى عظامي فهي راعشةٌ والليل مقرورُ
وسوف أمشي إلى جيكورَ ذاتَ ضُحى !

ويشجع زوجته على الصبر ويطلب منها ألا تيأس من رجوعه الذي يحلم به بأمل قوي . لكنه رغم هذا الأمل ، كان يعرف في دخيلة نفسه أنه رجل مقضيّ عليه . ولم يكن له سلاح ضد الموت إلا شعره :

سللتُ من قصائدي
سيفاً كأن البرقَ حدّادٌ رمى أصوله
وصبّ مقبضاً له وشفره .
بالشعرِ ، بالبرقِ ، بالمجلجلِ المدوّي
رميتُ وجه الموتَ يهوي نحوي
كأنه السعار في رواية هزيله ،
رميتُ وجهَ الموت ألف مرّه
إذا أطل وجهه البغيض
كأنه السيرينُ ، يسعى جسميَ المريضُ
نحو ذراعيه بلا تردّد
فأنتضي من سيفيَ المجرّدِ
ويقطرُ الشعرُ ولا يغيض
لأنني مريض
أودّع الحياةَ أو أشدّ بالحياةِ
بخيطه الموروثِ عن أمواتِ

لم يدفع الشعرُ مناياهم وقد
جاءت إليهم غيله !

وقد أصبح شعر بدر وكأنه يومية يسجل فيها عواطفه وأفكاره . وانحدرت جودته أحياناً إلى مستوى التعبير النثري ، لكن اهتمامه بالحياة والموت ظل حاداً . وفي ليلة ٤ كانون الثاني ١٩٦٣ ، وهي آخر ليلة قضاها في لندن قبل أن يغادرها إلى درم بشمال إنكلترا ، كتب قصيدة «الليلة الأخيرة» (١) وفيها يراوده الأمل بأنه سيشفى بعد شهر حين يعود إلى لندن ليعالجه الدكتور إدواردز :

رُبَّ صباحٍ ، بعد شهرٍ ، بعد ما الطبيب
يراه — من يعلمِ ماذا خبّأ القَدَر ؟ —
سيحملِ الحقيبةَ المليئه
بألف ألفِ رائعٍ عجيبْ ،
بالحَلْيِ والحجر ،
باللُعَبِ الخبيئه
يفجأ غيلانَ بها — يا طول ما انتظر !
يا طول ما بكى ونام تملأ الدموعْ
برنّة الأجراسِ أو بصيحة الذئاب
عوالم الحلم له ، وتنشر القلوعْ
يجوب فيها سندباد عالم الخطرْ .

ويتصوّر امرأته في انتظاره فيقول :

وزوجتي لا تطفىء السراجَ : «قد يعودْ
في ظلمةِ الليل من السفَرْ .»
وتشعل النيران في موقدنا: « برودْ
هو المساء ، وهو يهوى الدفء والسمَرْ . »

وكانت زيارته إلى درم تجربة مريرة في العجز والوحدة والبرد القارس . ففي لندن كان صديقه مؤيد يرافقه ويساعده على المشي إلى الأماكن القريبة مثل «هايد بارك» أو يأخذه بالسيارة ليرى معالم لندن أو ليزور المطاعم الهندية لأكل بعض الوجبات الشرقية الحارّة (٢) . وكان له في لندن بعض المعارف مثل دنيس

---

(١) «منزل الأقنان» : «الليلة الأخيرة» ، ص ١١٦ — ١٢٢ .
(٢) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٣٠ آب ١٩٦٦ .

جونسون ديفيز وبعض العراقيين . أما في درم فلم يكن له فيها أحد .

استأجر بدر غرفة مفروشة من امرأة تدعى الآنسة برادلي ، وجعل ينتظر تحويلا مصرفياً من المنظمة العالمية لحرية الثقافة في باريس . وكان عليه أن يعتمد على عكازه عندما كان يذهب إلى جمعية سانت كاثبرت في مقرّها وهو ١٢ ساوث بيلي ، ليتسلّم الرسائل الموجهة إليه ، وقد منعه شلله وبرد شمال إنكلترا القارس من الخروج كثيراً ، فكان يفضل أن يلزم غرفته . فشعر بالضياع في مدينة كبيرة ولا هادي له ، وحلّ به السأم والبرم ، وكان في حاجة شديدة إلى المال .

في ٥ كانون الثاني ١٩٦٣ وهو يومه الأول في درم كتب ثلاث قصائد يقول في إحداها (١) :

دَرَمْ ...
بنفسي مما عراني بَرَمْ
فمدّي ذراعيك ولتحضنيني
إلى هوة من ظلام العَدَمْ
فما قيمة العمر أقضيه أمشي
بعكّازة في دروب الهَرَمْ ؟

وفي اليوم التالي كتب قصيدتين وفي إحداهما (٢) يعود إلى صبر أيوب والأمل بالشفاء ويقول :

إني لأدري أن يوم الشفاء
يلمح في الغيب ،
سينزع الأحزان من قلبي
وينزع الداء ، فأرمي الدواء ،
أرمي العصا ، أعدو إلى دارنا وأقطف الأزهار في دربي
ألمّ منها باقة ناضره
أرفعها للزوجة الصابره
وبينها ما ظلّ من قلبي !

وفي ٩ كانون الثاني ١٩٦٣ كتب قصيدة بعنوان «أسمعه يبكي» (٣) وفيها

---

(١) «منزل الأقنان» : «درم» ، ص ١٠٣ .
(٢) المصدر نفسه : «قالوا لأيوب» ، ص ١١١ — ١١٥ .
(٣) «منزل الأقنان» : «أسمعه يبكي» ، ص ٩٩ — ١٠٢ .

يتخيل ابنه غيلان يبكي مشتاقاً لأبيه . وفي هذه القصيدة يقرّ بدر بأن في الموت راحةً وربما يستسلم له .

وهكذا تأرجح بدر بين الحياة والموت ، وبين الأمل واليأس ، وقضى أيامه في غرفته وهو ينتظر التحويل المالي . وفي ١١ كانون الثاني ١٩٦٣ كتب رسالة إلى دنيس جونسون ديفيز ذكر فيها أنه في حاجة ماسة إلى المال من أجل العلاج ، وتحدّث بودّ عن الدكتور بيفان (١) .

ولم يتقدم إلى جمعية سانت كاثبرت إلا في ٢٢ كانون الثاني ١٩٦٣ بعد أن وصله المال ، فملأ طلباً لتسجيله طالباً فيها (٢) . ويقول الأستاذ ج. ل. بروكس ، عميد الجمعية ، إن بدراً كان عاجزاً عن المشي وقال إن رجله كسرت قبل أن يغادر وطنه إلى إنكلترا (٣) . ولعل بدراً لم يشأ أن يُعرَفَ أنه جاء إلى إنكلترا متعمداً العلاج الطبي لشلله .

وبعد التسجيل بأيام عاد بدر إلى لندن تاركاً لدى صاحبة بيته في درم أكثر أمتعته ولعله كان يأمل بالعودة إلى جامعة درم فيما بعد . لكن جمعية سانت كاثبرت لم تعرف عنه شيئاً حتى ٢٦ نيسان ١٩٦٣ حين تسلّمتْ منه رسالة صادرة عن البصرة في ٢٢ نيسان يقول بدر فيها إنه بعد علاجه في لندن ساءت حالة رجله فنقل إلى وطنه على حمّالة إسعاف (٤) .

والواقع أنه بعد وصوله إلى لندن من درم ، نزل بضعة أيام في فندق لكسام في منطقة كنزينكتون عند شارع كروموبل . ثم أدخل إلى جناح «لندو» في مستشفى سانت ماري في ٥ شباط ١٩٦٣ . وأجرى له الدكتور إدواردز الفحوص الطبية التي كان قد رتّب إجراءها لاستبعاد تدرّن فقاري . فأخذ صورة بالأشعة السينية لعموده الفقاري فلم يجد أية أعراض غير طبيعية بهذا الخصوص (٥). ثم أخذ له صورة نخاعية استدعت قبلها إبرة مؤلمة في صلب الظهر لحقن النخاع الشوكي بمادة لا تخترقها الأشعة السينية ، وكان بدر قد جرّب ذلك في بيروت . ثم أخذ له الطبيب عينة للفحص من السائل النخاعي بإبرة أخرى في صلب الظهر

---

(١) دنيس جونسون ديفيز : في رسالة إلى المؤلف ، لندن ١٣ تشرين الأول ١٩٦٦ .
(٢) ج.ل. بروكس ، عميد الجمعية : في رسالة إلى المؤلف ، درم ٤ تشرين الثاني ١٩٦٦ .
(٣) المصدر نفسه . وكذلك الأستاذ ت. و. ثاكر : في رسالة إلى المؤلف ، درم ٢٥ تشرين الأول ١٩٦٦ .
(٤) العميد ج.ل.بروكس : في رسالة إلى المؤلف ، درم ٤ تشرين الثاني ١٩٦٦ .
(٥) الدكتور هارولد إدواردز : في رسالته إلى السياب بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٦٣ .

كان بدر قد عاناها في بيروت أيضاً . و«كانت الصورة النخاعية طبيعية تماماً بكل تفاصيلها ولم يظهر فيها على الخصوص أية دلالة على وجود ضغط على النخاع الشوكي . وكان السائل النخاعي طبيعياً أيضاً من جميع الوجوه.» (١) وكانت هذه النتيجة «حجر الزاوية الأخير في تشخيص الداء بأنه مرض أعصاب الحركة(٢) .» فلسبب مجهول لعلّه متصل بفقر الدم الخبيث كانت خلايا الأعصاب الحركية لدى بدر تعاني مرضاً فسادياً أظهر نفسه خارجياً بالشلل والضمور المتزايد في العضلات . ولم يكن لهذا المرض علاج معروف لكن الدكتور إدواردز وصف لبدر فيتامين ب ١٢ ، وحرص على فحص دمه مرتين لضبط كميته ومستواه (٣) .

وبينما كان بدر في المستشفى كان يزوره صديقه مؤيد باستمرار وكان يعوده أحياناً دنيس جونسون ديفيز ، والملحق العسكري العراقي ، وجيولوجي عراقي يدعى الدكتور خورشيد النقيب ، وعبد الفتاح السياب وهو خالٌ له غير شقيق لامه وكان يدرس في انكلترا (٤) .

وفي أول يوم قضاه في المستشفى كتب بدر قصيدتين . في الأولى منهما وعنوانها «في المستشفى» (٥) يتصوّر الموت وهو يحاول أن يدخل غرفته خلسة في الليل بفتح فجوة في الجدار ينقبها بفأس ، ويرى مشرط الطبيب وهو يعمل في قفاه المدمى بمثابة هذه الفأس التي تشق طريق الموت إلى جسده . وفي القصيدة الثانية وعنوانها «جيكور أمي» (٦) يتذكر بدر قريته وحبيباته الثلاث فيها : هالة ، ووفيقة ، وزوجته إقبال . ووزن هذه القصيدة فوضى زعمها بدر تجربة عروضية في ملاحظة هامشية .

وفي غضون ذلك كانت دار العلم للملايين في بيروت تنشر له مجموعة من آخر قصائده المكتوبة في انكلترا . وفي ٨ شباط ١٩٦٣ وقع انقلاب في العراق قضى على حكم قاسم ، وجاء بعبد السلام عارف إلى الحكم . فتحمس بدر لكن اهتمامه بالسياسة كان قد فقد حرارة الماضي . فكتب قصيدة تقليدية (٧)

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) الدكتور هارولد إدواردز : في رسالة إلى المؤلف ، لندن ١٢ آب ١٩٦٦ .
(٣) الدكتور هارولد إدواردز : في رسالة إلى السياب ، لندن ١ آذار ١٩٦٣ .
(٤) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٣٠ آب ١٩٦٦ .
(٥) «شناشيل ابنة الجلبي» : «في المستشفى» ، ص ٩٨ — ١٠٠ .
(٦) المصدر نفسه : «جيكور أمي» ، ص ٧٧ — ٨٠ .
(٧) راجع الملحق ، ص ٢٧٠ .

احتفاء بالمناسبة ، لكنّ مؤيد العبد الواحد أشار عليه بإهمالها عند قراءتها لأنها دون مستوى شعره . ثم كتب بدر قصيدة من الشعر الحر بعد أيام استجابة لطلب ملحّ جاءه من بهيج عثمان من بيروت ، وعنوانها «قصيدة إلى العراق الثائر» (١). لكنه أعطاها تاريخ القصيدة السابقة (٢). وأرسل نسخة منها لتنشر في عدد آذار ١٩٦٣ من مجلة «الآداب» البيروتية . وفي القسم الأخير منها يرى في الحكم الجديد في العراق شفاء لجسده حيث يقول :

هرع الطبيبُ إليّ — آهِ ، لعلّه عرف الدواء
للداء في جسدي فجاء —
هرع الطبيب إليّ وهو يقول : «ماذا في العراق؟
الجيش ثار ومات قاسم.» أيّ بشرى بالشفاء !
ولكدتُ من فرحي أقومُ ، أسيرُ ، أعدو دون داء .
مرحى له ... أيّ انطلاق !
مرحى لجيش الأمة العربية انتزع الوثاق !
يا إخوتي بالله ، بالدم ، بالعروبة ، بالرجاء
هُبّوا فقد صُرِعَ الطغاةُ وبدّد الليلَ الضياء .
فلتحرسوها ثورة عربية صُعق «الرفاق»
منها وخرّ الظالمون ،
لأن تموزَ استفاق
من بعد ما سرق العميل سناه ، فانبعث العراقْ .

وألحقت هذه القصيدة بآخر مجموعته التي ظهرت في بيروت باسم «منزل الأقنان» في آذار ١٩٦٣ ، وتسلم عليها بدر مئة جنيه إسترليني . ولكنها كانت أقل مجموعاته منزلة عنده ، لأنه كتبها على عجل وكان يعتبرها أضعف دواوينه (٣).

وغادر بدر المستشفى في منتصف شباط ١٩٦٣ ، وأخذه مؤيد إلى فندق يورك ، وهو على شارع كوينزبره تراس ، في منطقة بيزووتر . وكان فندقاً رخيصاً ، إلا أن بدراً انزعج عندما علم بعد أيام أنه ليهودي من بغداد غادر العراق (٤). ولم تكن صحته قد تحسنت ولكنه لم يكن ليقبل أن لا فائدة من عمل

---

(١) «منزل الأقنان» : «قصيدة إلى العراق الثائر» ، ص ١٣٣ — ١٣٨ .
(٢) مؤيد العبد الواحد ؛ : في مقابلة مع المؤلف ، البصرة ١٦ كانون الثاني ١٩٦٧ .
(٣) مؤيد العبد الواحد : في مقابلة مع المؤلف ، البصرة ١٦ كانون الثاني ١٩٦٧ .
(٤) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٣٠ آب ١٩٦٦ .

أي شيء لتأخير مسير مرضه القتال إلى نهايته المحتومة (١). وعندما أخبره الدكتور إدواردز أن لا علاج لمرضه ، بدأ في الحال يرتب مع صديقه سيمون جارجي في باريس لكي يرى اخصائياً فرنسياً .

وفي ١٦ شباط ١٩٦٣ عاد بدر إلى درم بصحبة مؤيد ليأخذ أمتعته ويسحب ماله من البنك . وعاد في اليوم التالي إلى غرفته في فندق يورك . وظل في لندن قرابة شهر قبل أن تجيئه مكالمة هاتفية من صديقه الدكتور سيمون جارجي في باريس يخبره أنه رتّب له أن يرى طبيباً فرنسياً اخصائياً في الجهاز العصبي .

وكان في أثناء ذلك قد كتب عدداً من القصائد ، وكانت حالته الشخصية موضوع اهتمامه فيها. فهو يكتب عن مرضه، وزوجته وأطفاله ، وحياته الضائعة وذكرياته . وقد بلغ به القلق أحياناً درجة عالية من الحدة في مثل قصيدة «يقولون تحيا» (٢) و « يا غربة الروح » (٣). وأصبحت رؤيا الموت ملازمة له مرهقة كما في قصيدة «في الليل» (٤)، ولكنه كتب أحياناً قصائد تبدو كأنها هذيان عقل محموم مثل قصيدة «ها .. ها .. هوه» (٥) أو قصائد ساذجة في خيالها ، إذ تصف لوعة أمه الميتة عليه ونداءها له إلى القبر ، كما في قصيدة «الباب تقرعه الرياح.» (٦)

غير أن ذكريات طفولته أنتجت قصيدتين جميلتين في فكرتهما ونغماتهما الوجودية . وهما «إرم ذات العماد»(٧) التي كتبها في ٢١ شباط ١٩٦٣ و «شناشيل ابنة الجلبي» (٨) التي كتبها في ٢٤ شباط ١٩٦٣ . وفي القصيدة الأولى يتذكر بدر قصة رواها له في صغره جدّه ، وتحدّث فيها عن تجربته العيانية لمدينة إرم المستورة على ما تروي الأساطير ، إذ لا يراها إنسان إلا مرة في كل أربعين عاماً ويسعد من ينفتح له بابها . فقد هداه نجم لمّاح إلى طريق طويل عجيب حتى وصل إلى جدار قلعة بيضاء مشرقة يحيط بها الظلام . فسار حول سورها حتى بلغ بوابة حديدية رهيبة وقف عندها يدق . فرجع صدى القرع على البوابة المغلقة

---

(١) الدكتور جيمس بيفان : في رسالة إلى المؤلف ، لندن ٥ أيلول ١٩٦٦ .
(٢) «شناشيل ابنة الجلبي» : ص ٦٤ – ٦٧ وتاريخها ٢٣ شباط ١٩٦٣ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٨١ – ٨٥ وتاريخها ٢٦ شباط ١٩٦٣ .
(٤) المصدر نفسه : ص ١٩ – ٢١ وتاريخها ٢٧ شباط ١٩٦٣ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٥٤ – ٥٨ وتاريخها خطأ ٢٩ شباط ١٩٦٣ .
(٦) المصدر نفسه : ص ٢٦ – ٢٨ وتاريخها ١٣ آذار ١٩٦٣ .
(٧) المصدر نفسه : ص ١١ – ١٨ .
(٨) المصدر نفسه : ص ٥ – ١٠ .

فارغاً ، لكن ذلك لم يثنه عن القرع حتى كلّ ساعده فجلس عند البوابة قبيل الفجر . ولكنه نعس ونام ، وعندما استفاق لم ير أثراً للقلعة . لذلك فهو ينصح أحفاده إذا هم رأوا إرم أن يواصلوا القرع على بوابتها ولا يستسلموا للنوم وإلا فإنهم سيخسرون مثله فرصة العمر .

إن بدراً في هذه القصيدة لم يصوّر فقط اندهاش الطفولة بكل ما هو عجيب ولكنه صوّر أيضاً حنين الإنسان الدائم إلى السعادة وسعيه المتواصل لإيجاد معنى لوجوده يمنعه غالباً من الوصول اليه ضعف جسده .

أما القصيدة الأخرى «شناشيل ابنة الجلبي» فهي تبرز ناحية أخرى من تجربة الانسان للسعادة وتبيّن كيف أنها سريعة الانخطاف إذا تحققت . وهو في هذه القصيدة مثله في السابقة يصف هذه التجربة من خلال ذكريات الطفولة . فبينما هو يلعب مع الأطفال الآخرين ويصيدون الأرانب والفراش في غابة نخيل بعيداً عن البيت إذ هطل مطر ألجأهم إلى جوسق قصبي حيث جعل جدّه يتلو عليهم قصصاً ليقضي الوقت بينما الناطور يدير كؤوس الشاي . إن وصف المطر وسيل الماء والنخيل والسماء يخلق شعوراً بنضارة المشهد بما فيه من حيوية وحركة بينما الأطفال يراقبون في لذة المسحور . وعندما يومض البرق يلوح في السماء شناشيل ابنة الجلبي(١) طيفاً نوّر حوله الزهر والليلاب ، ويبدو وجه آسية الجميلة كحلّ الأحداق منها الوجدُ والسهر . لكن الرعد لا يلبث أن يزيل الرؤيا ويظهر قوس السحاب ولا يبقى من الشناشيل أثر . ثم ينهي بدر القصيدة قائلا (٢):

ثلاثون انقضتْ ، وكبرتُ : كم حبّ وكم وجْدِ
توهّج في فؤادي !
غير أني كلما صفقتْ يدا الرعد
مددتُ الطرف أرقبُ : ربّما ائتلق الشناشيلُ
فأبصرتُ ابنةَ الجلبي مقبلةً إلى وعدي
ولم أرها . هواء كل أشواقي ، أباطيلُ
ونبتٌ دونما ثَمَرٍ ولا وَرْدِ !

إن رؤيا الشناشيل الخاطفة ترمز إلى لحظة السعادة السريعة الزوال . وآسية اسم

---

(١) راجع وصف «الشناشيل»

(٢) «شناشيل ابنة الجلبي» : «شناشيل ابنة الجلبي» ، ص ٩ – ١٠ .

أبنة الجلبي ، وهي أمّ مؤيد العبد الواحد ، صديق بدر ، وقد كان بدر يرى انها تشبه وفيقة قريبته وعروس خياله (١). وهكذا يتصور بدر الحب جزءاً من السعادة الخاطفة الزائلة .

وكان بدر في لندن يفكر بزوجته مشتاقاً . وفي قصيدة حب بعنوان «وغداً سألقاها» (٢) يعبر عن حنينه إليها بألفاظ شبقة ويتصوّر أنها متعطشة إلى حبّه . وكان بدر منذ وصوله إلى انكلترا يكتب لزوجته باستمرار . وكانت هي قد بدأت تفقد الصبر على غيابه في شباط ١٩٦٣ فكتبت إليه تلحّ عليه بوجوب عودته حالا إلى العراق . لكنه بدر انزعج من موقفها (٣) حتى انه كتب قصيدة عنوانها «القنّ والمجرّة» في ٢ آذار ١٩٦٣ ، ولكنه طلب إزالتها من مجموعة «شناشيل ابنة الجلبي» قبيل نشرها (٤). وقد نشرت هذه القصيدة بعد موته (٥). وفي ختامها يقول إنه إذا عاد إلى العراق فإنه يعود إلى ابنه غيلان لا إلى زوجته . وفي ٩ آذار ١٩٦٣ كتب قصيدة أخرى (٦) يحمل فيها على زواجه ويعلن أن جميع من لاقاهم قساة ، فلا زوج ولا ولد ولا خلّ ولا أب ولا أخ أفاده في إزالة الهم . ولكنه في اليوم نفسه كتب قصيدة أخرى (٧) يعبر فيها عن شوقه إلى وطنه وبيته وحنينه إلى رسالة من زوجته .

في ١٥ آذار ١٩٦٣ طار بدر إلى باريس في طريق عودته إلى الوطن وكان مؤيد في صحبته وقد أنهى دورته في علم الإحصاء بإنكلترا . ولم يكن بدر قادراً على المشي بدون مساعدة الآن ، وكان عليه أن يبقى في غرفة فندقه خلال معظم الأيام التسعة التي قضاها في باريس . فجاء العديد من أصدقائه لزيارته في غرفته مثل الدكتور سيمون جارجي ، وإدوار طربيه ، وجون هَنْت ، وجورج صيدح ، والآنسة لوك نوران وغيرهم ممن جمّعهم الدكتور جارجي حول بدر ليساعده على إزالة شعوره بالوحدة .

وأخذه الدكتور سيمون جارجي بعد وصوله بأيام وبصحبة مؤيد العبد الواحد

---

(١) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٣٠ آب ١٩٦٦ .
(٢) «شناشيل ابنة الجلبي» : «وغداً سألقاها» ، ص ٦٨ – ٦٩ وتاريخها ٢٧ شباط ١٩٦٣ .
(٣) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٣٠ آب ١٩٦٦ .
(٤) راجع مجموعة «إقبال» : ملاحظة الناشر ، ص ٢٧ .
(٥) «إقبال» : «الفن والمجرة» ، ص ٢٣ – ٢٧ .
(٦) «شناشيل ابنة الجلبي» : «أم كلثوم والذكرى» ، ص ٨٦ – ٨٧ .
(٧) المصدر نفسه : «في انتظار رسالة» ، ص ٢٢ – ٢٥ .

ليفحصه طبيب فرنسي اخصائي بأمراض الجهاز العصبي هو الدكتور كامبييه في مستشفى دي لا سالتريير (١). وكان تشخيص الطبيب الفرنسي مثل تشخيص الدكتور إدواردز في لندن (٢). ولم يكن هناك شيء يمكن عمله لإنقاذ حياة بدر . فالمرض الفسادي الذي حلّ بجهازه العصبي سوف يتقدم صاعداً في النخاع الشوكي إلى أن يصل الدماغ . ولم يكن لأي دواء فائدة وإن وصف له بعض الأدوية .

وأخذ الدكتور جارجي بدراً في سيارته ليرى نهر السين ، وبرج إيفيل ، وغابة بولون وغيرها من معالم باريس . ودعاه في إحدى الأمسيات إلى بيته . ولعل بدراً لم يشعر يوماً بجوّ أكثر صداقة منه في باريس. (٣)

وكان بدر في غرفته في الفندق محاطاً على الدوام بالزهور . وقد اكتشف أن الآنسة لوك نوران هي التي كانت تتركها له يومياً لدى إدارة الفندق وهي في طريقها إلى عملها في الصباح (٤). وكانت مهتمة بشعر بدر وقضت معه بعض الوقت في ساعات فراغها تترجم إلى الفرنسية آخر ما كتب من قصائد كان يقرأها لها بالعربية ويترجمها إلى الانكليزية . وكانت صحبتها ترفع من روح بدر وهو يجدّد معها روابط الصداقة والودّ التي كانت قد انعقدت سابقاً في بيروت وروما . وكانت لوك تتعاطف معه وتتفهمه بعمق .

فلما عرف بدر أنها هي التي كانت تأتي له يومياً بالزهور ، كتب لها قصيدة في ٨ آذار ١٩٦٣ عنوانها «ليلة في باريس» (٥) وفيها يعبر لها عن تقديره ويصف أثر تعاطفها وإياه وصفاً رائعاً . فقد وجد فيها تجسيداً لوفيقة وبالتالي حبه المثالي . فإن صحّ وعدها بالمجيء إلى العراق فإن حياته ستكون سعيدة إلى الأبد .

وعندما قرأ القصيدة عليها في اليوم التالي ، بكت لوك نوران وعانقته وهي تردد : «أأستحقّ أنا كل هذا يا بدر؟» (٦)

وجعل ذلك بدراً يظن أنها ربما تحبه ، ولكنه كان يخشى أن يكون تعاطفها

---

(١) الدكتور سيمون جارجي : في رسالة إلى المؤلف ، جنيف ٧ تشرين الأول ١٩٦٦ .
(٢) مؤيد العبد الواحد : في رسالة إلى المؤلف ، البصرة ٢٢ تشرين الأول ١٩٦٦ .
(٣) راجع رسائل السياب في كتاب «بدر شاكر السياب» ، منشورات أضواء ، ص ١٣٣ — ١٣٩ .
(٤) مؤيد العبد الواحد : في كتاب «بدر شاكر السياب» منشورات أضواء ، ص ٥٣ .
(٥) «شناشيل ابنة الجلبي» : «ليلة في باريس» ، ص ٣٥ — ٣٨ .
(٦) مؤيد العبد الواحد : المصدر المذكور ، ص ٥٤ .

مجرد شفقة . في ذلك اليوم كتب قصيدة أخرى لها وعنوانها «أحبيني» (١) وفيها يعترف لها صراحةً أنه أحبّ سبع فتيات ، ولم تبادله واحدة منهن الحب قبلها . وينهي هذه القصيدة بنغمة شبقة وهو يتوسل إليها أن تحبه لأن كل من أحبّ قبلها لم يحبوه بما في ذلك زوجته التي يتهمها بأنها سبب دائه .

وقد سمحت لوك نوران لبدر بشيء من القرب والألفة ، لكنها أفهمته أن رجلا آخر موضع حبها (٢). فانزعج بدر كثيراً ولكن ذلك لم يقلل من إعجابه بها . وفي رسالة كتبها فيما بعد إلى الدكتور سيمون جارجي من البصرة بتاريخ ٣٠ آذار ١٩٦٣ يقول : «إنني أفتقدكِ كثيراً، وأفتقدها — بصراحة — أكثر.. أعني (لوك)، شاعرتي ، صديقتي ، أميرة خيالي وشعري . لم أكتب ولا بيتاً واحداً من الشعر بعد قصيدتيّ اللتين كتبتهما في باريس . لعلّ الجو العائلي الذي أعيش فيه هو السبب في جفاف ينبوع الشعر .» (٣) وفي رسائل تالية يسأله عنها ، وعما إذا عادت إلى باريس من بروكسل ، ويرجو أن تبعث له ببعض صورها الفوتوغرافية .(٤)

وقد ذكرتْ لوك نوران كيف جاءت هي ، وإدوار طربيه ، وماري جورج وسيمون جارجي في ٢٣ آذار ١٩٦٣ لتوديع بدر في مطار أورلي بباريس . فبدا بدر لها وكأنه ذاهب ضد الزمن ، وضد الموت :

« وعندما جاءت المضيفة لتأخذه إلى ذلك الجانب الغامض من المطار حيث لا يسمح بدخول أحد غير المسافرين ، وعندما دفعتْ كرسيّه الدرّاج إلى الباب فانفتحت دفتاه ثم أغلقتا مثل فخ ، شعرنا بقلبنا يتوقف .

«فقد اختفى بدر وهو عالق بابتسامة المضيفة بتجلّد . كان قد التفت نحونا وهزّ يده . ولكننا كنا نعلم أنه كان يغور في الفراغ .

«كان بدر يموت للمرة الأولى بالنسبة لنا، بينما ابتسامة الموت ترتسم على شفتيْ امرأة .

«هوفمان.» (٥)

---

(١) «شناشيل ابنة الجلبي» : «أحبيني» ، ص ٥٩ — ٦٣ .

(٢) مؤيد العبد الواحد : في مقابلة مع المؤلف ، البصرة ١٦ كانون الثاني ١٩٦٧ .

(٣) رسالة السياب في كتاب « بدر شاكر السياب» ، منشورات أضواء ، ص ١٣٣ .

(٤) المصدر نفسه : ص ١٣٧ — ١٣٥ .

(٥) راجع كلمة لوك نوران بالفرنسية في نشرة «الندوة اللبنانية » ، السنة التاسعة عشرة ، العدد ٢ ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٥٨ .

Luc Norin: "As-Sayyab ou la vie au coeur de la mort".

ولعلها شبهته بهوفمان في أوبرا أوفنباخ لأن هذا يفشل في حبه دائماً . إذ لا يستطيع أن يتغلب على ظروفه ويعلو على نقاط الضعف في نفسه لينجح في الحب (١) .

ولم يكد يمرّ أسبوعان على وصول بدر إلى البصرة ، حتى فصل من الخدمة الحكومية لمدة ثلاث سنوات ابتداء من ٤ نيسان ١٩٦٣ «بناء على مقتضيات المصلحة العامة ، واستناداً لأحكام المادة ٢ – أ من قانون تطهير الجهاز الحكومي رقم ٢ لسنة ١٩٥٨ .» (٢) ولعله اعتُبر شخصية غير مرغوب فيها من قبل الحكم الجديد في العراق لأنه كان قد مدح قاسماً .

وكانت هذه صدمة شديدة زادت من هموم بدر . فكتب رسالة إلى لجنة الاعتراضات الخاصة بالمفصولين والمعزولين ، وأرسلها إلى بغداد وفيها يحتج لبراءته ويؤكد ولاءه للعهد الجديد . ولكنه قبل النظر في أمره كان بلا عمل وبلا دخل .

وكانت أول قصيدة كتبها بعد رجوعه إلى البصرة هي «ليلة في العراق» (٣) وفيها يصف ليلة من ليالي الأرق عاودته فيها ذكريات الماضي . فتذكر كيف أن الحكومة كانت تلاحقه على الدوام في كل عهودها . أما الماضي القريب فقال عنه :

وعدتُ إلى بلادي . يا لنقّالات إسعاف
حملنَ جنازتي ! متمدّداً فيها أثنّ رأيت (غيلانا)
يحدّق ، بانتظاري ، في السماء وغيمها السافي .
وما هو غير أسبوعين ممتلئين أحزانا
ويفجأني النذير بأنّ أعواماً من الحرمان والفاقه
ترصّدُ بي هنا ، في غابة الخوذِ الحديديه .

وبعد عشرة أيام كتب قصيدة أخرى عنوانها «نسيم من القبر» (٤) وفيها يخاطب أمه الميتة ويقول :

---

(١) راجع مقال «أضواء على حياة السياب العاطفية» للمؤلف في مجلة «أفكار» ، عمان ، شباط ١٩٦٧ ، ص ٩٢ – ٩٨ .

(٢) مصلحة الموانىء العراقية : رسالة مديرية الذاتية إلى المؤلف ، رقم س ١٠٩/٦٢١ بتاريخ ١٨ أيار ١٩٦٦ .

(٣) «شناشيل ابنة الجلبي» : «ليلة في العراق» ، ص ٣٩ – ٤٦ وتاريخها ٨ نيسان ١٩٦٣ .

(٤) المصدر نفسه : «نسيم من القبر» ، ص ٩٤–٩٧ وتاريخها ١٨ نيسان ١٩٦٣ .

أما حملتْ إليكِ الريحُ عَبْرَ سكينةِ الليلِ
بكاء حفيدتيكِ من الطوى وحفيدكِ الجوعان ؟
لقد جعنا وفي صمت حملنا الجوع والحرمان ،
ويهتك سرّنا الأطفالُ ينتحبون من ويلِ .
أفي الوطن الذي آواكِ جوعٌ ؟ أيّما أحزان
توزّق أعين الأمواتِ ؟

وفي غضون ذلك بدأ بدر يعمل كمراسل أدبي لمجلة «حوار» في العراق ، بعد أن نال موافقة جون هَنْت ، سكرتير المنظمة العالمية لحرية الثقافة في باريس (١). وبدأ يرسل إلى توفيق صايغ محررها في بيروت ، تقارير فصلية عن الحركة الأدبية في العراق ، وكان يدفع له أربعين دولاراً على التقرير (٢) . وصار ينشر شعره كذلك في هذه المجلة التي كانت تدفع لكتابها مبالغ طيبة . وكانت الأوساط الفكرية القومية قد بدأت ترتاب بها وتهاجمها على أنها أداة من أدوات الاستعمار الغربي وتسلّله الثقافي .

ولم تتحسن صحة بدر على الرغم من أنه واصل أخذ الدواء الذي وصفه له الدكتور كامبيبه في باريس ، وسأل سيمون جارجي أن يرسل له المزيد منه (٣). وكان يستصعب المشي الآن حتى بعكاز ، وقد وقع على الأرض مراراً وهو يحاول المشي مجرّراً قدميه . وعندما مات أبوه في أوائل أيار ١٩٦٣ ، في عيد الأضحى ، لم يستطع أن يذهب إلى المسجد لحضور جنازته. (٤) وكان يقضي معظم وقته في البيت . ولم يكتب شعراً مدة طويلة ، ولكنه عمل على ترجمة فصول عيّنها له جبرا إبراهيم جبرا من كتاب «الشعر والنثر الأمريكيان» الذي كان سينشر في بيروت بتكليف من مؤسسة فرنكلين في بغداد باشتراك مترجمين آخرين . (٥)

---

(١) راجع رسالة السياب إلى سيمون جارجي ، في كتاب «بدر شاكر السياب» ، منشورات أضواء ، ص ١٣٧ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٣٥ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٣٦ و ١٣٨ .

(٤) مصطفى السياب : في رسالتيه إلى المؤلف ، بيروت ، ٢٣ نيسان ١٩٦٦ و ٦ حزيران ١٩٦٦ .

(٥) «ثلاثة قرون من الأدب» ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الجزء الأول (١٩٦٥)، الجزء الثاني ١٩٦٦ .

وفي هذا الوقت قَبَلَ بدر أن يعالجه بدويّ من الزبير ، فكوى ساقيه وظهره بالنار ثم أعطاه بعض المراهم ليدهن بها أطرافه المشلولة . ولم يكن لهذا «العلاج» فائدة . وقبل بدر في يأسه كذلك أن يعالجه سادات البصرة من الرفاعية الذين كانوا يدّعون العلم بالعلاج الروحاني . فحلّ عندهم يومين تحسّنت صحته بعدهما ، ربّما بفعل الإيحاء الذاتي ، لكن التحسّن كان قصير الأجل .

ولم يُعَدْ تعيين بدر في وظيفته السابقة في مصلحة الموانىء العراقية إلا في ١١ تموز ١٩٦٣ (١) . وكان صديقه مؤيد العبد الواحد يرافقه يومياً إلى العمل ومنه إلى البيت . لكن بدراً لم يكن في الواقع قادراً على شيء يذكر من العمل في حالته تلك السيئة . وكتب إلى سيمون جارجي في ١٢ تشرين الأول ١٩٦٣ يقول : «إنتاجي الشعري ، هذه الأيام ، قليلٌ جداً ، وذلك لانعدام أية تجربة شعرية جديدة : إنني نادراً ما أغادر الدار إلا إلى مقرّ عملي . كما أني سئمتُ من الضرب على وتر «أنا مريض» فيما أكتبه من شعر (٢).»

وقد فكّر بدر ، وهو يعيش في ذكريات الماضي وينتج القليل من الشعر ، أن يعيد نشر شيء من شعره الباكر . فاختار من «أزهار ذابلة» (القاهرة ١٩٤٧) و «أساطير» (النجف ١٩٥٠) عدداً من القصائد ولاسيما من المجموعة الأخيرة فشذّبها وهذّبها وحذف منها قليلا ، ونشرها في بيروت في تشرين الأول ١٩٦٣ بعنوان «أزهار وأساطير» .

وكان مجرى الأحداث السياسية في العراق يسوء . فحيث كان بدر يأمل أن يرى جبهة متضامنة تؤيد العهد الجديد الذي أطاح بقاسم ، كان هناك صراع على السلطة . وكان البعثيون يحاولون السيطرة على البلاد ، لكن الرئيس عبد السلام عارف والجيش أحبطا خططهم في تشرين الثاني ١٩٦٣ . وكان الصراع على السلطة يعتبر أهم من الوحدة الوطنية وتنفيذ الإصلاحات الواسعة التي وعدت بها ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وأعادت تأكيدها ثورة ١٤ رمضان ١٣٨٢ هـ (٨شباط ١٩٦٣). لكن بدراً كان قد بلغ به المرض حداً ما عاد معه يقوى على الاهتمام . بل إنه كان يشعر كأنه أسير في سفينة قراصنة ، أزيل ربّانها وقام ثانٍ طموحٌ مكانه لن يلبث أن يزال أيضاً ، وهكذا باستمرار .

---

(١) مصلحة الموانىء العراقية : رسالة مديرية الذاتية إلى المؤلف ، رقم س ١٠٩/٦٢١ بتاريخ ١٨ أيار ١٩٦٦ .

(٢) رسالة السياب إلى سيمون جارجي في كتاب «بدر شاكر السياب» منشورات أضواء ، ص ١٣٨ .

وفي ٢٩ تشرين الأول ١٩٦٣ كتب قصيدة «أسير القراصنة» (١) يصف فيها حسرته وأساه لأنه مشلول ، ويتمنى لو كان يستطيع المشي ويفضل ذلك على كونه شاعراً يعزف القيثار باسم الجراح ثم يقول لنفسه :

وأنتَ في سفينة القرصانْ
عبدٌ أسيرٌ دون أصفادِ
تقبع في خوفٍ وإخلادِ
تصغي إلى صوتِ الوغى والطعان :
سال الدمُ
اندقت رقابٌ ومال
ربّانها العملاقْ
وقام ثان بعده ثم زال
فامتدّتِ الأعناق
لأي قرصان سيأتي سواه
وأي قرصان ستعلو يداه
حيناً على الأيدي ؟
«وليأتِ من بعدي ...
من بعديَ الطوفان»
تسمعها تأتيكَ من بُعْدِ
يحملها الإعصار عَبْرَ الزمان !

وكان بدر في غضون ذلك هدفاً لحملات صحفية بسبب تناقضاته السياسية في الماضي وموقفه غير الملتزم في الحاضر (٢). وكانت علاقاته بمجلة «حوار» والمنظمة العالمية لحرية الثقافة تُذكر ضده ، وكان دفاعه عنها سبباً للمزيد من الهجوم عليه (٣) . وكان معظم الناس يحكم عليه أشد الحكم بناء على ما كتب أو ما كان يكتب . ولكن قلائل كانوا يعلمون حقاً مبلغ مرضه ومدى ضعفه ، إذ كانوا لا يزالون يحسبون أنه عملاق الشعر العربي الحديث الذي يجب أن يكون

---

(١) «شناشيل ابنة الجلبي» : «أسير القراصنة» ، ص ٩٠ – ٩٣ .
(٢) انظر مثلا مقال علي الحلي : «الفنان والحلق الثوري » ، مجلة «الآداب» ، تموز ١٩٦٣ .
(٣) انظر مثلا مقال إنعام الجندي : «محنة السياب ومأساة الخلق » ، مجلة «الأسبوع العربي» ، بيروت ٢ أيلول ١٩٦٣ .

دائماً عند كلمته . بينما لم يكن عند بدر إلا أن يندب حظه ويتحسّر على عمره الضائع ويرغب في الموت . وعندما مات حميد ، وكان كسيحاً يعرفه بدر ، كتب قصيدة عنوانها «حميد» (١) يقول فيها :

ينام ورجلاه مطويتان
شهوداً على الداء ، في قبره .
إذا ما رأى الله رأي العيان
وقد سار زحفاً على صدره
فأي انسحاق وأي انكسار
يشعّان من عينه الضارعه !
سيبكي له الله من رحمة واعتذار .

وقال في رسالة إلى صديق : « لا أكتب هذه الأيام إلا شعراً ذاتياً خالصاً . لم أعد ملتزماً . ماذا جنيت من الالتزام ؟ هذا الفقر وهذا المرض ؟ .. لعلّي أعيش هذه الأيام آخر أيام حياتي ... إنني أنتج خير ما أنتجته حتى الآن . من يدري ؟ لا تظن أنني متشائم . العكس هو الصحيح . لكن موقفي من الموت قد تغير . لم أعد أخاف منه . ليأتِ متى شاء . أشعر أنني عشت طويلا . لقد رافقت جلقامش في مغامراته ، وصاحبت عوليس في ضياعه ، وعشت التاريخ العربي كله . ألا يكفي هذا ؟ » (٢)

وكانت حالته الصحية تزداد سوءاً كل يوم ، وكاد يفقد القدرة على الوقوف الآن . كان طريح الفراش في إجازة مرضيّة .وقد بدأت تظهر له في منطقة الأليتين قرحة سريرية جعلت تتوسع لطول رقوده في السرير . ولم يعد قادراً على ضبط حركتيْ التبويل وإفراغ الأمعاء لضعف الأعصاب الإحساسية والعضلات الضابطة في جذعه الأسفل . ومرّت بامرأته أيام عصيبة وهي تتفانى في خدمته وتوفر أسباب الراحة له . وعلى الرغم من أنه كان يتمتع بكامل قواه العقلية فإنه كان أحياناً يتّهمها بعدم العطف عليه .

وفي كانون الثاني ١٩٦٤ سمع بدر بوفاة الشاعر لويس مكنيس فكتب قصيدة لهذه المناسبة .(٣) ولكنه لم يستطع أن يحجم عن الإشارة إلى مرضه وغربته

---

(١) «إقبال» : «حميد» ، ص ٣٦ – ٣٨ .
(٢) نقلا عن عاصم الجندي : في مجلة «الأسبوع العربي» ، بيروت ٤ كانون الثاني ١٩٦٥.
(٣) «إقبال» : «لوي مكنيس» ، ص ٣١ – ٣٥ وتاريخها ٩ كانون الثاني ١٩٧٤ .

عن زوجته وتمنّى الموت . وكان يدخن كثيراً ويأكل قليلا جداً . وإذا به في ٩ شباط ١٩٦٤ في حالة صحية حرجة استدعت إدخاله إلى مستشفى الموانىء في البصرة وهو يعاني ارتفاع حرارته إلى أربعين درجة مئوية بالإضافة إلى عسر في التنفس مع ازرقاق الشفتين وسعال شديد . وبعد الفحص تبين أنه مصاب بذات الرئة المزدوجة ، وبداية خذلان القلب ، وإسهال شديد مع تقيّؤ ، وقرحة سريرية متعفنة قطرها ٢٥ سنتمتراً في المنطقة الحرقفية ، بالاضافة إلى شلل أطرافه السفلى وهزاله الشديد .(١)

فوضع مدة أسبوع كامل تحت المعالجة الخاصة بالحالات الطارئة الحرجة في هذا المستشفى الحكومي ، بإشراف الدكتور ابراهيم عبد الحميد ، قبل أن زال الخطر عن حياته مباشرة . وبعد أن بدأت حالة قلبه ورئتيه تتحسن عولج لإزالة الإسهال الذي كان يزيد قرحته السريرية سوءاً . وعندما بدأ الإسهال يزول أصبح في الإمكان معالجة قرحته السريرية ، فتحسنت حالتها وأصبحت غير متقيّحة . غير أن التئامها التام بطريقة نمو الأنسجة الذاتي كان مشكوكاً فيه إلا بعملية رقع الجلد . وقد كتب بدر بهذا الشأن رسالة مؤثرة إلى توفيق صايغ يسأله فيها أن يرسل له مسحوقاً طبياً لجراحه الناغرة الفاغرة يشتريه له من صيدليات بيروت. (٢) وقد أعطي بدر كميات كبيرة من الأدوية المقوية فضلا عن الكميات الكبيرة الإضافية من الحليب واللحوم والأسماك والفواكه مع العلم أنه لم يكن في المستشفى إلا أسرّة من الدرجة الثالثة التي لا تقدم لها هذه الأغذية ويمثل هذه الكميات.فازداد وزن بدر أكثر من ثمانية كيلوغرامات ، وبوشر باجراء تمارين رياضية بسيطة لأطرافه السفلى . وكان الطبيب يعلم أن لا علاج لمرض التصلب المنتشر في النخاع الشوكي المسبب للشلل ، ولكنه اقترح أن ينقل بدر إلى أحد مستشفيات بغداد ليوضع تحت إشراف طبيب اخصائي بأمراض الجهاز العصبي . (٣)

وفي أول نيسان ١٩٦٤ انتهت المدة التي يحق لبدر فيها أن ينال إجازات مرضيّة وإجازات اعتيادية براتب تام (٥٤ ديناراً عراقياً) ، وكذلك المدة التي يحق له فيها أن ينال إجازات مرضيّة بنصف راتب ، بمقتضى أحكام قانون

---

(١) الدكتور ابراهيم عبد الحميد ، مدير مستشفى الموانىء : تقريره الطبي عن السياب بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٦٤ .

(٢) مجلة «حوار» ، بيروت ، آذار ، نيسان ١٩٦٥ ، الصفحة الأولى من الغلاف .

(٣) الدكتور ابراهيم عبد الحميد : المصدر المذكور .

الخدمة المدنية رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٠ . ولكنه لم يستطع أن يغادر المستشفى لاستئناف العمل في مصلحة الموانىء . لذلك بدأت مدة الإجازة المرضيّة بدون راتب التي يسمح بها القانون ، وطولها ١٨٠ يوماً .

وفي ٨ نيسان ١٩٦٤ أرسلت جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد ، وكان بدر عضواً فيها ، رسالة إلى وزارة الصحة العراقية تتوسط لديها لمعالجة بدر (١). وجواباً على استفسارات الوزارة ، أرسلت الجمعية رسالة أخرى في ٢٦ نيسان ١٩٦٤ فيها معلومات عن حالة بدرالمرضيّة ومعالجته في مستشفى الموانىء ، مع رجاء حار بسرعة توفير الاخصائيين الطبيين لمساعدة بدر. (٢) لكن الرسميات في الدوائر الحكومية طالت بحيث إن شهر حزيران ١٩٦٤ كاد ينتهي قبل أن تتخذ ترتيبات لنقل بدر بالقطار إلى بغداد ليوضع في غرفة من الدرجة الأولى ويعالج في مستشفى الشعب ببغداد . وصدرت دعوة المستشفى بتاريخ ٢٩ حزيران ١٩٦٤ ، ولكنها لم تصل بدراً إلا في ٥ تموز ١٩٦٤ (٣).

وكانت ترتيبات خاصة أخرى قد اتخذت قبل ذلك لمعالجة بدر في الكويت . وذلك ان الشاعر الكويتي علي السبتي كان قد نشر نداء موجهاً لوزير الصحة الكويتي ، عبد اللطيف محمد الثنيان ، يناشده فيه معالجة بدر في الكويت على حساب الحكومة الكويتية (٤) . فرحب وزير الصحة بذلك وكان معجباً بشعر بدر . فاتخذت الترتيبات لأن يجيء بدر إلى الكويت بالطائرة ليعالج في المستشفى الأميري .

في ٥ تموز ١٩٦٤ ، كتب بدر كلمة شكر واعتذار على رسالة الدعوة التي جاءت من مستشفى الشعب ببغداد يشرح الترتيبات السابقة مع الحكومة الكويتية . وفي ٦ تموز طار إلى الكويت على إحدى طائرات الخطوط الجوية العراقية وكان وحده . فاستقبله في المطار الكويتي صديقه علي السبتي مع أصدقاء

---

(١) جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين: رسالة رقم ٧٦ بتاريخ ٨ نيسان ١٩٦٤، بغداد، وقعها السكرتير الدكتور يوسف عز الدين .

(٢) جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين : رسالة رقم ٨٢ بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٦٤ ، وقعها السكرتير الدكتور يوسف عز الدين .

(٣) وزارة الصحة العراقية : مديرية مستشفى الشعب ، رسالة رقم ٣٦٥٠ بتاريخ ٢٩ حزيران ١٩٦٤ ، موجهة إلى رئاسة صحة موانىء البصرة ، ومديرية الموانىء العامة بالبصرة .

(٤) عبد اللطيف محمد الثنيان : في رسالة إلى المؤلف ، الكويت ٢٢ حزيران ١٩٦٦ .

آخرين (١) . وأدخل المستشفى الأميري في الحال ووضع في غرفة خاصة وأحيط بكل عناية واهتمام (٢).

غير أن لا عناية ولا اهتمام مهما حسنا كان بامكانهما أن يعيدا الصحة لبدر . فقد كانت صحته في تأخر وانحدار متزايدين ، وكان التصلّب يسير صعداً في نخاعه الشوكي ويزيد في إفساد وظائف جهازه العصبي ، وساءت حالة قرحته السريرية بفقدان الإحساس في جذعه الأسفل وعدم قدرته على السيطرة على البراز والبول . وكانت رجلاه الضامرتان بلا قوة ، وقد أدى عدم استعمالهما إلى بداية فساد في العظام نفسها . ولكنه كان متمالكاً لجميع قواه العقلية ، وكان يرى أنه يعيش في حضن الموت . ولم يكن في حاجة لأن يقول له أحد إن أيامه كانت معدودة . لماذا إذن إذلال الجسد ، ولماذا آلام الروح ؟ ليأتِ الموت سريعاً ، ليأتِ فجأة !

وفي ليلة ٩ تموز ١٩٦٤ كتب قصيدة عنوانها «في غابة الظلام» (٣) بينما كان ساهراً يفكر بحالته الحزينة وبابنه غيلان يحلم بعودة والده . وختمها بقوله :

أليس يكفي أيها الإله
أن الفناء غايةُ الحياه
فتصبغ الحياة بالقتامْ ؟
تحيلني ، بلا ردى ، حطام
سفينةٌ كسيرةٌ تطفو على المياه ؟
هات الردى ، أريد أن أنام
بين قبور أهليَ المبعثره
وراء ليل المقبره
رصاصة الرحمة يا إله !

لقد بلغ به اليأس مبلغاً حتى انه طلب من الله رصاصة الرحمة ، طلب موتاً فجائياً ينهي شقاءه برحمة .

وكان يزوره في المستشفى يومياً كثيرون من أصدقائه مثل علي السبتي ، وناجي علّوش ، وإبراهيم أبو ناب ، وفاروق شوشه ، وسلمى الخضراء

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) الدكتور محمد أبو هنطش ، مدير المستشفى الأميري : في رسالة إلى المؤلف ، الكويت ٢٠ نيسان ١٩٦٦ .
(٣) «إقبال» : «في غابة الظلام» ، ص ٤٣ — ٤٦ .

الجيوسي مع زوجها .(١) وكان وزير الصحة الكويتي وغيره من كبار الرسميين الكويتيين يزورونه كذلك ، ولم يكن بدر رحيداً بل إنه في الواقع كان ينزعج أحياناً من طول جلسات الشعراء والكتاب والصحفيين التي كانت تدوم إلى ساعات متأخرة من الليل .

وما أعظم ما كانت سعادته حين تسلم رسالة من زوجته في ٣ آب ١٩٦٤ ، فكتب قصيدة عنوانها «رسالة» (٢) يصف فيها شعوره بالقلق على أسرته . وفي ليلة ٥ آب ١٩٦٤ كان يفكر مشتاقاً بابنتيه غيداء وآلاء وينتظر وصولهما مع غيلان وزوجته في اليوم التالي . فكتب قصيدة عنوانها «ليلة انتظار» (٣) وفيها يقول :

غداً تأتين يا إقبالُ ، يا بعثي من العدم
ويا موتي ولا موتُ
ويا مرسى سفينتي التي عادتْ ولا لوحٌ على لوحِ
ويا قلبي الذي إن متّ أتركه على الدنيا ليبكيني
ويحأر بالرثاء على ضريحي وهو لا دمعٌ ولا صوت
أحبّيني ! إذا أدرجتُ في كفني ... أحبّيني
ستبقى — حين يبلى كل وجهي ، كل أضلاعي
وتأكل قلبي الديدانُ ، تشربه إلى القاعِ —
قصائدُ .. كنتُ أكتبها لأجلكِ في دواوينِي
أحبّيها تحبيني !

ووصلت إقبال وأولادها في اليوم التالي ونزلوا في بيت علي السبتي خلال إقامتهم في الكويت .(٤) وكانت إقبال تزور زوجها في المستشفى كل يوم فتؤنسه وتخدمه . وكانت رؤية أطفاله تدمي قلبه على رغم ما كانت تدخل اليه من سعادة . فقد كان يعلم أنه مائتٌ وتاركهم وراءه .

ولم يكن بدر الآن قادراً على كتابة الشعر بتدفق كالسابق . على الرغم من

---

(١) إبراهيم أبو ناب : في مقابلة مع المؤلف في رام الله بتاريخ ٢٣ ايلول ١٩٦٦ .
(٢) «إقبال» : «رسالة» ، ص ٤٧ — ٥٠ .
(٣) المصدر نفسه : «انتظار» ، ص ٥١ — ٥٣ .
(٤) إبراهيم أبو ناب : في مقابلة مع المؤلف ، رام الله ٢٣ أيلول ١٩٦٦ .

الحافز الأقوى على الكتابة . وفي ١٤ آب ١٩٦٤ كتب قصيدة «المعول الحجري»(١) وفيها يقول :

رنين المِعْوَلِ الحجري يزحف نحو أطرافي
سأعجز بعد حين عن كتابة بيت شعرٍ في خيالي جالْ
فدونك يا خيال مدى وآفاق وألف سماء
وفجّر من نجومك ، من ملايين الشموس من الأضواء
وأشعل في دمي زلزال
لأكتب قبل موتي أو جنوني أو ضمور يدي من الإعياء
خوالج كل نفسي ، ذكرياتي ، كل أحلامي
وأوهامي
وأسفح نفسيَ الثكلى على الورقِ
ليقرأها شقيّ بعد أعوام وأعوام
ليعلم أن أشقى منه عاش بهذه الدنيا
وآلى رغم وحش الداء والآلام والأرقِ
ورغم الفقر أن يحيا .

وينهي بدر قصيدته مودّعاً أصدقاءه وأحباءه ، وهو يعلم أن مرضه لن يسمح له بمزيد من الحياة .

وفي ليلة ٢١ آب ١٩٦٤ كتب قصيدة عنوانها «ليلة وداع» (٢) وإهداؤها «إلى زوجتي الوفيّة» . وفيها يعبّر بدر عن حبه لزوجته وعطفه عليها وشعوره معها في وحدتها . ويتمنى لو كان بمقدورها هي أن تشعر معه ، ويقول :

آه لو تدرين ما معنى ثوائي في سرير من دمِ
ميّتَ الساقين محموم الجبين
تأكل الظلماء عيناي ويحسوها فمي
تائها في واحة خلف جدارٍ من سنين
وأنين
مستطار اللبّ بين الأنجمِ .

وعندما يتحدث عن حبّه لها يتمنى لو كانت أقلّ غيرة وأكثر صراحة ويقول :

---

(١) «إقبال» : «المعول الحجري» ، ص ٣٩ – ٤٢ . وانظر كتاب «بدر شاكر السياب» ، منشورات أضواء ، ص ٦٤ ، حيث القصيدة مؤرخة .

(٢) «شناشيل ابنة الجلبي» : «ليلة وداع» ، ص ٧٠ – ٧٢ .

آه لو كنت ، كما كنتُ ، صريحه
لنقضنا من قرار القلب ما يحشو جروحه
ربّما أبصرت بعض الحقد ، بعض السأم
خصلةً من شعر أخرى أو بقايا نغم
زرعتْها في حياتي شاعره
لستُ أهواها كما أهواك يا أغلى دمٍ ساقى دمي .
إنها ذكرى ولكنّك غيّرى ثائره
من حياة عشتها قبل لقانا
أوصدي الباب . غداً تطويك عني طائرة
غير حبّ سوف يبقى في دمانا .

وعادت زوجته وأطفاله إلى العراق في اليوم التالي .

وكان بدر خلال إقامته في المستشفى يكسب بعض المال بنشر قصائده في الصحف الكويتية التي كانت تدفع له جيداً . ومنها مجلة «الرائد العربي» التي كان يحرر فيها إبراهيم أبو ناب ، فكانت تدفع له عشرة دنانير عن كل قصيدة.(١) وكان بدر في غضون ذلك يقوم باتصالات لنشر مجموعة جديدة من شعره لدى دار الطليعة في بيروت ، بعنوان «شناشيل ابنة الجلبي» .(٢)

وكانت صحته قد هبطت هبوطاً شديداً . وفقد الشهية للطعام وزاد هزاله . وعلى الرغم من تعاطي الأدوية المقوية ، فقد بلغ ضعفه درجة أصبح معها يجد صعوبة في الكلام أحياناً.(٢) وقد أصيب بكسر في عنق عضل فخذه اليسرى بينما كانت المدلكة تقوم بتدليكه ، وذلك لذوبان الكلس في العظام . (٣) وفي أيلول ١٨٦٤ أصيب مرتين بالنزلة الصدرية وصل فيهما إلى حالة خطيرة كادت تودي بحياته لولا العلاجات التي أعطيت له بكميات كبيرة . (٣)

وفي أواخر أيلول ١٩٦٤ عندما لم يكن بعد قد تغلب على نزلته الصدرية أرسلت له مصلحة الموانىء العراقية في البصرة رسالة تخبره فيها أنه ابتداء من بعد ظهر ٢٧ أيلول ١٩٦٤ انتهت مدة إجازته المرضيّة البالغة ١٨٠ يوماً بدون راتب ،

---

(١) إبراهيم ابو ناب : في مقابلة مع المؤلف ، رام الله ٢٣ أيلول ١٩٦٦ .

(٢) «شناشيل ابنة الجلبي» ، دار الطليعة ، بيروت – ظهر في الأسبوع الأخير من كانون الأول ١٩٦٤ ، وأعيد طبعه في حزيران ١٩٦٥ .

(٣) الدكتور محمد أبو هنطش : في رسالة إلى المؤلف ، الكويت ٢٠ نيسان ١٩٦٦ .

وأنه لعدم استئنافه العمل أحيل على التقاعد استناداً لأحكام الفقرة ٣ – ب من المادة ٤٦ من قانون الخدمة المدنية رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٠ . (١) ولم يكن أثر هذه الرسالة في بدر حسناً ، بالطبع .

وفي تشرين الأول ١٩٦٤ بلغ الضعف حداً لم يعد معه قادراً على الأكل ، واستوجبت الحالة تغذيته بواسطة أنابيب تُدلّى من أنفه . وقد أرسلت له جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد منحة مالية قدرها مئة دينار عراقي في محاولة لمساعدته مالياً ومعنوياً . (٢) بيد أن أية مساعدة لم تكن مجدية . وبدأت تنتاب بدراً نوبات من الهذيان والتصورات الوهمية ، فإن هزاله وضعفه الشديد واضطراب جهازه العصبي بدأت تؤثر في دماغه . وكان يستعيد صفاءه الفكري مدة ساعات ليعود بعدها إلى حالة من الاضطراب الفكري .

وقد وصفته الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي في هذه الفترة فقالت (٣) :

«بدر على سرير المستشفى – المستشفى الأميري في الكويت – الغرفة رقم ١ وفي أنفه أنبوب الطعام ، والحياة تهجر جسمه الذي أذوته الجهود والأوجاع ، وعذبه ترقب الموت . إنه يناديني . «نعم يا بدر» . صوتي مرهق وخافت ، إذ ينطلق في هواء الغرفة الساخن الحزين . لقد كنت أرتجف ، وأوشك على البكاء. «هل تعلمين ؟ لقد ضاع دفتر شعري الجديد .» وبصوت لا يكاد يسمع «إقبال لم تجيء». ثم بعد لحظات «لقد ضاع مني كلّ شيء» .

«هراء ». قلتها له ألف مرة . «إن ما ملكت لا يضيع . ما كان أفقرنا لو ضاع منا ما أعطيت.» ...

«إنهم لم يروك كما رأيتك أنا ، في تلك النهاية البطيئة التي تحطم القلب : الأنابيب والبثور والهذيان والطعام الذي لم يمسّ . لحظات الصفاء اللامعة ثم الكابوس والانهيار ، مودتك وحكاياتك وطلباتك الصغيرة ، ينبوع الشعر الذي ظل يتفجر من قلبك .

«لقد عرفتْ لحظةُ الشعر في نفسك أطراف النقيضين : نشوة البطولة ،

---

(١) مصلحة الموانىء العراقية : رسالة مديرية الذاتية إلى المؤلف ، رقم س ١٠٩/٦٢١ بتاريخ ١٨ أيار ١٩٦٦ .

(٢) مجلة «الكتاب» التي تصدرها جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد ، عدد ايار وحزيران ١٩٦٥ ، ص ١٩٤ و ١٩٧ .

(٣) مجلة «الآداب» : أيار ١٩٦٦ ، ص ٨ – ٩ .

وانكسار المغدور البائس وانسحاقه في الموت .»

ويقول الدكتور محمد أبو هنطش ، مدير المستشفى الأميري ، إن بدراً في تصوراته الوهمية كان يهذي بإساءات من أهله وأقاربه وزوجته .(١) ويرويّ إبراهيم أبو ناب أن بدراً حدّثه كيف كان إبليس يحاول جرّه إلى النار ، وكيف كان هو يقاوم ويمانع ويدافع عن نفسه بأنه ليس الشخص المراد به ذلك .(٢) ويقول ناجي علّوش إنه كان يسمع بدراً يهذي بالجن والأرواح .(٣) ويقول راضي صدّوق إن بدراً في لحظات صفائه الفكري ، كان يعتذر لأصدقائه عما قد يكون قاله لهم خلال لحظات هذيانه وتصوراته الوهمية .(٤)

وكان بدر يدخن كثيراً ويشرب الشاي الثقيل .(٥) ولم يكتب شعراً مدة طويلة . وفي ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٤ في إحدى فترات صفائه الفكري ، كتب قصيدة عنوانها «نفس وقبر» (٦) تتألف من خمسة مقاطع في كل منها أربعة أبيات مقفاة من البحر الوافر . وهو يعبّر فيها عن يأسه وعذابه ورغبته في الموت . وكتب أيضاً قصيدة موجهة إلى أمير الكويت الشيخ عبدالله السالم الصباح يمدحه فيها ويرجوه أن يرسله إلى الخارج للعلاج الطبي .(٧)

وفي هذه الأثناء طلبت مصلحة الموانىء العراقية في البصرة من عائلة بدر أن تغادر البيت الذي تسكنه إن لم تدفع المتأخر من الايجار ورسوم الماء والكهرباء خلال شهر . ولم يكن هذا التهديد بالطبع مما يدعو إلى اطمئنان بدر وراحة باله .

وفي لحظة أخرى من لحظات صفائه الفكري ، في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٤ ، كتب بدر قصيدة عنوانها «عكاز في الجحيم» (٨) وهي على ما يروي علي السبتي آخر ما كتب بدر من قصائد . ولكن هناك قصيدة أخرى غير مؤرخة

---

(١) الدكتور محمد ابو هنطش : في رسالة إلى المؤلف ، الكويت ٢٠ نيسان ١٩٦٦ .
(٢) ابراهيم أبو ناب : في مقابلة مع المؤلف ، رام الله ٢٣ أيلول ١٩٦٦ .
(٣) ناجي علوش : في مقابلة مع المؤلف ، بيروت ١١ حزيران ١٩٦٦ .
(٤) راضي صدوق : في مقابلة مع المؤلف ، القدس ٧ تشرين الأول ١٩٦٦ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) «إقبال» ، «نفس وقبر» ، ص ٥٤ — ٥٧ .
(٧) لم أتمكن من العثور على هذه القصيدة . لكن ناجي علوش يشير اليها في مقدمة «إقبال» ، ص ١٦ .
(٨) «إقبال» : «عكاز في الجحيم» ، ص ٢٨ — ٣٠ ، وفي كتاب «بدر شاكر السياب» ، منشورات أضواء ، ص ٦٦ ، حيث القصيدة مؤرخة .

عنوانها «إقبال والليل» (١) يقول فؤاد طه العبد الجليل أخو زوجة بدر الذي نشر مجموعة بدر الأخيرة ، إنها قد تكون آخر ما كتب بدر .(٢) وربما كتبت في حدود هذا التاريخ .

في القصيدة الأولى يلخص بدر تاريخ عذابه الذي سجنه في سريره وحدّ من انطلاقة عبقريته ويقول :

وبقيت أدور
حول الطاحونة من ألمي
ثوراً معصوباً ، كالصخرة ، هيهات تثورْ
والناس تسير إلى القممِ
لكني أعجز عن سير — ويلاه — على قدمي
وسريري سجني ، تابوتي ، منفايَ إلى الألمِ
وإلى العدم !

ثم يمضي في قوله كيف كان يتوقع أن يقدر على المشي يوماً ولو على عكازين . لكنه الآن يرغب أن يسعى على رأسه أو ظهره ليصل القبر ويشق دربه إلى الجحيم ويصرخ في وجه موكلها :

لمَ تترك بابك مسدودا ؟
ولتدعُ شياطين النار
تقتصّ من الجسد الهاري
تقتصّ من الجرح العاري
ولتأت صقورك تفترس العينين وتنتهش القلبا
فهنا لا يشمتُ بي جاري
أو تهتف عاهرة مرت من نصف الليل على داري .
«بيت المشلول هنا ، أمسى لا يملك أكلا أو شربا
وسيرمون غداً بنتيه وزوجته دربا
وفتاه الطفل إذا لم يدفع متراكم إيجارِ . »
انثرني ويلكَ أباديدا
وافتح بابكَ لا تتركه أمام شقائي مسدودا
ولتطعم جسمي للنار !

---

(١) «إقبال» : «إقبال والليل» ، ص ٥٨ — ٦٢ .
(٢) «إقبال» ، راجع الحاشية ، ص ٦٢ .

وفي القصيدة الأخرى يلخص بدر في ليلة طويلة ساهرة حبه للعراق وجيكور ولأصدقائه وأقاربه ، ولزوجته وأطفاله . ويوجّه الكلام لزوجته فيقول :

يا أمّ غيلان الحبيبة صوّبي في الليل نظره
نحو الخليج . تصوّريني أقطع الظلماء وحدي
لولاكِ ما رمتُ الحياة ولا حننتُ إلى الديارْ
حبّبْتِ لي سُدَفَ الحياة ، مسحتِها بسنا النهار
لمَ توصدين الباب دوني ؟ يا لجوّابِ القفار
وصل المدينة حين أطبقت الدجى ومضى النهار
والبابُ أغلق فهو يسعى في الظلام بدون قصدِ .

ثم ينهي بدر القصيدة بنغمة عاطفية ويقول :

إقبالُ مدّي لي يديكِ من الدجى ومن الفلاه ،
جسّي جراحي وامسحيها بالمحبة والحنان
بكِ أفكر لا بنفسي : مات حبّكِ في ضحاه
وطوى الزمان بساط عرسكِ والصبى في العنفوان .

في كانون الأول ١٩٦٤ ، كانت لحظات الصفاء في تفكير بدر تقلّ وتصبح نادرة ، ولحظات الاضطراب تكثر وتصبح متصلة تقريباً. ولم يتعرّف على كثيرين من أصدقائه ومعارفه عندما كانوا يزورونه .(١) وبدأت تنتابه بالإضافة إلى ذلك حالات إغماء وفقدان الوعي كانت تدوم ساعات .(١) فإذا صحا كان كامل الوعي متمالكاً لقواه العقلية لا ينقصه شيء سوى قواه الجسدية . وأخيراً ، وفي يوم الخميس الموافق للرابع والعشرين من كانون الأول ١٩٦٤ وقع في غيبوبة وفاضت روحه في الساعة الثالثة بعد الظهر . (١)

فأبرق علي السبتي ينعي بدراً لأهله ، وأخبرهم أنه سيصطحب جثمانه إلى البصرة يوم الجمعة في ٢٥ كانون الأول ١٩٦٤ .

وكان اليوم يوماً ماطراً لم تر المنطقة مثله مدة سنين عديدة . ورافق المطر السيارة التي حملت جثمان بدر من الكويت إلى أن وصلت البصرة في ذلك اليوم الذي كان العالم يحتفل فيه بعيد الميلاد . واستقبلها في البصرة مزيد من المطر . وأخذ جثمان بدر بالسيارة إلى داره في شارع أجنادين بالمعقل . لكن الدار كانت

(١) الدكتور محمد أبو هنطش : في رسالة إلى المؤلف ، الكويت ٢٠ نيسان ١٩٦٦ .

خالية ، إذ إن عائلته كانت قد أخرجت منها بأمر حكومي في ذلك اليوم نفسه .(١) فأخذ جثمان بدر بالسيارة إلى دار فؤاد طه العبد الجليل في محلة الأصمعي ، ولكن لم يكن في البيت أحد ، وقيل لعلي السبتي أن الجميع ذهبوا إلى المسجد لاستقبال الجثمان وحضور الجنازة . (٢)

وسيق الجثمان إلى المسجد حيثُ اجتمع قلّة من الأهل والأصحاب . وبعد صلاة الجنازة أخذ جثمان بدر بالسيارة إلى الزبير يرافقه بضعة رجال فقط ، فووريَ التراب في مقبرة الحسن البصري غير بعيد عن قبر ذلك الرجل العظيم .

وكان المطر لا يزال ينهمر ، ولكن لم يكن يُرى في المنطقة نخيل .

---

(١) فؤاد طه العبد الجليل : في مقابلة مع المؤلف ، البصرة ١٧ كانون الثاني ١٩٦٧ .
(٢) المصدر نفسه .

الفصل السادس
خاتمة : عرض وتقييم

لتقدير إنجازات بدر شاكر السياب ومعرفة منزلته في الشعر العربي الحديث ، يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار الحالة العامة التي كان عليها الشعر العربي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

ومن المعلوم أن الشعراء الكلاسيكيين الحديثين كانوا قد أرسوا دعائم الأسلوب الكلاسيكي في الثلث الأول من القرن العشرين متوّجين بذلك إنجازات النهضة الأدبية التي شهدها الثلث الأخير من القرن التاسع عشر . وكان يمثلهم أحسن تمثيل الشاعر أحمد شوقي (ت ١٩٣٢) . ولكن جيلا من الشباب يميل إلى الرومنطيقية عموماً عمل على تحدّيهم ولاسيما في فترة ما بين الحربين العالميتين.(١) وعلى الرغم من أن الشعر الكلاسيكي الحديث ظل قوياً بل ازدهر في بعض المناطق ، فإن الشعر الرومنطيقي العربي الحديث كان ينال مزيداً من الاهتمام والعناية سواء جاء هذا الشعر من المهجر أو من الأقطار العربية .

ذلك أن الشكل الكلاسيكي القاسي كان ينحسر أمام تقدّم شكل أكثر مرونة وأفضل مناسبة للتعبير عن الحساسية الشخصية . وكانت الثورة على المفاهيم القديمة للوزن والقافية واللغة تقترن لدى الرومنطيقيين بكراهيتهم للموضوعات التقليدية والصور البالية . ومع هذا كان التراث الكلاسيكي عميق الجذور في الوعي العربي وأقوى من أن تزيله تماماً أساليب جديدة في التعبير . وكان بالإمكان ملاحظة آثار من الكلاسيكية حتى في شعر بعض الرومنطيقيين بنسب من الوضوح والقوة تختلف باختلاف ثقافاتهم وطباعهم وظروفهم الاجتماعية .

---

(١) راجع عيسى يوسف بلاطه : «الرومنطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث» ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٠ .

كان هناك شعراء مثل خليل مطران (ت ١٩٤٩) وإيليا أبو ماضي (ت ١٩٥٧) وعلي محمود طه (ت ١٩٤٩) وأحمد زكي أبو شادي (ت ١٩٥٥) وبشارة الخوري (ت ١٩٦٨) والياس أبو شبكه (ت ١٩٤٧) وغيرهم ممن أتقنوا الشكل الكلاسيكي في لغته الفخمة وتركيبه القوي وكانوا في الوقت نفسه رومنطيقيين بدرجات متفاوتة من الحدّة . وكان هؤلاء الشعراء وأمثالهم يسيطرون على الأربعينات حين بدأ السياب يكتب الشعر . وكان يحبّ منهم علي محمود طه والياس ابو شبكة بصورة خاصة : والأول معروف بقصائده الرومنطيقية المشغوفة بالطواف والمغامرة والألفاظ الرقراقة المتأنقة ؛ والثاني معروف بأناشيده الرقيقة في الحب والطبيعة ، العابقة بتمجيد رومنطيقي للألم . وكان الشاعران كلاهما يغتبطان في وصف اللذات الجسدية : الأول في بحث لغوي عن الشعور المترف الباذخ ، والثاني في تذكر نادم للخطيئة . وكانا كلاهما يعبران عن حزن في الروح عميق ، ناتج عن إحساس بالخيبة والغربة عن المجتمع .

هذا اللون من الشعر كان يروق للسياب ، ولكنه لم يجد ما يماثله في العراق . فالشعر العراقي كان في هذا الوقت يتلكأ وراء القافلة ماجداً في عظمته الكلاسيكية الحديثة التي كان خير من يمثلها معروف الرصافي (ت ١٩٤٥) الذي لم يكن السياب يضمر له الكثير من الاحترام والتقدير .(١) وإذا استُثنيَ شعر محمد مهدي الجواهري ذو النبرة الفائرة والنغمة المائجة بالقوة والحياة ، فإن الشعر الكلاسيكي الحديث كان قد ذهبت ريحه وكاد يصبح غير مناسب للعصر في اهتماماته ، وإن ظلت الجماهير متعلقة به في عناد .

وقد بدأ السياب يكتب الشعر انتقاضاً على هذا الشعر العراقي الكلاسيكي الحديث وتعاطفاً مع التأثيرات الرومنطيقية الواردة عليه من خارج العراق . وفي هذه المحاولة الجبارة لزلزلة قلعة الكلاسيكية الحديثة في العراق ، لم يكن السياب وحيداً . إذ كان هناك شعراء من الشباب مثله قد بدأوا يتحسّسون طريقهم بحياء وحذر إلى القراء بنشر أشعارهم في الصحف العراقية ، وإذا بهم يكسبون الثقة بأنفسهم تدريجاً وينالون شهرة مع السنين ، فيبدأ بعضهم بنشر نتاجه خارج العراق أيضاً . ولم تلبث أن ظهرت مجموعاتهم وبدأت تمارس تأثيرها في الأوساط الأدبية في العراق . ففي ١٩٤٦ ظهرت المجموعة الأولى لبلند الحيدري وهي

---

(١) راجع بدر شاكر السياب : «الشعر العراقي الحديث منذ بداية القرن العشرين» في كتاب «بدر شاكر السياب ، منشورات أضواء ، ص ١٠١ .

«خفقة الطين» . وفي ١٩٤٧ ظهرت المجموعة الأولى لنازك الملائكة وعنوانها «عاشقة الليل»، وتبعتها مجموعة بدر شاكر السياب الأولى وهي «أزهار ذابلة» . هذه المجموعات وما آزرها في ذلك الوقت من شعر رومنطيقي لم ينشر في مجموعات الشعراء مثل أكرم الوتري ، وعبد الوهاب البياتي، وعبد القادر الناصري (ت ١٩٦٢) وحسين مردان ، وشاذل طاقة وغيرهم هزّت أسس الكلاسيكية الحديثة في العراق ، وخلقت بين الجماهير القارئة المتزايدة توقعاً لتغيير في الشعر يساوق التغيير الموجود في لبنان ومصر ، وخلقت ذوقاً لأشكال جديدة ذات موضوعات جديدة .

ولم يكن في هذه الرومنطيقية العراقية التي جاءت متأخرة كثير مما هو جديد . والواقع أن جل نتاجها كان صدى للرومنطيقية السابقة التي ميزت الشعراء العرب الآخرين والتي كانت الآن في دور فتور وضعف وانحدار إلى الفناء أو كانت تتألق فيها لمحات رمزية أحياناً . غير أن ما قدّمه السياب لنجاح هذه الرومنطيقية العراقية كان ذا أثر فعال في شق الطريق أمام مزيد من التقدم للشعر العربي ، ولاسيما في العراق . ومع هذا فإنه كان يتحلى بما يكفي من عمق النظر ليدرك أن الرومنطيقية كانت في طريقها إلى الزوال ، لأن اهتماماتها لم تعد تناسب العصر ، حتى في العراق . فإن عوامل اجتماعية وثقافية في العالم العربي كانت تستدعي نوعاً جديداً من الشعر .

ولم يكن كل رفاق السياب الرومنطيقيين في العراق ذوي حسّ بروح العصر . فعندما نشر أكرم الوتري مجموعته «الوتر الجاحد» سنة ١٩٥٠ كانت كأنها أغنية رومنطيقية واحدة طويلة موضوعها حبّ مستحيل . وعندما نشر حسين مردان في السنة نفسها مجموعته «قصائد عارية» كانت بأجمعها تغييرات على فكرة بودليرية واحدة قوامها وصف الشهوات الجسدية الجامحة على طريقة الياس ابو شبكة الشيطانية . وعلى الرغم من أن مجموعة بلند الحيدري الثانية «أغاني المدينة الميتة» التي نشرت في ١٩٥١ كانت قد تخلّصت من عناصر رومنطيقية كثيرة وتشبّعت بروح وجودية ، فإن مجموعة عبد الوهاب البياتي الأولى «ملائكة وشياطين» التي نشرت في ١٩٥٠ تلكأت على موضوعات رومنطيقية استدام بعضها حتى في مجموعته الثانية «أباريق مهشمة» التي نشرت في ١٩٥٤ كحنينه إلى الطفولة ونفوره من المدينة . وكذلك مجموعة شاذل طاقة الأولى «المساء الأخير» التي نشرت في ١٩٥٠ . فقد كانت عابقة كلها بأجواء رومنطيقية .

لكن هؤلاء الشعراء اشتركوا متفاوتين في صفة واحدة كانت قد ظهرت

في مجموعة نازك الملائكة الثانية «شظايا ورماد» المنشورة في ١٩٤٩ ، ومجموعة بدر شاكر السياب الثانية «أساطير» المنشورة في ١٩٥٠ . أعني بهذه الصفة الواحدة تلك الطريقة الجديدة في نظم الشعر التي كانت ستدعى «الشعر الحر» والتي اعتمدت التفعيلة وحدة وزنيّة لها لا البيت التقليدي المتعدد التفعيلات.

لقد بيّنّا أن أول من كتب الشعر الحر في العراق بدر شاكر السياب ، وأن أول من نشر قصيدة منه نازك الملائكة . (١) وبيّنا أنه قامت محاولات سابقة للكتابة بهذا النوع من الشعر أو ما يشابهه في الأقطار العربية (١) نضيف اليها الآن التجارب الجريئة والاصيلة التي قام بها لويس عوض في مجموعته «بلوتلاند» (٢) التي نشرها في القاهرة في ١٩٤٧ وكان قد كتبها ما بين ١٩٣٨ و ١٩٤٠ بينما كان يدرس في كمبردج . غير أن أية من هذه المحاولات السابقة لم تنل الرواج الذي حظي به الشعر الحر على يد بدر شاكر السياب ونازك الملائكة في العراق ومن ثم في سائر اجزاء الوطن العربي . ولم تخلق أية من هذه التجارب السابقة حركة أدبية كحركة الشعر الحر التي تلت تجارب السياب ونازك الملائكة والتي كانت ستمتد خلال عشر سنوات كالنار في الهشيم أولا في العراق ، ثم في لبنان ومصر وسائر البلاد العربية ، ولاسيما بين أفراد الجيل الناشىء من الشعراء . واكتسبت حركة الشعر الحر غايةً لها واتجاهاً على الرغم من المقاومة التي لقيتها ، وشقت لنفسها بنجاح طريقاً انحسرت أمامها الطرق التقليدية في التعبير الشعري ، مما أثر في جوهر المضمون الشعري نفسه ، بل في مفهوم الشعر ذاته في الثقافة العربية .

ولكن عندما بدأت حركة الشعر الحر في أواخر الأربعينات كانت مجرد ثورة على الأشكال الشعرية البالية التي ورثتها الكلاسيكية الحديثة والتي لم تستطع الرومنطيقية فيما بين الحربين العالميتين تحدّيها بطريقة جذرية جادّة . كانت في بدايتها انتقاضاً على اساوب ، ولذلك فإنها لم تكن معنيّة بالمضمون في الدرجة الأولى .

كان الشعراء العراقيون الرومنطيقيون في الأربعينات قد نجحوا في زلزلة الكلاسيكية العراقية الحديثة ولكنهم لم يسبّبوا انهيارها . كانوا في حاجة إلى جرعة أقوى من التجديد يقدمونها لها . وعرضتْ هذه الجرعة نفسها في شكل الشعر الحر ، فاستعملوه مواصلة لجهودهم ضد الكلاسيكية الحديثة . وقد ظلت

---

(١) راجع مجلة «الآداب» ، بيروت آذار ١٩٦٦ ، ص ٨٩ .

(٢) لويس عوض «بلوتلاند» ، مطبعة الكرنك بالفجالة ، مصر ١٩٤٧ .

مضامين تجاربهم الأولى في الشعر الحر رومنطيقية بصورة رئيسية ، فموضوعها إما الحبّ أو عالم الأحلام . وكان هذا الشعر الحر الرومنطيقي الذي اتشح بمسحات رمزية أحياناً هو الذي طغى في النهاية على الكلاسيكية الحديثة في العراق وجرفها في تياره .

وبينما كان الشعر الحر يكسب لنفسه اعتباراً على أنه طريقة مقبولة في التعبير الشعري ، كان في الوقت ذاته يخلق لنفسه قيماً إيجابية جديدة . فلم يعد همه القضاء على الكلاسيكية وحسب ، بل أصبح همه أن يثبت لنفسه وجوداً مستقلا . وبدأ شكل الشعر الحر يُرى حقاً على أنه جزء من المضمون ذاته . وبينما اكتفى صغار الشعراء بمعالجة الموضوعات العادية في شكل الشعر الحر الجديد ، أدرك كبار الشعراء أن شكل الشعر الحر الجديد ليس مجرد وعاء لموضوعات جديدة تختلف اختلافاً كلياً عن الموضوعات القديمة بل إنه هو التعبير عن هذه الموضوعات الجديدة نفسها كالحرية والحياة الجديدة للأمة العربية . فلم يكن بميسور شاعر حديث في نظرهم أن يكتب عن الحرية إن هو استعمل في كتابته قيود الأساليب التعبيرية القديمة ، ولم يكن بميسور شاعر حديث في نظرهم أن يعبر حقاً عن الآمال العريضة للمجتمع العربي وحياته الجديدة إن هو استعمل طرق النظم والتقفية البالية . ذلك أن الحداثة تعني الثورة ، وأن تكون حديثاً هو أن تكون ثائراً .

إن النجاح المدهش الذي حققته حركة الشعر الحر لا يعود إلى جهود أي شاعر وحده ، وإن كانت جهود السياب في هذا المضمار حاسمة وأصيلة وقوية الأثر . ذلك أن الشعر الحر قد عبّر عن حاجة نفسية في المجتمع العربي ، وإلا لما تمّ قبوله ابداً. وكانت حركة الشعر الحر محظوظة حقاً لا لأنها جاءت في الوقت المناسب وحسب ، بل أيضاً لأن شعراء ممتازين قاموا بتمثيلها . فقد فشلت المحاولات السابقة لإدخال نوع من الشعر الحر إلى الأدب العربي لأنها جاءت في أوقات غير مناسبة ولم يقم بها شعراء من الدرجة الأولى في الحساسية والخلق .

أما عندما بدأ السياب ونازك الملائكة تجاربهما في الشعر الحر ، فإن الأقطار العربية في الشرق الأوسط كانت قد ذاقت الاستقلال مدة ، ولكن مثقفيها كانوا قد بدأوا يرتابون فيما إذا كانوا قد تحرروا حقاً بعد الاستقلال . وكانت البنية التقليدية للمجتمع العربي وسيادة القيم التقليدية فيه لا تتركان لهم كثيراً من الحرية في خلق مجتمع حديث بعد نيل الاستقلال . لقد تحققت بعض مظاهر الحداثة في مختلف نواحي الحياة العربية بدرجات متفاوتة من النجاح . وكانت الرومنطيقية

في الشعر العربي خطوة إلى الأمام في هذا المجال ولاسيما فيما يتعلق بالأساليب والموضوعات ، ولكنها ظلت على العموم هروباً من واقع الحياة العربية . فقد كان العرب في حاجة إلى شعر واقعي وشعر حر : واقعي ليواجه مشكلاتهم العديدة ، وحرّ ليعالجها بطريقة جديدة خلاّقة .

وكانت الطريقة التقليدية القديمة في كتابة الشعر تقترن بالموضوعات القديمة اقتراناً قوياً بحيث إنه كان من الضروري ابتكارطريقة جديدة لينتشل الوعي العربي من خموله الذي قبل الجمود والتقليد مدة قرون . وكانت التجارب الأولى في الشعر الحر رومنطيقية في غالبيتها . لكن ذلك كان مجرد مصادفة وظيفية لأن هذه التجارب قامت أولا في العراق الذي كانت تسيطر عليه الكلاسيكية الحديثة إذ ذاك . وما كادت هذه الرومنطيقية تنجح في العراق وتؤدي وظيفتها في سحق الكلاسيكية الحديثة حتى اقترن الشعر الحر بالواقعية لأنها أقرب إلى طبيعته كما فهمها روّاده الأوائل .

وكانت حرب فلسطين في ١٩٤٨ قد أظهرت عدم صلاحية المجتمع العربي ذي البناء التقليدي على مواجهة التكنولوجية والتنظيم الحديثين ، وذلك بما تمخض عن هذه الحرب من نتائج وخيمة على العرب بتأسيس دولة أجنبية على أرض عربية . وكان تغيير المجتمع العربي تغييراً جذرياً هو غاية الثورات السياسية والاجتماعية التي تلت حرب فلسطين في معظم الأقطار العربية في الشرق الأوسط . وقد أكدت هذه التفجرات السياسية والاجتماعية إرهاصات روّاد الشعر الحر ومؤيديه بين الجماهير القارئة المتزايدة . فقد كان على المجتمع العربي أن يُبنى بناء جديداً إذا أريد له أن يكون حديثاً . وكذلك كان على الشعر العربي أن يُبنى بناء جديداً إذا أريد له أن يعبّر عن هذا المجتمع العربي الجديد وحداثته ، بل إذا أريد له أن يشترك في عملية التجديد الثورية نفسها .

ومن المؤكد أن الشعراء العرب لم يتحجّجوا بهذه الحجج عن وعي . فإن كثيرين منهم كانوا يعلمون بدوافع حدسية من ذواتهم أو وهم يتأثرون الشعراء الغربيين الحديثين أو يقلد بعضهم بعضاً . لكن حركة الشعر الحر عموماً كان لا بد أن تكون ذات معنى للمجتمع الذي خلقها وذات ارتباط بمناخه الفكري إذا أريد لها النجاح . فإذا كان الشعر الحر اليوم جزءاً لا يتجزأ من الأدب العربي الحديث في النصف الثاني من القرن العشرين ، فلأنه يعبّر تعبيراً صادقاً مخلصاً عن قيم مجتمع بدأ يتغير تغيّراً جذرياً .

هذا التفسير الاجتماعي لنجاح حركة الشعر الحر يجب ألا يقلل من قيمة دور

الأفراد من الشعراء في هذا النجاح . ذلك أن اجتماع العبقرية الفردية والظرف المناسبة هو الذي يحدث دائماً نجاح الحركات الكبرى في التاريخ . فالظروف تخلق الحاجة للعمل الخلاّق ، والفرد يستجيب للظروف بما يخلق .

ويقف بدر شاكر السيّاب في هذا المجال رائداً عظيماً للتجديد في الشعر العربي ، فإن استجابته للظروف الأدبية في عصره كانت أصيلة وخلاّقة : أصيلة لأن تطويره الناجح لما عرف بالشعر الحر من المفاهيم العروضية التقليدية كان لا سابقة له في الأدب العربي ، وخلاّقة لأنه فتح آفاقاً لا نهاية لها للمزيد من التطوير . فقد حرّرت استجابة السياب الشاعر العربي من الخضوع المؤبد لمفهوم الخليل بن أحمد للعروض ونظم الشعر ، ومنحته الحرية ليثبت شاعريته واستحقاقه إن كان لديه ما يثبته من شاعرية واستحقاق دون الاختباء وراء التقاليد والاحتماء وراء الأساليب الموروثة .

لقد كان هناك آخرون في تاريخ الأدب العربي الطويل ممن حاول أن يحطم قواعد العروض أو يدخل عليها تعديلا أو توليداً مثل أبي العتاهية (ت ٨٢٨) ، وشعراء الموشحات الاندلسيين وغيرهم ، وحتى البارودي (ت ١٩٠٤) وشوقي (ت ١٩٣٢) من الشعراء الكلاسيكيين الحديثين ،(١) ومن تبعهم من رومنطيقيين ، ولكنهم لم يتخلّوا عن المفهوم الأساسي للبيت المتعدد التفعيلات واعتباره الوحدة الوزنية في النظم . (٢) وعلى الرغم من هذه المحاولات بقي الشعر العربي قبل حركة الشعر الحر يخضع بصورة عامة لقواعد الخليل بن أحمد . فقد التزمتْ بهذه القواعد قصائد فترة ما بين الحربين العالميتين التي نوعت القوافي واتخذت الأوزان

---

(١) اخترع البارودي وزناً أجزاؤه (فاعلن فعل) مرتين للبيت الواحد ، ومنه القصيدة التي يقول فيها :

ليس من أسا　　مثل من جرح

وجاراه أحمد شوقي في قصيدته التي يقول فيها :

مال واحتجب　　وادعى الغضب
ليت هاجري　　يشرح السبب

(٢) يبدو أن «البند» وحده قد تخلى عن هذا المفهوم . ولكنه ظل لوناً من النظم نادراً ومغموراً ومحصوراً في العراق في العهد العثماني من عصر الانحطاط الأدبي . ولم يعرف في العصر الحديث أو يكتشف الا بعد بضعة أعوام من بداية حركة الشعر الحر . راجع بحثاً بعنوان «البند ومكانه من العروض العربي» ، في كتاب نازك الملائكة «قضايا الشعر المعاصر» ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٦٧ — ١٧٩ .

الخفيفة والقصيرة . وكذلك التزمتْ بها محاولات جميل صدقي الزهاوي (ت ١٩٣٦) وعبد الرحمن شكري (ت ١٩٥٨) وغيرهما ممن كتب الشعر المرسل أي غير المقفى . فإن الوحدة الوزنيّة في هذه المحاولات ظلت البيت المؤلف من عدد ملتزم به من التفاعيل ، ولكل تفعيلة صور أخرى مقبولة هي الزحافات والعلل ، وذلك ضمن البحور الستة عشر وما يلحقها من تغييرات في أعاريضها وأضربها .

وكان بضعة شعراء قبل السياب قد جرّبوا كتابة شعر اتخذ التفعيلة وحدة وزنية ، ولكنهم لم يتابعوا تجاربهم ولم يتابعهم عليها أحد. وقد بدأ السياب تجاربه مستقلا عنهم ولم يعرف بتجاربهم إلا فيما بعد . وكانت أول تجربة له قصيدة «هل كان حباً ؟» التي كتبها في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٦ . (١) وكذلك بدأت نازك الملائكة تجاربها مستقلة عنهم غير عالمة بتجاربهم في قصيدة «الكوليرا» التي كتبتها في ٢٧ تشرين الأول ١٩٤٧ . وفي ١٩٤٨ كتب السياب عشر قصائد من الشعر الحر (٢) وفي ١٩٤٩ نشرت نازك الملائكة مجموعتها «شظايا ورماد» وفيها قصائد كثيرة من الشعر الحر . وفي مقدّمتها لهذه المجموعة حاولت أن تبرر الشعر الحر . فقالت إن الشعراء كثيراً ما يعمدون إلى الحشو والتكرار لكي تناسب كلماتهم الوزن التقليدي وإن هذه العملية تقطع عليهم تدفق الأفكار والعواطف ، بل تحوّلهم عن غرضهم الأصلي أو المعنى الذي بدأوا يقولون فيه الشعر . وقالت إن الشاعر إذا اقتصر في البيت الواحد على استعمال العدد الذي يحتاجه معناه من التفاعيل فإن هذه الحرية تساعده على أن يكون صادقاً في شعره .(٣)

وبدأ عدد من الشعراء الشباب في العراق يحذو حذو السياب والملائكة . فأثرى كل منهم حركة الشعر الحر بما له من مواهب ونظرات عميقة ، وهكذا استطاعت هذه الحركة أن تتغلب على المعارضة بنجاح ، وإن كان كثير من الشعر الغثّ قد كتب أيضاً مدّعياً أنه شعر حر .

---

(١) «أزهار ذابلة» ، ص ٦٨ – ٧٢ . وأعيد طبعها مع حذف وتغييرات في «أزهار وأساطير» ، ص ١٣٩ – ١٤١ .

(٢) راجع مجموعة السياب «أساطير» (النجف ١٩٥٠) القصائد التالية : «سوف أمضي» ، «أساطير» ، « سراب» ، «اللقاء الأخير» ، «اتبعيني» ، «نهاية» ، «في القرية الظلماء» ، «أغنية قديمة» ، «في ليالي الخريف» ، و « في السوق القديم» . وكان قد نشر بعضها في صحف بغداد والنجف . وقد أعيد طبعها في مجموعة «أزهار وأساطير» (بيروت ١٩٦٣) .

(٣) نازك الملائكة : مقدمة «شظايا ورماد» ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٥٩ ، ص ٧ – ١٨ .

وقد أكد السياب أن حركة الشعر الحر أكثر من مجرد إصلاح عروضي . وفي مقدمته لمجموعته «أساطير» لفت الانتباه إلى بعض ما فيها من تكنيك عدا التجديد العروضي . فذكر تسلسل المعنى من بيت إلى آخر مما يستوجب مراعاة الترقيم ، وذكر أيضاً تنادي المعاني وتداعي الأفكار فيها ومزج الوعي باللاوعي ، وتلوين الأمل بالذكرى . (١) وفي ١٩٥٤ كتب يقول : «إن الشعر الحر أكثر من اختلاف عدد التفعيلات المتشابهة بين بيت وآخر . إنه بناء فني جديد ، واتجاه واقعي جديد جاء ليسحق الميوعة الرومانتيكية وأدب الأبراج العاجية وجمود الكلاسية ، كما جاء ليسحق الشعر الخطابي الذي اعتاد الشعراء السياسيون والاجتماعيون الكتابة به .» (٢)

وبعد أن أخذ كثيرون من الشعراء الشباب يكتبون الشعر الحر بضحالة وسطحية سأل خضر الولي السياب فيما سأله عن الثورة الأدبية التي خلقتها حركة الشعر الحر فأجاب السياب : « لا بد لكل ثورة ناضجة من أن تبدأ بالمضمون قبل الشكل . فالشكل تابع يخدم المضمون . والجوهر الجديد هو الذي يبحث له عن شكل جديد ويحطم الإطار القديم كما تحطم البذرة النامية قشورها . ويؤسفني أن أقول إن التجديد الهائل الذي تناول الشكل لا يتناسب مع التجديد الضئيل الذي تناول المضمون . ويقودنا هذا إلى الاعتراف بأن ثورة الشعراء الشباب على الشكل – على القوافي والأوزان – ثورة سطحية ، وأنها إذا بقيت على ما هي عليه ، ستعود على الشعر العربي بأبلغ الضرر.» (٣)

وفيما كانت حركة الشعر الحر تفتش لنفسها عن أساس جمالي لكيانها ، كانت بالتدريج تكتسب لذاتها اتجاهاً وغرضاً . وكان السياب على وعي بخطر انحراف الحركة إلى مجرد تجديد في العروض أو تجديد في الشكل . فإذا كانت قد بدأت هكذا فإن تطورها أظهر أنها قادرة على إدخال تغيير في المضمون . وان تغيير المضمون في الواقع هو من طبيعتها الأصلية إن فهمت فهماً صحيحاً . وقد أدرك السياب هذه الحقيقة في بواكير الحركة واستعملها ليدخل حياة جديدة إلى الشعر العربي . وذلك أن الشاعر يجب ألا يكون مجرد ناظم ولو كان ما ينظمه شعراً حراً في شكله . فالشاعر يجب أن يكون نبياً ، ذا رؤيا .

وفي ١٩٥٧ قال السياب : «لو أردت أن أتمثل الشاعر الحديث ، لما وجدت

---

(١) بدر شاكر السياب : مقدمة «أساطير» ، النجف ١٩٥٠ ، ص ٥ – ٨ .
(٢) مجلة «الآداب» : بيروت ، حزيران ١٩٥٤ ، ص ٦٩ .
(٣) خضر الولي : «آراء في الشعر والقصة» ، بغداد ١٩٥٦ ، ص ١٢ .

أقرب إلى صورته من الصورة التي انطبعت في ذهني للقديس يوحنا ، وقد افترست عينيه رؤياه ، وهو يبصر الخطايا السبع تطبق على العالم كأنها أخطبوط هائل .» (١) ثم مضى يقول إن واجب الشاعر أن يفسر العالم ويحسّنه ، وأضاف : «إننا نعيش في عالم قاتم ، كأنه الكابوس المرعب . وإذا كان الشعر انعكاساً عن الحياة فلا بد له أن يكون قاتماً مرعباً لأنه يكشف للروح أذرع الأخطبوط الهائل من الخطايا السبع الذي يطبق عليها ويوشك أن يخنقها . ولكن ما دامت الحياة مستمرة ، فإن الأمل في الخلاص باقٍ مع الحياة . إنه الأمل في أن تستيقظ الروح . وهذا ما يحاوله الشعر الحديث.» (٢)

وكان السياب قد عبّر عن فكرته هذه بكلمات أكثر واقعية في ١٩٥٦ عندما قال إن موضوع كل أدب جيد هو الصراع الأبدي بين الإنسان وقوى الشر ، واعتبر الاستعمار والظلم الاجتماعي أسوأ قوى للشر في العصر الحديث (٣) وقال :

«... إن الأديب حين يصوّر هذا الصراع لا يقف منه موقف المتفرج المحايد — لأنه إنسان قبل كل شيء — فالقضية إذن قضيته والمعركة معركته . وهكذا كان الأدب ، وما يزال ، سلاحاً من أسلحة الإنسان التي شقّ ويشقّ بها طريقه نحو حياة أفضل .» (٤)

وإذا نظرنا إلى شعر السياب بأكمله كمجموعة واحدة فإنه يتبيّن أن القسم الأكبر منه كان يشغله هذا الصراع بين الانسان والشر . وسواء في فترته الشيوعية الباكرة (١٩٤٤ — ١٩٥٤) أو في فترته غير الشيوعية ، فإنه كان يكتب قصائد تشيد ببطولة الذين يجاهدون في سبيل الحرية والعدل والسلام ، وتشجب أعمال الذين يسببون الشقاء للملايين بالحرب والاستعمار والاستغلال والطغيان والظلم . ربما تحوّلت مواضيع اهتمامه من التركيز على أمر إلى التركيز على آخر تبعاً للظروف وربما مرّت حماسته بلحظات من الضعف يمرّ بها كل البشر في مواجهة الشدائد ، ولكنّ ايمانه بحق قضيته وجدارتها لم يفتر قط . وعلى الرغم من أن السياب وقف نفسه على قضيته هذه ونال من أجلها الملاحقة والتشريد والسجن ، فإن شعره انشغل بمواضيع أخرى ذات صبغة شخصية مثل تجربة الحب ومسرّاته القليلة

---

(١) مجلة «شعر» ، العدد ٣ ، صيف ١٩٥٧ ، ص ١١١ .
(٢) المصدر نفسه ، ، ص ١١٢ .
(٣) مجلة «الآداب» ، بيروت ، تشرين الأول ١٩٥٦ ، ص ٢٢ — ٢٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

وفشله الذريع ، وتجربة المرض العضال المهدد بالموت ، وإذلاله الأليم ، وآماله الكاذبة ، ويأسه المأساوي . لذلك فإن وظيفة الشعر لم تكن فقط إيقاظ الروح وكشف الخطايا السبع التي تطبق عليها ، ومهمة الأدب ليست فقط الالتزام بالصراع الأبدي بين الإنسان وقوى الشر — وإن ظنّ السياب ذلك . فإن إنتاجه الشعري يدل على أن الشعر لديه كان أيضاً إسقاطاً للذات وتصويراً يُخرج من داخلها تجربة الحياة نفسها ، وتجسيداً كلامياً لأعماق الروح وأغوارها السحيقة بالنسبة لسرّ الوجود . وإذا كان السياب قد وقف كثيراً عند مواضيع المأساة والتضحية والاستشهاد والموت ، فلأن الحياة لم ترأف به على الصعيد الشخصي . ومن ناحية أخرى ، فإن الفترة الحرجة التي كان يمرّ بها العالم العربي سياسياً واجتماعيا ووجودياً ، والأزمة النفسية التي كان يعانيها الشعب العربي وهو ممزق بين إيديولوجيات متصارعة وذرائع متناقضة — كل ذلك كان له أكبر الأثر في تحديد رؤياه الشعرية . وقد رفض السياب أن يكون على الهامش من الأمور ، وقذف نفسه بقوة في الدوامة بينما كانت الأمة العربية خلال حياته تمرّ بأصعب الامتحانات ، وتعاني أشد تجارب القلق وتقرير المصير . فيجب أن يُحسب له أنه على الرغم من حياة لم ترأف به فإنه ظل ينشد أناشيد الأمل والخلاص لإخوته في العالم العربي الذين لم تكن الحياة لترأف بوطنهم أيضاً . وكانت غايته أن يتخطى الحاضر برؤيا المستقبل ، وأن يتحمل آلام المخاض متوقعاً ولادة جديدة ، وأن يذوق الموت بإيمان وطيد في الانبعاث والحياة الفضلى .

كانت كتابة الشعر بالنسبة له تعني اتخاذ موقف والتزام الذات به في مواجهة العالم وطبيعته وتطوره . كانت كتابة الشعر محاولة لتفسير العالم وتحسينه — ولكن كما تراه الذات حرّة في صفاء التجربة الشخصية وصميميتها .

وكان منذ وقت مبكر وحتى حين كان شيوعياً قد قال في ١٩٥٠ في مقدمة « أساطير » : «أنا من المؤمنين بأن على الفنان ديناً يجب أن يؤديه لهذا المجتمع البائس الذي يعيش فيه . ولكنني لا أرتضي أن نجعل الفنان — وبخاصة الشاعر — عبداً لهذه النظرية . والشاعر إذا كان صادقاً في التعبير عن الحياة في كل نواحيها ، فلا بد من أن يعبر عن آلام المجتمع وآماله ، دون أن يدفعه أحد إلى هذا. كما أنه من الناحية الأخرى يعبر عن آلامه هو وأحاسيسه الخاصة التي هي في أعمق أغوارها أحاسيس الأكثرية من أفراد هذا المجتمع .» (١) ولعل

---

(١) بدر شاكر السياب : «أساطير» ، النجف ١٩٥٠ ، ص ٨ .

هذا الشعور بالحرية والالتزام الذاتي ترعاه وتنميه حالة العالم العربي المضطرب هو الذي دفع السياب إلى التفتيش عن تعبير شعري جديد .

كان السياب جيد الاطلاع على الشعر العربي الكلاسيكي وكان بصورة خاصة معجباً بأبي تمام (ت ٨٤٥) . ولذلك فإن أثر هذا الميل الكلاسيكي في شعره لا يغيب ، وإن كان أقوى في بواكير حياته الأدبية منه في خواتيمها . وهو يظهر بطرق شتّى ولاسيما في لغته ، وعنايته بالرنين ، واهتمامه بالإيقاع العالي ، وإكثاره من التشابه ، وميله إلى الإسهاب والانديباح ، ونزوعه إلى النغمة الخطابية وإلى الغنائية . وكانت هذه الصفات تعمل ضد حداثة السياب بينما كان شعراء الطليعة الذين أخذوا عنه قد مضوا إلى أساليب أكثر حذقاً في الشكل والبناء واللغة . ولا أعني بذلك أنه لم يكن حديثاً ، ولكني أؤكد أنه كان اول الحديثين . ولذلك فإنه بما له من مزاج وثقافة لم يستطع أن يلقي تراث الماضي جانباً بأجمعه . وكان قد تأثر أولا بشعراء الرومنطيقية الإنكليز ولاسيما كيتس ، ثم بالشعراء الحديثين الإنكليز ولاسيما ت. س . إليوت وإديث ستويل ، وحاول السياب صادقاً أن يكون حديثاً بكل ما لديه من كلاسيكية عربية وحياة قروية عراقية . وعندما قال عنه أنسي الحاج إنه : «جاهلي بدوي فولكلوري خرافي أنكلوسكسوني على واقعي هجّاء رثّاء مدّاح بكّاء ، يسيل به الشعر سيل قريحة فارطة ويسيل معه الشعر حتى الموت» (١) فإنه فضلا عن المبالغة الساخرة كان يحاول أن يلخص حياة السياب وعمله والعوامل المؤثرة فيه . فقد أحسن السياب استغلال إمكانياته واستعداداته ليحدث تغييراً جذرياً في مفهوم الشعر لدى العرب ويمهد الطريق أمام شعر عربي حديث حقاً معبّر عن الحياة الحديثة شكلا ومضموناً ، بتقديم تصوّر جديد للحياة على ضوء الثورة العالمية الحديثة في الفكر والتكنولوجية والاجتماع بدون أن يُعرض كليةً عن التراث العربي . وقد يسر للشعراء أن يتخطوا القيم التقليدية التي توحي بالثبات والجمود فيما تلقوه من تراث أدبي وثقافي كلي يخلق شعراً يناسب اللحظة الحضارية التي يحيونها . إن السياب لم يكن مجرد مبشّر بقدوم شعر جديد ، فقد كان رائداً تجرأ على اقتحام أقاليم مجهولة سوّى أرضها التي يطأها الآخرون ويبنون عليها منازل حياة جديدة .

وفي مجموعاته السبع المنشورة (٢) التي أعيد طبع بعضها مع تغييرات ، ترك لنا السياب قدراً كبيراً من القصائد التي كتبها في حياته القصيرة (١٩٢٦ — ١٩٦٤).

---

(١) ملحق «النهار» : بيروت ، ٧ شباط ١٩٦٥ ، ص ١٩ .
(٢) راجع المصادر في آخر الكتاب .

أما شعره غير المنشور الذي رأيته في البصرة مخطوطاً لدى شقيق زوجته فؤاد طه العبد الجليل فيعود إلى فترته الأولى من ١٩٤١ و ١٩٤٢ و ١٩٤٤ وربما ١٩٥١ مع بعض القصائد من ١٩٦٣، (١) ولكن لا يكاد يوجد بينها ما يضيف إلى قامة السياب . أما شعره السياسي والاجتماعي الذي جمعه في ١٩٥٠ لينشر في مجموعة «زئير العاصفة» فيبدو أنه ضاع ولا أمل من الوقوع عليه شأنه شأن القسم الأكبر من قصيدة «بين الروح والجسد» الطويلة التي كتبها في ١٩٤٤ . ويخيل لي أن قيمة هذا الشعر الضائع تاريخية في الغالب أكثر مما هي أدبية ، لأن عطاء السياب الأدبي الأعظم قيمة كان قد بدأ في الخمسينات . ولهذا فإن من المعقول أن يقيم المرء حكمه على السياب بناء على شعره المنشور ، وان يأمل أن يُنشر شعره غير المنشور قريباً .

وليس شعر السياب على مستوى واحد من الجودة الفنية . والواقع أن هناك قصائد في مجموعاته المنشورة لو أتيح له أن ينقّحها أو أن يحذف منها لفعل . فالتنقيح أو الحذف الذي لحق قصائده الباكرة التي أعاد نشرها في «أزهار وأساطير» أو في «أنشودة المطر» يشير إلى هذه الإمكانية حتى في الحالات التي لم يكن فيها التنقيح أو الحذف ناشئاً عن الإخطاء المطبعية وغيرها أو عن تبدّل مواقف الشاعر السياسية والعقائدية . فهو في تنقيحاته يحسّن لغته عادة باختيار ألفاظ أدقّ وأنسب ، ويحسّن صوره بانتقاء صور أكثر حيوية وأقل سذاجة . أما في حذفه فهو يحاول أن يحقق إيجازاً واقتصاداً في التعبير ، وأن يخلّص قصائده في طبعاتها الجديدة من كثير من الحشو والإسهاب .

وقد يكفي مثل أو اثنان للتدليل على ذلك . ففي قصيدة «ديوان شعر» التي يتحدث فيها عن ديوان شعره العائد من مخادع العذارى يقول السياب :

... ... وتحومُ في جنباتِهِ القُبَلُ (٢)

أما في الطبعة اللاحقة فيقول :

... ... وترِفّ في جنباتِهِ القُبَلُ (٣)

ويبدو لي أن الشفاه وهي تعاود التقبيل مرةً تلو أخرى يعبّر عنها فعل «ترفّ» أفضل مما يعبّر عنها فعل «تحوم» لما في الفعل الأول من إيحاء بحركة الشفتين في حالة التقبيل .

---

(١) راجع المصادر في آخر الكتاب .

(٢) «أزهار ذابلة» ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٥ .

(٣) «أزهار وأساطير» ، بيروت (١٩٦٣) ، ص ١٤٨ .

وفي قصيدته «أقداح وأحلام» يقول السياب في وصف حسناء :

غرست يدُ الحمّى على فمها زهراً طوى شهواتها طيّا
إن فتّحته بحرّها شفة سكرى يعربد فوقها ندبُ
رقصَ اللهيبُ على كمائمه ومشى الطلاء يهزّه الوثبُ (١)

أما في الطبعة اللاحقة فيقول :

غرست يدُ الحمّى على فمها زهراً بلا شجر – فلا سقيا
إن فتّحته بحرّها شفة ظمأى يعربد فوقها ندْبُ
رقصَ اللهيبُ على كمائمه ومشى الطلاء يهزّه الوثبُ (٢)

إن التنقيح هنا يكاد يأتي بقصيدة جديدة . فلقاء الشفاه الظمأى بالشفاه المتلهفة إلى السقيا يجعل صورة القبلة تشتعل بلهيب الشوق والشهوة .

أما عمليات الحذف فقد كانت أحياناً جارفة كما في قصيدة «أهواء» التي قصّرها السياب من مئة واثنين وتسعين بيتاً إلى مئة واثني عشر بيتاً . (٣) ولكن الحذف بوجه عام لم يكن يتناول أكثر من بضعة أبيات : فقد حذف السياب ثلاثة وعشرين بيتاً من قصيدة «أغنية في شهر آب» (٤) وخمسة أبيات من قصيدة «من رؤيا فوكاي» (٥) وأربعة أبيات من «قافلة الضياع ». (٦) وكانت قصيدته «هل كان حباً ؟» وهي أول ما كتب من الشعر الحر تتألف من ستة وخمسين بيتاً في الأصل ، ولكنها لا تزيد على ثمانية وعشرين بيتاً في طبعتها الثانية . (٧)

إن هذه التنقيحات وعمليات الحذف تظهر أن السياب كان يصبو إلى الكمال باستمرار ، ولكنها تظهر أيضاً انه كان يسارع إلى النشر بكثير من العجلة مما

---

(١) «أزهار ذابلة» ، ص ٥٤ . وانظر صفحة التصويبات .
(٢) «أزهار وأساطير» ، ص ١١ .
(٣) قارن «أزهار ذابلة» ، ص ٨٢ – ٩٩ ، و «أزهار وأساطير» ، ص ١٧–٢٨ .
(٤) «أنشودة المطر» ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٢٢–٢٦ ، قارنها بالقصيدة المنشورة في مجلة «الآداب» ، بيروت ، أيار ١٩٥٦ .
(٥) «أنشودة المطر» ، ص ٤٦–٥٦ ، قارنها بالقصيدة المنشورة في مجلة «الآداب» ، بيروت ، كانون الثاني ١٩٥٥ .
(٦) «أنشودة المطر» ، ص ٥٩–٦٥ ، قارنها بالقصيدة المنشورة في مجلة «الآداب» ، بيروت ، تموز ١٩٥٦ .
(٧) «أزهار ذابلة» : ص ٦٨–٧٢ ، و «أزهار وأساطير» : ص ١٣٩–١٤١ .

جعله في بعض الأحيان سطحياً ضحلا ، ولاسيما في مطلع حياته الأدبية وكذلك في أواخر حياته عندما كان مريضاً . وصحيح أن هناك في بعض ما رأيت من مخطوطاته الأولى غير المنشورة أبياتاً لا تمكن قراءتها لكثرة ما دخلها من شطب وتنقيح ، ولكنها قليلة إذا ما قيست بغزارة إنتاجه . وقد نُشرت صورتان لقصيدتين بخط يده تعودان إلى ١٩٦٣ (١) . وهما تظهران تنقيحاً قليلا جداً يوحي بإعادة سبك العبارة حتى قبل أن تتمّ كتابة الجملة بأكملها .

إن هذا يمكن أن يعطينا فكرة عن طريقة السياب في العمل الشعري ويوحي على وجه الإجمال بأنه كان يعتمد على فيض الأفكار والعواطف عند الاستعداد لكتابة الشعر . لم يكن السياب ذلك الشاعر المتدبّر الواعي للبناء والتصميم ، ولكنه كان الشاعر المندفع المعتمد عادة على الموهبة والعبقرية اللتين كان لديه منهما الكثير لحسن الحظ . وقد ناسب الشعر الحر طريقته في الكتابة مناسبة حسنة لما له من خاصة التدفق ولكنه كان يحمله أحياناً على كتابة قصيدة طويلة معقدة تجري في عدة أبيات ، كما في قصيدة «شناشيل ابنة الجلبي» (٢) ، وقصيدة «حفار القبور» (٣) وقصائد كثيرة أخرى ، أو كان يظل يتدفق به إلى ما لا نهاية تقريباً ، فيحمله على أن يكتب أكثر مما كانت فكرة القصيدة تستدعي ، كما في قصائد كثيرة ذات طول واضح .

بيد أن هذا لا يعني أن قصائد السياب كانت مسطحة لا شكل لها ، ولكنه يعني فقط أن التصميم الفني لم يكن أقوى ميزاته . ففي ديوانيه الأولين «أزهار ذابلة» (١٩٤٧) و «أساطير» (١٩٥٠) ، تبدو قصائده معتمدة على مجرد فيض الأفكار بالتداعي النفسي . ولكنه بينما كان في قصائد الديوان الأول ذات العروض التقليدي يضطر أن يبقى ضمن حدود معينة تقيمها له الأبيات الرتيبة المقفاة أو المقطوعات المتساوية المتكررة ، فإنه في قصائد الديوان الثاني ومعظمها من الشعر الحر كانت أفكاره تتدفق باستمرار إلى أن تستنفد طاقتها إذ لم يكن لديه ما يوقفها إلا حدود الموضوع الذي يعالجه الشاعر . أما في مجموعاته الشعرية التالية فقد حاول السياب أن يعطي قصائده إطاراً ، وقد رأى فيها الناقد العراقي

---

(١) بدر شاكر السياب» ، منشورات أضواء ، ص ٥٧–٥٩ .

(٢) «شناشيل ابنة الجلبي» ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٥ .

(٣) «حفار القبور» في «أنشودة المطر» ، ص ٢٣١ .

عبد الجبار داود البصري أربعة أنواع من التصميم الفني : (١)

١ — ما دعاه «التصميم الحواري» كما في قصيدة «يوم الطغاة الأخير» ، («أنشودة المطر» ، ص ٦٦ — ٦٨) .

٢ — ما دعاه «التصميم الرمزي» كما في قصيدة «في المغرب العربي»، («أنشودة المطر» ، ص ٨٢ — ٨٩) .

٣ — ما دعاه «تصميم التناظر» كما في قصيدة «العودة لجيكور» ، («أنشودة المطر» ، ص ١٠٨ — ١١٥) وغيرها .

٤ — ما دعاه «التصميم الموحي» كما في قصيدة «أنشودة المطر» ، («أنشودة المطر» ، ص ١٦٠ — ١٦٧) وغيرها .

إن هذه الاصطلاحات النقدية المبتكرة ومثيلاتها غير قادرة على أن تكون لائقة لأنها لا تستطيع أن تحيط بفن السياب في محاولتها تحليل تصميمه الشعري أو وصف هذا التصميم . ويبدو لي أن لكل واحدة من قصائد السياب منطقها التركيبيّ الداخلي الذي عليه تقوم ، وان السياب لم يسمح لنفسه بأن يقع في قوالب جاهزة من نماذج البناء الفني والتصميم .

ومع هذا ، فإذا كانت هناك ميزة واحدة تنسحب على كل شعره تقريباً فهي اعتماده على الصورة للتعبير عن فكره وعاطفته . إن الصورة تليها الصورة تنشيء في ذهن المتلقي إطاراً لما يريد الشاعر أن يقوله في أغلب قصائده . وقد لاءم أسلوب «المونتاج» هذا فيض الأفكار المشار اليه الذي اعتمد عليه السياب في كتابته . ولكنه كان يمكن أن يكون ضاراً بغرضه ضرر الشعر الحر به لأنه كان يمكن أن يتدفق إلى ما لا نهاية تقريباً، فيصبح ركاماً من الصور المتراكمة التي قد تخنق الفكرة أو العاطفة . ولهذا فإن تناظراً أساسياً في فكرة القصيدة وفي التوتر الذي تنطوي عليه كان يحفظ صوره من أن تنداح في كل الجهات ويساعد على ضبط فيض الأفكار بدرجات متباينة من النجاح . غير أنه عندما توصل السياب إلى الأسطورة كوسيلة لاحتواء صوره وتطويعها في وحدة شاملة فإنه بذلك حقق الإطار الأنسب لشعره الملائم لموهبته والموافق لعبقريته .

إن صور السياب تتألف من التشبيهات والاستعارات والتمثيلات والإشارات

---

(١) «دراسات في إيقاع الشعر» ، في مجلة «الكتاب» ، بغداد ، العدد ١ ، نيسان ١٩٦٢ . انظر ايضاً كتابه «بدر شاكر السياب ، رائد الشعر الحر» ، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٣٠ — ٣٣ .

الأدبية والرموز . وهي تتألف أيضاً من انطباعات حيوية قصيرة مرتبة بتسلسل حاذق يترك أثراً في الذهن . انظر إلى هذه المجموعة التالية من الصور في قصيدته «في السوق القديم» (١) التي قلّدها كثيرون من معاصريه :

الليل ، والسوق القديم
خفتت به الأصوات إلا غمغمات العابرين
وخطى الغريب وما تبثّ الريح من نغم حزين
في ذلك الليل البهيم .
الليل ، والسوق القديم ، وغمغمات العابرين ،
والنور تعصره المصابيح الحزانى في شحوب ،
— مثل الضباب على الطريق —
من كل حانوت عتيق ،
بين الوجوه الشاحبات ، كأنه نغم يذوب
في ذلك السوق القديم .

إن ما يعطي هذه المقطوعة قوتها الإيحائية ليس تشبيهاتها أو استعاراتها ، بل نظم هذه التشبيهات والاستعارات في نسيج الانطباعات الصورية . وقد كرر السياب استعمال هذه الطريقة الفنية في كثير من قصائد ديوانه «أساطير» . وبقيت معه في مجموعاته اللاحقة أيضاً ولكنها أصبحت أحذق وأكثر تعقيداً . انظر إلى المشهد الافتتاحي من قصيدته الطويلة «حفار القبور : (٢) »

ضوء الأصيل يغيم ، كالحلم الكئيب ، على القبور
واه كما ابتسم اليتامى أو كما بهتتْ شموعْ
في غيهب الذكرى يهوّم ظلّهنّ على دموعْ
والمدرجُ النائي تهبّ عليه أسراب الطيورِ
كالعاصفات السود ، كالأشباح في بيتٍ قديمْ
برزت لترعب ساكنيه
من غرفة ظلماء فيه .
وتثاءبَ الطلَلُ البعيد ، يُحدّق الليل البهيمْ
من بابه الأعمى ومن شباكه الخربِ البليدِ .

---

(١) «أساطير» ، النجف ١٩٥٠ ، ص ١١ ، وأعيد طبعها في «أزهار وأساطير» ، بيروت (١٩٦٣) ، ص ٢٩ .
(٢) «أنشودة المطر» ، ص ٢٣١ .

والجوّ يملأه النعيبْ ...
فتردد الصحراء في يأس وإعوالٍ رتيبْ
أصداءه المتلاشياتْ .
والريح تذروهنّ في سأمٍ على التل البعيدْ .

إن التفاصيل التي اجتمعت هنا لتؤلف الصورة قد اختيرت بدقة أكبر من ذي قبل ، وهي جميعاً تساعد على الإضافة إلى جوّ الصورة وقدرتها الإيحائية . ولكن يحدث أحياناً أن يلحق واحداً من هذه التفاصيل نموّ لا يتناسب مع أهميته في الصورة ككل ، وذلك حيث يذهب السياب مواربا فيتوسع في تشبيه ما أو استعارة توسعاً لا يسيغه المقام . ويصحّ هذا القول فيه على وجه أكبر في حياته الأدبية المتأخرة حيث يميل السياب إلى إطالة الاستعارة حتى بصفة اعتراضية على حساب القصيدة كلها كما في «مرحى غيلان» (١) و «شناشيل ابنة الجلبي» (٢) و «أحبيني» (٣) وغيرها . ويكفي مثل واحد في هذا المجال . ففي قصيدة «شناشيل ابنة الجلبي» يصف السياب يوماً ماطراً من أيام طفولته فيقول :

وتحت النخل حيث تظل تمطر كل ما سعفه
تراقصتِ الفقائعُ وهي تفْجَرُ — إنه الرُطَبُ
تساقطَ في يد العذراء وهي تهزّ في لهفه
بجذع النخلةِ الفرعاء (تاج وليدكِ الأنوارُ لا الذهبُ ،
سيصلب منه حبّ الآخرين ، سيُبرىء الأعمى
ويبعث من قرار القبر ميتاً هدّه التعبُ
من السفَر الطويل إلى ظلام الموت ، يكسو عظمَهُ اللحما
ويوقد قلبَه الثلجي فهو بحبّهِ يثب)
وأبرقت السماء ...

إن صورة فقاقيع المطر وهي تتراقص وتنفجر تحت النخيل أوحت اليه بصورة مريم القرآنية وهي تهزّ بجذع النخلة لتساقط عليها الرطب عند ميلاد المسيح . واقتران الصورتين لائق ، فالمطر مصدر حياة للأرض وكذلك الرطب المتساقط على مريم في عزلتها . لكن السياب استطرد إلى تلك الفكرة الاعتراضية التي وضعها بين قوسين وأشار فيها إلى المسيح . وصحيح أن هذه الإشارة تؤكد

---

(١) «أنشودة المطر» ، ص ٢٠ .
(٢) «شناشيل ابنة الجلبي» ، ص ٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦١ — ٦٢ .

فكرةَ الحياة وصفات المسيح المانحة للحياة والمحبة التي يحتاج اليها العالم . لكن هذه الاشارة بما اتصفت به من طول ومن تدخل غير ضروري جعلت الصورة الجميلة السابقة مهزوزة وأدخلت اليها عنصر إطناب وامتداد حيث كان الإيجاز أليق على ما يبدو لي .

إن السياب يستمد صوره بحساسية من ألوف الأشياء التي تدركها الحواس أو القوة العاقلة . وهي غالباً صور أصيلة في جدّتها واستعمالاتها التمثيلية أو الرمزية ، وتحفظ لشعر السياب حيويته ببساطتها الأخّاذة حيناً وقدرتها على صدم القارىء ومفاجأته حيناً آخر ، وبتدفقها المتواصل في كل الأحوال . وتستطيع هذه الصور أن تكون عنصر تبرير وخلاص في شعر السياب الضعيف التصميم أحياناً إذ تجتذب الانتباه بألوانها وثرائها .

إن وعي السياب للحياة كتوترٍ بين الكون والصيرورة ، بين ما يكون عليه الإنسان وما يمكن أن يصير اليه ، ينعكس على صوره التي يلعب الصراع فيها الدور الأكبر ، ويبقي قصائده الجيدة متماسكة الأطراف متوازنة الأجزاء . فالصراع بين الخير والشر ، بين الحب والبغض ، بين التحرر والاضطهاد ، بين الخصب والجدب ، بين الحياة والموت — ذلك الصراع الذي كان هو شخصياً طرفاً فيه والذي كان يرى فيه نفسه تجسيداً لوطنه والعالم العربي والإنسانية عامة — قد عبّرت عنه صوره وأفكاره . ففي عدد من قصائده تمكن ملاحظة تقابل بين مجموعتين من الصور ، وإن كان منتظماً بحذق في نسيج القصيدة ، كما في «الأسلحة والأطفال» (١) و«تعتيم» (٢) وغيرهما . وفي بضع قصائد تأثر عروض القصيدة بهذا التقابل ولاسيما في قصيدته «بور سعيد» (٣) حيث تمرّ حركة الفكر والصور بمراحل متعاقبة من الشعر التقليدي والشعر الحر متناغمة مع المضمون بشكل لافت للانتباه .

وقد ازداد اهتمام السياب بمنح صوره معان رمزية في الخمسينات . فقوى الخير والحياة والخصب رمز اليها بالمطر والخبز والنور والشقائق والنهر والقرية وما إلى ذلك من ألفاظ توحي بالسعادة والكثرة . أما قوى الشر والموت والجدب فرمز اليها بالنار والذهب والصخر والظلام والمدينة وبكثير غيرها من الألفاظ

---

(١) «أنشودة المطر» ، ص ٢٤٩ — ٢٧٧ .

(٢) المصدر نفسه . ص ٢٩ — ٣١ .

(٣) «أنشودة المطر» ، ص ١٨١ — ١٩٤ .

التي توحي بالألم والاستغلال والشقاء . وقد جعله إلحاحه على أفكار الخلاص يستعمل رموزاً لتخطي الموت كالصليب والقبر والقيامة وغير ذلك من ألفاظ .

وسار السياب بالتدريج إلى استعمال الأسطورة لبلورة هذه الصور كلها وتوحيدها ، وذلك بتشخيص رموزه بحيث تصبح أجزاء في كل . فقريته جيكور ونهرها بويب ونخيلها ومياهها ومحارها تصبح جزءاً من هذا النظام الترميزي الموحي بالخصب . وتصبح بابل والمدينة ودروبها الطينية ما يقابلها بجدبها وتعقيدها وموتها . ويلجأ السياب إلى أسطورة تموز في بحثه عن رموز تمثل انتصار الحياة على الموت ، ويجد فيها كل ما يحتاج اليه كي يجسّد رؤيته لحياة جديدة موفورة لشعبه وأمته . يجد فيها وسيلة للتعبير عن اللحظة الحضارية التي يحياها والأمل الغالي الذي يضمره لوطنه والعالم العربي . فموت تموز الذي يعني موت النبات ودافع الحياة في الإنسان والحيوان يصبح تمثيلا للموت الروحي الذي يعانيه الوطن العربي إذ أمست ثقافته القديمة وقيمه البالية غير مناسبة للعالم الحديث . وعودة تموز من العالم السفلي مع رفيقته عشتار التي تعني انتعاش الطبيعة وتجددها تصبح تمثيلا لرؤيا ملؤها الأمل بأن يعود الوطن العربي أيضاً إلى حياة جديدة من الخصب الروحي . ولكن قبل أن تتحقق الرؤيا وقبل أن يتحقق الأمل فهناك ألم وعذاب وقلق وحيرة وحزن في العالم العربي يرمز اليها في الإسطورة بعشتار المتفجعة على تموز والباحثة عنه في شوق وقلق وأسى .

ويتناول السياب في قصائده الأسطورية نواحي مختلفة ورموزاً متباينة من القصة التموزية نفسها بين قصيدة وقصيدة ، تبعاً للأحداث الجارية في العالم العربي وأثرها في رؤياه . فإذا أراد أن يؤكد موت العرب الروحي ركّز غالباً على موت تموز كما في قصيدة « مدينة بلا مطر ». (١) لكنه في أغلب قصائده التموزية يريد أن يصور ما يعانيه العرب في العصر الحاضر وهم في قلقهم المأساوي يعانون ما يعانيه الشاعر نفسه شخصياً . وفي لحظات الأمل الباسم تراه يمجد مظاهر البطولة والفداء في التضحيات العربية والموت كما في قصيدة «إلى جميلة بو حيرد» (٢) و «رسالة من مقبرة» (٣) و «المغرب العربي» (٤) وغيرها ، حيث الألم بمثابة المخاض الذي يسبق الولادة . وفي لحظات أخرى أقل أملا تراه

---

(١) «أنشودة المطر» ، ص ١٧٢ – ١٧٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٩–٧٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٨–٨١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٢–٨٩ .

قلقاً على نتيجة الألم الذي يعانيه كما في قصيدة «تموز جيكور» (١) و «جيكور والمدينة» (٢) وغيرهما حيث يزداد التساؤل ، وإن كانت رؤيا القيامة والنصر ما تزال قابعة في ظلام زاوية خلفية .

ويعمد السياب إلى أساطير أخرى غير الأسطورة التموزية ليؤكد ما يرمي اليه كأسطورة أدونيس أو سيزيف أو أتيس أو سربروس أو غيرها . فعندما يخيب أمله في الثورة العراقية إبان مدّها الأحمر ، تصبح مذابح الشيوعيين بمثابة طقوس أتيس الدموية في قصيدة «رؤيا في عام ١٩٥٦» ، (٣) ويصبح عهد عبد الكريم قاسم جحيماً بابلياً يحرسه سربروس في قصيدة «سربروس في بابل» (٤) ولكن أسطورة تموز تبقى إطاراً ضرورياً لصوره . أحياناً يحلّ المسيح محل تموز أو يتوحد معه في القصيدة الواحدة كما في قصيدة «المسيح بعد الصلب» (٥) أو «مرحى غيلان» (٦) لما بين الشخصيتين من تشابه جوهري في الموت يتبعه بعث . وكثيراً ما تجيء القصيدة على لسان المتكلم حيث يتقمص الشاعر شخصية تموز أو المسيح ، ويتوحد معهما في عذابه وقلقه ورؤياه للقيامة ، ويصبح رمز جيكور وبويب جزءاً من هذه الأسطورة ، أو كأنه جزء من أسطورة جديدة خلقها الشاعر .

في سنة ١٩٥٧ ، قال السياب : «... هناك مظهر مهم من مظاهر الشعر الحديث : هو اللجوء إلى الخرافة والأسطورة ، إلى الرموز . ولم تكن الحاجة إلى الرمز ، إلى الأسطورة، أمسّ مما هي عليه اليوم. فنحن نعيش في عالم لا شعر فيه ، أعني أن القيم التي تسوده قيم لا شعرية ، والكلمة العليا فيه للمادة لا للروح وراحت الأشياء التي كان بوسع الشاعر أن يقولها وأن يحوّلها إلى جزء من نفسه ، تتحطم واحداً فواحداً ، أو تنسحب إلى هامش الحياة . إذن فالتعبير المباشر عن اللاشعر لن يكون شعراً . فماذا يفعل الشاعر إذن ؟ عاد إلى الأساطير ، إلى الخرافات ، التي ما تزال تحتفظ بحرارتها لأنها ليست جزءاً من هذا العالم ، عاد إليها ليستعملها رموزاً ، وليبني منها عوالم يتحدّى بها منطق الذهب والحديد .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٩٩–١٠٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٣ –١٠٧.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٦–١٢٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٨–١٧١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٥–١٤٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٨–٢١ .

كما أنه راح من جهة أخرى يخلق له أساطير جديدة وإن كانت محاولاته في خلق هذا النوع من الأساطير قليلة حتى الآن.» (١)

قال السياب هذا في المنتدى الكبير بالجامعة الأمريكية ببيروت في أمسية شعرية رتبتها ودعت اليها مجلة «شعر» . وإذا صح أن نأخذ كلامه على أنه شرح لسبب استعماله الأسطورة ، أمكننا أن نرى أثر ت. س. إليوت في ما قال ، وإن افتقدنا عمق إليوت الثقافي وموقفه الديني والسياسي في ذلك . لقد اعتقد السياب «أن المدنية الأوروبية الحديثة لم تُهْجَ هجاء أعنف ولا أعمق من الهجاء الذي وجهه ت. س. إليوت إليها في قصيدته «الأرض الخراب». (٢) إن فهم السياب لقصيدة «الأرض الخراب» على أنها هجاء بدلا من رؤيا لوضع تاريخي وخلقي معيّن لهو فهمٌ يظهر قصوره في تقدير ت. س. إليوت . لكن تكنيك ت. س . إليوت الذي أعجب به السياب واتخذه لنفسه على نحو ما ، وخاصة استعماله للأسطورة والتصوير في «الأرض الخراب» ، وتأثره بكتاب «الغصن الذهبي» (٣) للسير جيمس فريزر ، وكتاب «من الطقس إلى الرومانس» لجسي وستون (٤) وغير ذلك من كتب الأساطير جعله من الممكن أن يدخل بعد ١٩٥٤ تلك الفترة من حياته الأدبية التي يجوز أن تسمى تموزية لأن تموز يلعب فيها دوراً رئيسياً في تصويره ، إذ يرمز إلى رؤياه لوضع الحضاري الذي كان عليه العالم العربي .

لم يستعمل في بداية الأمر أية أسطورة معينة ، ولكنّ إشارات غامضة إلى طقوس الخصب وردت في قصيدة «أنشودة المطر» (٥) ثم أصبح تكنيكه في استعمال الأساطير واضحاً ، ولكنه يمزج أساطير من ثقافات ودلالات مختلفة ليرمز إلى تعقيد الوضع كما في قصيدة «من رؤيا فوكاي» (٦) حيث يستعمل أسطورة كونغاي الصينية ويورد إشارات إلى تموز وقايين وهابيل وجنكيز خان والمسيح ويحيى وأريل ، ويضمّن اقتباسات من غارسيا لوركا وشكسبير وإديث

---

(١) مجلة «شعر» ، بيروت ، صيف ١٩٥٧ ، العدد ٣ ، ص ١١٢ .

(٢) «الأدب العربي المعاصر» ، منشورات أضواء ، ص ٢٤٨–٢٤٩ .

(٣) قرأ السياب أجزاء من «الغصن الذهبي» بالعربية من ترجمة صديقه جبرا ابراهيم جبرا سنة ١٩٥٤ .

(٤) قال لي الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا في مقابلة لي معه في بغداد في ١٠ كانون الثاني ١٩٦٧ إن السياب استعار منه كتاب (From Ritual to Romance) ولم يعده أبداً .

(٥) «أنشودة المطر» ، ص ١٦٠–١٦٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٦–٥٦ .

ستوبل ، ويتمثل الإنسان الحديث في بطل معاصر يسميه فوكاي وهو كاتب في البعثة اليسوعية في هيروشيما جن من هول الانفجار الذري وعولج في مستشفى الصليب الأحمر حيث لم يكن إلا رقماً .

وفي مثل هذه القصائد ، يثقل السياب ذهن القارىء بما يحشره في حواشي القصيدة من ملاحظات تقتل عفوية الترميز والحدس بما لها من جهر ومنطق وتدخّل . ويفعل ذلك خوفاً من أن لا يفهمه القارىء العربي الذي لا يعرف هذه الأساطير . وتبقى هذه الصفة معه حتى فيما بعد ، حين يركز تصويره في أسطورة تموز وخاصة بعد ١٩٥٧ . وإن لم يضف الحواشي فإنه يدخل شرحاً في صلب النص الشعري نفسه ، ونتيجة لذلك تصبح رموزه أحياناً مجرد إشارات أدبية . وهو يضمّن قصائده اقتباسات من الشعر العربي الشعبي أو من الأغاني العربية الشعبية . وبعد ١٩٦٠ يستغلّ أساطير أخرى مثل عوليس ، وأيوب ، ولعازر ، وأرفيوس ، وإيكار ، وسندباد ، وإرم ذات العماد وغيرها .

لكن تكنيك السياب في التصوير الأسطوري يصل أحياناً قمماً عالية من الرمزية كما في قصائده «مدينة بلا مطر» (١) و«النهر والموت» (٢) و«إرم ذات العماد» (٣) وغيرها حيث تستقرّ رؤياه للحالة الإنسانية في قلب الأسطورة ببراعة فائقة وتصبح جزءاً لا يتجزأ منها . وهذه الجهود الناجحة تجعلنا ننظر بشيء من الأسف إلى قصائد أخرى حيث وظيفة الأسطورة تمثيلية وتعليمية ، إذ لا يتعدى استعمال الأسطورة كونه أسلوباً لتعمية المراد وإخفائه بدلا من أن يكون بحثاً عن حرارة الحدس وبراءته ، إنه قناع يخفي المعنى الحقيقي بدلا من أن يكون وسيلة لشحن المعنى بالإمكانات والأسرار .

في ١٩٦٣ قال السياب لكاظم خليفة في مقابلة صحفية : «لعلّي أول شاعر عربي معاصر بدأ باستعمال الأساطير ليتخذ منها رموزاً . كان الدافع السياسي أول ما دفعني إلى ذلك . فحين أردت مقاومة الحكم الملكي السعيدي بالشعر اتخذت من الأساطير التي ما كان زبانية نوري السعيد ليفهمونها ستاراً لأغراضي تلك ، كما أني استعملتها للغرض ذاته في عهد قاسم . ففي قصيدتي مثلا المسماة «سربروس في بابل» هجوت قاسماً ونظامه أبشع هجاء دون أن يفطن زبانيته إلى

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٧٢–١٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤١–١٤٤ .

(٣) «شناشيل ابنة الجلبي» ، ص ١١–١٨ .

ذلك . كما هجوت ذلك النظام أبشع هجاء في قصيدتي الأخرى «مدينة السندباد» . وحين أردت أن أصور فشل أهداف ثورة تموز الأصلية استعضت عن اسم «تموز» البابليّ باسم «أدونيس» اليوناني الذي هو صورة منه ... إنني الآن ألغيت كل الأساطير تقريباً من شعري ولم يعد في شعري من ذكر إلا لشخصيتين أسطوريتين وما يتعلق بهما هما السندباد العربي وأوديسيوس الإغريقي.» (١)

وعلى الرغم من هذا المفهوم الساذج لوظيفة الأسطورة في الشعر الحديث فإن السياب نجح في إدخال استعمال الأسطورة بين معاصريه ، وكتب عدداً من القصائد الناجحة التي تقدم من خلال الأسطورة رؤيا صادقة للحياة المعاصرة تتميز بالعفوية والصميمية والإخلاص مستوحية تعطش الإنسان الحديث للسلام وحنين الإنسان العربي للبعث والتجدد . وقد تكون الأساطير قديمة قدم الإنسان ، لكن السياب وجد فيها شيئاً جديداً للشاعر الحديث هو الدفء والألفة اللذان يتخطى بهما العالم الحديث الذي «لا يعطيه سوى علاقات متدهورة بين الإنسان والإنسان ، وسوى تعكير وتحطيم مستمر لوجوده وإنسانيته.» (٢) فقد وجد في الأساطير النماذج الأزلية التي تجسد آمال الإنسان ومخاوفه ، فلاءم بينها وبين حال الإنسان الحديث ولاسيما الإنسان العربي الحديث .

وفي السنوات الثلاث الأخيرة من حياته ، عندما أصيب السياب بمرض في الجهاز العصبي شلّ نصفه الأسفل تدريجاً ، أصبح شعره يميل إلى استبطان الذات . وطرحت مشكلة الموت نفسها عليه بحدّة فائقة وبطريقة شخصية ملحّة . ولعله لم يواجه الموتَ شاعرٌ عربي بمثل التصميم على الحياة الذي واجهه به السياب . وصحيح أنه تأرجح بين اليأس والأمل أحياناً ، (٣) لكن النغم الذي انتظم شعره عامة هو إما نغم الصلابة والمقاومة أو نغم الاستسلام لمشيئة الله . كانت تسمع أحياناً صرخة غضب على فرصة ضاعت ، أو نغمة شفقة واسترحام يسببها الألم المستديم ، بل كانت هناك في شعره أحياناً رغبة صريحة في الموت وتضرعات قلبية لوضع حدّ نهائي لحياة العذاب . لكن سبب ذلك أنها كانت حياة عذاب لا لأن السياب كان يكره الحياة .

---

(١) «صوت الجماهير» ، بغداد ، ٢٦ تشرين الأول ١٩٦٣ .

(٢) من مقابلة مع السياب في مجلة «الفنون» ، بغداد ، العدد ٢٢ ، سنة ١٩٥٧ .

(٣) راجع حسن موسى : «السياب وتجربة الصراع بين اليأس والأمل» ، مجلة «العلوم» ، بيروت ، تشرين الأول ١٩٦٥ ، ص ٥٦–٦٧ ، وتشرين الثاني ١٩٦٥ ، ص ٦٨ – ٧٤ .

إن السياب كان يحب الحياة بكل حواسّه ، وكان يريد أن يجرّبها تجربة حسّية . كان في شخصيته ميزة ديونيسية ظهرت باكراً في حياته في ميله إلى الملذات الجسدية واهتمامه بشعر بودلير وبايرون وعلي محمود طه وإلياس أبو شبكة أو بذلك القدر من شعرهم الذي تتمثل فيه التجارب الحسّيّة التي حاول أن يقلدها . ولذلك كانت مأساته حادّة بوجه خاص لأنه كان في الوقت نفسه قبيحاً ، وقد فشل في تجارب الحب الباكرة ثم مني بزواج غير متكافىء فكرياً ، وأخيراً أفسد عليه الشلل قواه الجنسية وحطم المرض جسده تحطيماً . لكن عقله ظل مع ذلك واعياً عالم الإحساس إلى آخر لحظة من حياته تقريباً ، وظل يفكر في هذه الحياة ومعناها .

إن الغزارة التي فاض بها شعر السياب في سنواته الثلاث الأخيرة لدليل كاف بحدّ ذاته على تعلقه بالحياة . فبعد أن شلّه المرض ركّز السياب على حياته الداخلية وخوفه من الموت ، فأنتج قصائد معبرة عن تجارب وجودية نادرة في الأدب العربي .

ولعبت ذكريات التجارب الماضية دوراً رئيسياً في هذه القصائد بعد أن فقد السياب قدرته على النشاط . لكنها ليست ذكريات رومنطيقية وأشواقاً للعودة إلى الطفولة والصبا . إنها بالأحرى استعراض واعٍ للحياة على أنها سلسلة من الإحساسات التي لا تستعاد . وقد سجل شعره ذكريّات الألم وذكريات اللذة ، لكن ذكريات السعادة لا تظهر فيه إلا عابرة خاطفة زائلة . إنه لم يسجل الذكريات تاريخاً ، بل لحظاتِ وعي تصف طبيعة الحياة التي تبدو أحياناً عبثاً غير ذي معنى .

لقد عاودته ذكريات أمه الميتة ، ودار جدّه ، وقريته جيكور ، وصور من وفيقة وهالة ولبيبة ولميعة وإقبال ولوك وغيرهنّ — عاودته في وحدته في قصيدة تلو أخرى ، لكنها لم تستطع أن تمسك عليه الحياة . كان كل شيء يبدو له عابراً خاطفاً وهارباً متملّصاً ، فيتشبث بذكريات التجارب الشبقة في عُنّته أو بذكريات الفرص التي ضاعت عليه من المعانقات والمطارحات في محاولة لتذكير جسده الميت بالحياة . لكن الحياة تظل تهجره باستمرار ، ومع هذا فالسياب لا يهجر القلم فهو سلاحه الأخير في معركته من أجل الحياة . وحين يخسر السياب المعركة بعد هذا الصراع يترك لنا شعراً غالياً .

صحيح أن هذا الشعر الذي يتميز بغزارة فائقة ليس كله بجودة شعره في الفترة السابقة لمرضه ، وان الاهتمامات الشخصية تكوّن معظم محتوياته . لكن القلق الإنساني الذي يصوّره بمأساوية حادّة والضياع البشري إزاء مشكلتي الألم والموت الذي يظهر فيه الإنسان حائراً وحيداً عاجزاً — يشفعان له ويجدان له

طريقاً إلى قلوبنا . إن هذا الشعر لا يقدّم لنا أي حلّ فلسفي ، لأن لغز الحياة فيه يقابل بالتساؤل أكثر مما يقابل بالحلول . لكن بساطته وإخلاصه وألفته تحببه إلينا . وقوام صوره أوديسيوس والسندباد اللذان يمثلان بحث الإنسان الأبدي عن الحقيقة والسعادة ، وأيوب الذي يمثل صبر الإنسان في عجزه وضعفه .

إن بدر شاكر السياب على الرغم من محدوديته واحدٌ من أعظم شعراء العرب في العصر الحديث . لقد استطاع أن يحدّد الشعر العربي بطريقة لم تسمح له أن يقطع صلته بالماضي ، وفي الوقت نفسه لم تمنعه من أن يكون ذا علاقة وثيقة بالحاضر . كانت لغته عريقة الجذور بالتراث القديم ، ومع هذا لم يتورّع من إدخال العاميّة في شعره أو الاستعمالات الجديدة للألفاظ عندما كان ذلك يزيد الأثر الجمالي لقصيدته . (١) كانت له حساسية خاصة للإيقاع الشعري القديم ، لكنه مع هذا استطاع أن يتخذ من العروض العربي ما يتجاوب مع إيقاع الحياة الحديثة ويعبر عن روح جيل ثائر ومزاج أمة متجدّدة . كان رجلا ذا رؤيا . وقد استطاع من خلال صوره واستعماله للأسطورة أن يعبّر عن الأزمة الحضارية المعاصرة التي يعانيها العربي ، وعن أمله في غد أفضل ، كما استطاع أن يعبّر عن حالة الإنسان الحديث في عالم ممزّق . لقد آذته الحياة كثيراً ، لكنه حاول أن يتخطى عذابه في بحثه المأساوي عن الحقيقة وفي سعيه الدائب للوصول إلى مفتاح الخلاص الفردي والاجتماعي .

وجعل السياب الحياة موضوع الشعر العربي بطريقة شخصية جداً ، وفتح الطريق أمام الشعراء العرب الآخرين من ذوي العقول الخلاّقة والأمزجة الثائرة كي ينطلقوا في مغامرات أخرى في التجربة الشعرية . إن الشعر العربي الذي كان مقيداً أكثر من ألف عام بقيود قاسية من قواعد الشكل والمضمون قد أصبح أخيراً أفقاً منفتحاً .

---

(١) راجع ابراهيم السامرائي : «لغة الشعر بين جيلين» ، بيروت (١٩٦٥) ، ص ٢١٥–٢٤٠ .

المُلحق
قصائد غير منشورة

إن محتويات هذا الملحق ليست من أعمال السياب المنشورة . وقد حصلت عليها بمساعدة فؤاد طه العبد الجليل وموئيد العبد الواحد في زيارتي للبصرة في كانون الثاني سنة ١٩٦٧ . وهي تنشر هنا لقيمتها التاريخية .

على الشاطىء[1]

«بين رفات أحلامي التي تكسرت أجنحتها ، وأحرقتها نار الخيبة ... وبين ضباب من الأوهام يكتنفني ، ووسط سكون رهيب لا يعكره إلا أنات قلبي الجريح ، جلست على الشاطىء أترقب عودتك ، ولكن ... هيهات.»

على الشاطىء أحلامي — طواها الموج يا حب
وفي حلكة أيامي — غدا نجم الهوى يخبو
عزاء قلبي الدامي
وذا الفجر بأنواره — رمى الليل وأطيافه
شدا الطير بأوكاره — وهز الورد أعطافه
وفي غمرة أوهامي
وفي يقظة آلامي
بكى محبوبه القلب
عزاء قلبي الدامي
وعن بعد سرى زورق — فهل فيه التي أهوى
وذا قلبي جوى يحرق — عسى أن يجد السلوى
ومن آهات أنغامي
أتتني رميمة الرامي
مضى الزورق يا رب
عزاء قلبي الدامي
وفي موكب أحلامي — تسير الشمس للغرب
فيشكو قلبي الظامي — إليها لوعة الحب

(١) هذه أقدم قصائد السياب الموجودة وتاريخها سنة ١٩٤١ .

فيـا ربـة إلهـامي
ويا تسبيح أيامي
لك القلب مضى يصبو
فردي بعض أحلامي

تقضى الليـل فالفجـر ... ولكـن هل أتت هند ؟
خـلا مـن طيفهـا النهر ... فأيـن الحب والعهـد ؟

سدى قضيت أعوامي
على شطآن أوهامي
ولا صفو ولا قرب
فردي بعض أحلامي

(١٩٤١)

شهداء الحرية

«رثاء الشهداء : يونس السبعاوي ، فهمي سعيد ، محمود سلمان »

شهيد العُلا لن يسمع اللومَ نادبُهْ ... وليس يرى باكيهِ من قد يعاتبُهْ
طواه الردى فالكونُ للمجد مأتمٌ ... مشارقه مسودّة ومغـاربـــه
فتى قاد أبناء الجهاد إلى العُلا ... وقد حطّمت بأس العدو كتائبه
فتى همّـه أن يبلغ العزّ موطنٌ ... غدا كل باغٍ دون خوف يوائبه
فتى يعرف الأعداء فتكـة سيفه ... فقد فتحت فتحاً مبيناً مضاربه
فتى ما جنى ذنباً سوى أنه انتضى ... حساماً بوجه الظلم ما لان جانبه
إذا ذكروا في جحفل الحرب «يونساً» ... مشى الموت للأعداء حمراً سبائبه
لقد باع للعرب النفوسَ ثلاثةٌ ... فقرّوا ودمعي لا تقرّ غواربه
فآهٍ على من ودّع الصحب واغتدى ... على «يونس» فليطلق الدمع حاجبه
وآهٍ على نسر أهيض جناحـه ... وكم ملأت أفق العراق عصائبه
لئن غيّبوا جثمان «محمود» في الثرى ... فما غيّبوا المجد الذي هو كاسبه
ولهفي على «فهمي» وما كان خطبه ... يهون وإن هانت لديه مشاربـه
شهيد رأى الطغيان يغزو بلاده ... فهبّ وقاد العزم جنداً يحاربـه
أيُشنق من يحمي الديار بسيفـه ... وتغدو على كسب المعالي ركائبه ؟

رجال أباة عاهدوا الله أنهم ... مضحّون حتى يرجع الحقّ غاصبه
أراق عبيد الإنكليز دماءهم ... فيا ويلهم ممن تُخاف جوالبه
أراق عبيد الإنكليز دماءهم ... ولكنّ دون الثأر مَنْ هو طالبه
أراق ربيب الإنكليز دماءهم ... ولكنّ في برلين ليثاً يراقبه
رشيد ويا نعم الزعيم لأمّة ... يعيث بها عبدالإله وصاحبه
لأنتَ الزعيم الحق نبهت نوّماً ... تقاذفهم دهر توالت نوائبه

(١٩٤٢)

اذكريني

قبس من نور قلبي مشرق في ناظريك
فهما مهد الهوى إن الهوى غاف لديك
وهما نبع المنى إن المنى في مقلتيك
كل ما يغري ويصبي هاتف في نظرتيك
فاذكريني واذكري قلباً بكى بين يديك
شعلة من دم حبي كنت في شفتيك
فاجعليني لفظة بينهما تحنو عليك
ولتعانق ذكريات الحب دوماً أصغريك
كم نهلنا الحب من أقداحه في وجنتيك
وصدى القبلة تخفيه جنان ذات أيك
قد محا أيامنا الدهر فهل تبقى لديك
آه لو كنت بقربي إنني أصبو إليك

(١٩٤٢)

اليك شكاتي

لغيرك لم يخفق فؤادي ولا هفا ... بجنبيّ قلبٌ ضاربٌ في التفجّع
ولا ذرفت عيناي دمعاً إذا جرت ... بوادره طاف اشتياقي بمدمعي
فرحماك لا تستنزفي دمع ناظري ... فدمعي إذا ما هاجني الشوق مفزعي

يسير بأحلامي لوديان حبّها فترتد بالطيف الحبيب لمضجعي
به أذكر الحب القديم فإن نأى تبيّنتُ في فقد الحبيبين مصرعي
ولولا خيال في الدجى منك عادني لذاب مع الأنفاس قلبٌ بأضلعي
فيا نفحة للحب ملء جوانحي ويا نبأة للوحي طافت بمسمعي
إليك شكاتي فامسحي من أضالعي سطور جوى فوق الفؤاد ، بأدمع
إلى أفق أحلامي ففي سرحاته لنا موعد يحلو فخفي له معي
هناك لروحينا على الحب ملتقى يزوّقه طهر الهوى المتضوّع
وما الحب إلا يقظة بعد هجعة فلا تجعليه صحوة المتفجّع

١٤-٧-١٩٤٢

بين الروح والجسد

(قصة شاعرين) (١)

١- شاعر الروح

هذا الجريحُ وجرحُه لا يُضمدُ جار الغرام عليه فهو مسهّدُ
صبّ أطار الصفو من أضلاعه قلبٌ يمرّ به الهوى فيعربدُ
أوحى إليه الشعرُ من آياتهِ سحراً تحلّ به النفوس وتُعقَدُ
باتت تحلّقُ في الأعالي روحُهُ نشوى ، وبات خياله يتصعّدُ
واهي الكيان كأنّ خطباً هدّه ذاوي الشفاه لطول ما يتنهّد
وهو المعطّلُ من قوام فارعٍ يسبي العيونَ ، ووجنة تتورّد
لم يعطَ من مال سوى أحلامه وكفى بها من ثروة لاّ تنفدُ
ما زال صرف الدّهر يرمي قلبه بالنائبات فجرحه يتجدّد
يا ليت صرف الدهر أبقى أمّهُ تأسو الجراح بكفّها أو تضمدُ
كم بات يلتمس الحنان فما رأى طيف الحنان ، وفاته ما يَنشُدُ

(١) هذه هي الأقسام الخمسة الأولى من قصيدة طويلة تناهز الألف بيت كتبها السياب سنة ١٩٤٤ . وتشكل هذه الأقسام حوالي نصف ما وجد من القصيدة الضائعة .

وأحبّ من جاراته فتّانةً ما زال صائد طرفها يتصيّد
عفّ الغرامِ بحسبه من حبّهِ نظر يعفّ عن الأثام ويبعدُ

٢ ـ شاعر الشهوة

تلك الدماء بقلبه المتضرّم تغلي فتدفع جسمه للمأثمِ
ردّ الهوى أحلامه مشبوبة ناراً ، فحلّل فيه كلّ محرّمِ
غضّ الإهاب تظلّ تبرقُ عينُه سحراً تلوذ به القلوب وتحتمي
وإذا العيونُ لمحنَ فارع قدّه ورشفن حمرة ثغره المتضرّم
أوْحين للقلب الجليد بحبّه فأطاعهن إطاعة المستسلم
جمّ الثراء سبى العذارى بالغنى والحُسْن ، حتى ما يجدنَ لمغْرَم
عاش الليالي وهو عفّ طاهرٌ يهديه روحُ العبقريّ الملهَم
حتى أحبّ وضيعة غدّارةً ألقتْه في جنبات ليلٍ مظلم
قد كان يحسبها مثالا للتّقى والطهْرِ ، والخُلقِ الرفيعِ الأكرم
حينا وكذّبتِ الليالي ظنّهُ وانجاب ثمّةَ كلّ سرّ مُبْهَمِ
ويلاه ! ساء بكلّ خود ظنّهُ وارتدّ يحرق جسمَه بالمأثمِ
ما زال يروي الشعرَ عن شيطانه متحلّباً شرّاً ، صبيغاً بالدم
وأحبّ غانيةً فهيّأ سُمّهُ سرّاً ، وخبّأ صارماً في المبسم

٣ ـ المحبوبة

حسناء تُسفر عن محيّا شاحبِ ما زال يغلبُ كلّ طرف غالب
رمقت صباها وهي في ريْعانه بنواظرٍ عبرى وقلبٍ ناصب
ومضت تقطّع صمتَها ووجومَهَا بتبسّمات كالصباحِ الكاذب
لم تَدْرِ ما دنس الغرام وطهرُه وأرى السفينة أمرُها للراكب

٤ ـ لقاء بين الشاعرين

في الريف بين نخيله المتعانق وعلى الجوانب نهر دافق
عشب يجاذبه النسيم ظلاله ونـدى يُصفّق بالأريج العابقِ

وأزاهرٌ غيناء رفّ نديّها فرحاً بأجنحة الفراش العاشق
ومتيّمان تشاكيا حرّ الهوى حيناً ، فبرّد خافقٌ من خافق

الشاعر الغريدُ لاقى الشاعرا هذا يُرى شَبَقاً وهذا طاهرا
لو كنتَ ثمة سامعاً نجواهما لسمعتَ متّقياً يناجي فاجرا
ورأيتَ روحاً ينبري لنضاله جسدٌ توثّب مستخفاً ثائرا
وبقيتَ مضطرب الخواطر والهوى بين الفضيلة والرذيلة حائرا

٥ ـ حديث

شاعر الروح :

حيّتْكَ أنفاسُ الربيع الباكر ورعتْكَ آلهة الهوى من شاعر
مرّت ليال كنتَ فيها نائياً عني ، فأظلمت الحياة بناظري
واليومَ عدْت فعاد لي صفْو المنى وتجلّت الدنيا بثوب ساحرِ
فلْتَتلوَنّ عليّ ما هيّأتَهُ من نَغمةٍ سكرى وشعرٍ ناضر

شاعر الشهوة :

أهوى مفاتنَ جسمك المستسلمِ وهوى لذائذه مُزجنَ بمأثم
جسدٌ عليّ أراه باتَ محرّماً وعلى حقير الدود غير محرّم
لأطوّحنّ بكلّ عرفٍ سائد ولأعبثَنّ بكل آي مُحكم
ولأهتكنّ على الفضيلةٌ سترها ولأصغينّ لما يقول به دمي

لا تسهمَنّ وهاتِ أنغامَ الهوى عذراء تقطرُ بالتصابي والجوى
لم يلقَ شعري منكَ قلباً راضياً فلقد سقته مآثمي حتى ارتوى
فلتهتفنّ بكل نغمٍ ساحر مما تفيض عليك أيامُ النوى
أو ما تُفيض عليك ساعاتُ اللقا بين النخيل وعند ذاك الملتوى

١ ــ إلى النار

لا ترجفي يا بنان القارىء الآنا لا انشقّ باب ولا صافحت إنسانا(١)
لا ترجفي وانشري سفراً صحائفه درب إلى النار لولاهنّ ما كانا
أفضى إلى عالمٍ ناء .. إلى ظُلَم كانت حياة على الدنيا وأزمانا
حاك الخيال المدمّى بعضها قصصاً والواقع المرّ أنباء وألحانا
عذراء ما وطئت رجل مدارجها كالبحر قاعا وغيب الله شطآنا
وادٍ من النار داجٍ ، لا ألمّ به (شيخ المعرة) يستجديه (٢) (غفرانا)
ولاّ تخطى بـ (دنّي) بابه بصر خاض الجحيم دماً يغلي ونيرانا
وادي حزانى ومظلومين تملؤه أطياف أحيائنا الغضبى وموتانا
ضجوا لدى الله بالشكوى فرقّ لها قلباً وهزّ النجوم الزهر غضبانا
وانثال ـــ كالغيث ، لو أن الغيوث لظى ـــ صوتٌ سرى زعزعاً وانشق بركانا
«ويل الطغاة السكارى من عقاب غد إن زلزل الكوكب المنكود إيذانا»
فزمزم الحشدُ والنكباء تنشره حيناً ، وتطويه كفّ الله(٣) أحيانا
رباه : لو أن في طول انتظار غد جدوى لما أسمعتك الريح شكوانا (٤)
ما كان حتماً علينا أن يعذبنا طاغٍ وأن يشهد الرحمن بلوانا
النار أشهى فهاتِ النار تصهرنا يوم الحساب ومتعنا بدنيانا
إن كان لا يدخلُ الجنات داخلها إلا شقياً على الأولى وغرثانا
وكان أمرك أن نرضى بما صنعوا فاحفظ عبيدك ... فالشيطان مولانا

(١) هذه قصيدة طويلة كتب منها السياب حوالي ٢٥٠ بيتاً لم يكملها . وما يقدم منها هنا يناهز ثلثها . ولعله كتبها في سنة ١٩٥١ .

(٢) كلمة «يستجديه» مكتوبة فوق كلمة «يستوحيه» .

(٣) عبارة « كف الله» كتبت بدلا من عبارة «مثل الظل» التي شطبت .

(٤) الشطر الثاني جاء بدلا من الشطر التالي الذي شطب : «ما زال وسنان لم نسمعك شكوانا».

٢ ــ ضحكة الشيطان

إبليس أصغى إلى الشكوى وعصبته ... في غفلة من شهاب ساهم النار
والليل داج تكاد العين تحسبه ... قبراً تمطى على جثمان جبّار
يا هولها في سكون الليل قهقهةً ... كأنما انفضّ عنها جوف إعصار
دوى الصدى في الكهوف الجوف يقلقها ... فانفض بالرعد منها كل منهار
وهبّ في مخدع الآثام طاغية ... من نومه القانيء المختوم بالعار
وبات يضحك حتى جنّ وانطلقت ... ساقاه عدواً وراء الكوكب الساري
إبليسُ : «يا آدم المجبول من حمأ ... تحييه من تحت أقدامي يد الباري
لا يبرح الحقد بي ، أفعى تعبّ دمي ... عبّاً ، وتنفخ في صدري : إلى الثار
أطلقتُها أمس يوم (التين) نافثة ... في أذن حوائك الحمقاء أسراري
واليوم ، يا قبحه يوماً يطرّبني ... أشهى من الدم في سكين جزّار
واليوم لا فحّت الأفعى ولا لدغت ... ولا أثمتُ ولا أشرعت أظفاري !
إن كنت لا أترك الدنيا يعيث بها ... طاغٍ شرايينه الحمراء أوتاري !
لو يرفع الغيب عن عينيك راحته ... أو يهمس الغد للماضي بأخباري
أو كنت تستوقف الموتى وقد ركبوا ... جياد (عزريل) من دار إلى دار
وتسأل الميّتَ المحمول هيكله ... من ضفة (الكنج) ملفوفاً بأطمار
عن أمسه الراعب الخاوي وحاضره ... والناس ما بين أخيار وأشرار
لاجتثّ أكفانه الصفراء عن فمه ... وارتج ــ بالآه تترى ــ صدره الهاري
وقال «أما عن الدنيا فما برحت ... أيام (قابيل) سكرى بالدم الجاري
... ... أدمع الثكلى ... . ، ذراعا جائع عاري (١)
والعالم الحاطمُ الذرات ــ يدفعها ... كيف اشتهى ــ باع أغلاها بدينار
واستنزف الشاعر اللاهي قصائده (٢) ... في مدح سكران أو تمجيد خمّار

واحتثّ إبليسُ أفراساً مجنحة ... بالنار حمراء والكبريت ملتهبا
رقش الثعابين في أفواهها لجم ... والريح في منخريها تنفخ القصبا
قصف البراكين أحنى من حوافرها ... وقعاً إذا أطلقتها تضرب السحبا
قد أنعلت قلب سفّاح وطاغية ... فلو تمسّ الحجار الجامد ارتعبا

---

(١) هذا البيت مشطوب ، وأكثر كلماته غير مقروء .
(٢) استبدلت كلمة «ملاحنه» بكلمة «قصائده» .

من وقعهنّ التظى ملء المدى شرر ... ينقضّ برقاً على الآفاق أو شهبا
وقال إبليس ، والظلماء راعشة ... من تحته أمعنت نحو الثرى هربا
«الأرض لي ... ما عليها ينازعني ... الخطايا ... للخنى نصبا (١)
أورثتها من يشاء الشر من خدمي ... باتوا شكوكا وباتوا في يدي لُعَبا
كم أوقد الراهب القنديل من لهبي ... واستنزل الشيخ مما أهمس الخطبا
ألقى على الله ظلّي تاجر جشع ... يخفي به عن عيون الناس ما نهبا
قال اسجدوا خشّعاً حتى إذا سجدوا ... عاف المصلّي وأمسى يجمع الذهبا
«يا سيد النار» نادى مارد ... ... عيناه ... ... (٢)
يا سيد الهوة الحمراء من (سقر) ... لا زلت رب الخطايا والخنى حقبا
حتى إذا انصبّت الأزمان في أبد ... ظمآن ، أصبحتَ ظلاّ فيه ملتهبا
لي خنجر طالما احمرّت مضاربه ... حتى صدئن احمراراً وانحنى تعبا
أهويتُ يوما من الأيام ، أصقله ... بالربع من (أطلس) العالي ولاعجبا(٣)
فما يزال النجيع الرطب مندفقا ... في كل ركن من الدنيا ومنسكبا
حتى إذا ابيضّ نصل وانبرى حجر ... أبصرتُ ظلاّ على مرآته اضطربا
أنثى من الطين لا حواء تشبهها ... حسنا ولا العالم الأعلى بما رحبا
والحسن قبح إذا اقتادت أعنته ... كفّاك فانقاد حتى عانق العطبا (٤)
أنثى وبغداد مأواها وفاتنة ... بين السكارى ، ونار جاورت حطبا
لمياء ما تمتمت في الليل ساحرة ... مثل اسم لمياء يبعث الطربا
غمازتاها تطبلان ابتسامتها ... عمراً ، وتستوقفان الكوكب الشحبا
طيف تراءى على نصل تقلّبه ... كفّاي جذلان في آن ومكتئبا
أرخيت من نشوة كفّي وما حملت ... ألصخر والخنجر القتال واللهبا
ثم امتطيت الغيومَ الرائحات : لظى ... يذكيه شوقي ويطفيه السرى خببا
حتى سملتُ بأظفاري على حنق ... عين الصباح ومزقت الضحى غضبا
وانهار في دجلة الرعناء شاطئهاً ... فارتاع (نوح) يعدّ القار والخشبا

---

(١) هذا البيت مشطوب ، وأكثر كلماته غير مقروء .

(٢) سائر البيت غير مقروء .

(٣) للشاعر ملاحظة هامشية على كلمة «أطلس» هذا نصها : «جبل أطلس في شمال افريقيا الشمالية .»

(٤) هذا البيت مشطوب بأكمله .

لمياء يا شهوة في صدري احتدمت ... يا لذة في سرير المومس الدامي
يا ومضة الخنجر المأجور ، في خلدي ... يا حية وجرها المسموم أحلامي
يا نصف عذراء يا قبراً أوسّده ... أشباح أبنائي الصرعى وأيامي
يا ملعب الدود ، يا سوطاً أسوق به ... خيل الخطايا إلى ساحات آثامي
يا رقية الشر — إن حنحنت مركبة ... أوقرتها بالبغايا والدم الظامي
يا مغزلا في يد الفوضى نسجت على ... منواله الرخو ثوب العار والذام

يوم ارتوو الثائر

بشراك هذا سحاب الذلة انقشعا ... وانفك عن ساعديك القيد وانقطعا (١)
أزلزل الشر ما خلّفت زاوية ... يندسّ فيها ولا أبقيت منتجعا
يا أمة ما انهوى عن صدرها صنم ... إلا وأوصى لدان منه فافترعا
من كل جازي يد بالزاد تطعمه ... غلا ، ومن آكل الثدي الذي رضعا
هاك اسمعي الصور والموتى اذا انبعثوا ... فاليوم كل سيجزى بالذي صنعا
الله أكبر ، ما أمهلت طاغية ... إلا لكي يحصد النار التي زرعا
جيل من الأعين الغضبى وقافلة ... من غيظ جيلين في ميعادك اجتمعا
وانحط منها على الباغي وزمرته ... ظل تخطى اليه السور والقلعا
كالسيل من حمم والنار من ظلم ... والموت لو كان يحوي ذلك الفزعا
ما رعب (قابيل) إذ يعدو فتتبعه ... عينا أخيه المسجى حيثما نزعا
شق الثرى عنه من لحظيهما شبح ... أزجى عليه الدم المطلول فاتسعا
يوماً بأوفى من الرعب الذي فجأت ... نكباؤه الصرصر الطاغوت فامتقعا
يوم اشتفى كل قلب كان فاجعه ... وزلزل القصر حتى مال وانصدعا
وامتدّ من حيث ولى باع محتجز ... واسوّد من حوله الفولاذ والتمعا
في موقف تنفس الشحاذ ذلتها ... فيه الأمير الذي من جوعها شبعا
وزمرة من لصوص كل ما جمعت ... ما ردّ عنها قضاء الشعب أو دفعا
أنزلت بالثورة البيضاء عاليها ... سفلا وعاجلت منها الرأس فاقتطعا

---

(١) كتب السياب هذه القصيدة إبان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ولم ينشرها في حينها . وقد ألقاها في ذكرى الثورة الثالثة بدعوة من مدير مصلحة الموانيء العراقية في البصرة ، وأضاف اليها بايعاز منه البيت الثامن والعشرين والبيت الثاني والثلاثين .

لم يرتو الثار من جلاد أمته ... حتى وإن جندلته النار وانصرعا
فاقتصّ من جيفة الجلاد مجتزيا ... منها عداد الضحايا من دم دفعا
هذا الذي كل ثكلى فهو مثكلها ... والمستحلّ الضحايا ليته ارتدعا
والسارق النور من عينيّ أطفأه ... والجاعل النوم في مهد ابنتي وجعا
بالأمس كنّا سبايا دون سدّته ... فاليوم نعطيه ما أعطى وما منعا
ما قطّعته الجموع الثائرات ولا ... أدمته إلا بما أدمى وما قطعا
لم يكذب الجيش إلا ظنّ شرذمة ... خالته في كل ما تبغي لها تبعا
والجيش ما كان إلا سور أمته ... والرافع الجور عنها كلما وقعا
إن تعلُ يعلُ وإن تمسس بنائبة ... مسته أدهى وإن نادت به سمعا
والجيش ما كان إلا سرّ قائده ... هذا الذي حرّر الأعناق إذ طلعا
عبد الكريم الذي أجرى بثورته ... ماء ونوراً كغيم ممطر لمعا
أسرى وبغداد تحت الليل غافية ... في سجنها وسهيلٌ بعدُ ما طلعا
فما تنفس أو كاد الصباح بها ... إلا وقد حطم الأوثان واقتلعا
في ثورة عاد منها الشعب منتصراً ... والحق مزدهراً والبغي منصرعا
حتى ازدهى كل شبر في العراق ففي ... مينائه اليوم نور في الدجى سطعا

ليلة القدر

يا ليلة تفضل الأعوام والحقبا ... هيّجت للقلب ذكرى فاغتدى لهبا(١)
وكيف لا يغتدي ناراً تطيح به ... قلبٌ يرى هرم الإسلام منقلبا
يرى شعائر ديـن الله هاربـة ... يسفّها النوء تمضي حيثما ذهبا
أين العنان الذي تلويه عاصفة ... من فاتحين يرون الموت مطّلبا
للرغو حول شدوق الخيل وسوسة ... والنقع يذري لثاما قنّع السحبا
من كل محتسب بالله متّكل ... عليه يفري ضلوع البغي إن ضربا
كأن أسيافهم في كل معمعةٍ ... جسر إلى جنة الفردوس قد نصبا

يا ليلة القدر ، يا ظلا نلوذ به ... إن مسّنا جاحم الرمضاء ملتهبا

(١) كتب السياب هذه القصيدة لإلقائها في احتفال في مكتبة ناحية الزبير . ولعل ذلك في سنة ١٩٦١ . وقد نقلها مؤيد العبد الواحد عن نسخة مهلهلة واهية .

ذكراك في كل عام صيحة عبرت ... من عالم الغيب تدعو الفتية العربا
أقومُ أحمد مضروب على يدهم ... بالذل من هول ذاك الفتح (١) راعجبا
تفرقوا شيعاً في كل حاضرة ... قوم يقيمون من أغلالهم نصبا
لولا بقايا من الثوار صامدة ... في ظل وهران تسقي خصمها العطبا
الموت ولى فراراً من جحافلها ... والرعب مما تصك الظالم ارتعبا
لقلتُ واضيعة الإسلام في بلد ... بالأمس أعلى منار الحق ثم خبا

يا ليلة القدر أعلي قدر أمتنا ... شهم تعالى على الشطّين وانتصبا
عبد الكريم الذي جاد الكريم به ... أقال من عثرة شعباً بما وهبا
ما كان يرغب عن أنوار ثورته ... إلا الخفافيش . ساءت تلك منقلبا
هووا إلى قاع بئر لا قرار لها ... مستمسكين بحبل من دم خضبا
حبل تشدّ يد الشيطان أولـه ... ويجذب الفوضويّ الخائنُ الذنبا
كم جيد عذراء دق الحبل أثلمه ... وكم ذراعٍ لطفل قصّ واجتذبا

يا ليلة القدر يا نوراً أضاء لنا ... قاع السماء فأبصرنا مدى عجبا
تنزّل الروح رفّافاً بأجنحة ... بيض على الكون أرخاهنّ أو سحبا
عطف الأمومة في عينيه متقد ... وإن يكن للتقاة المحسنين أبا
وللملائك تسبيحٌ وزغردةٌ ... تكاد رنّاتها أن تذهل الشهبا
ومن دماء الضحايا في جوانبه ... نار تمدّ اللسان المغلق الذربا
يشكو إلى الله من ذرّى عقاربه ... فأنبتت زهراً من سمّها أشبا
ومن هوت تقطع الأضلاع مديته ... وساق ظلماً إلى الجلاد من هربا
ذكرى تعود كأن الغدر يبعثها ... من كهف أمس الذي ولى بما كسبا
أمس الذي إن غفلنا عاد جاحمه ... فاقتصّ ممن يحبّ اللهَ والعربا
لا صلح بين الهدى والبغي ، لا سنة ... تعمي النواظر عمن سامنا العطبا

---

(١) كلمة «الفتح» أضافها مؤيد العبد الواحد ليستقيم الوزن بها .

دموع اليتامى في دجى الليل تقطرُ ... ونوح الثكالى عاصفٌ فيه يصفرُ (١)
وأغفى على الآهات طفل ميتمٌ ... تقطرُ فيه الحقدَ أمٌ وتبسذرُ
إذا جنّ ليل في الصحارى ولألأت ... نجومٌ وقد يخضل ليلٌ ويقمرُ
ففي كل قلب من دجى الليل سدفةٌ ... وفي كل عقل ظلمة ليس تسفرُ
وقامت من الأنصاب في البيت عصبةٌ ... كدوح من الصوان بالشر يثمرُ
وأجرى على النهرين أقيال فارس ... دماً يعربياً واستباحوا ودمروا
وفي الشام يطغى في حمى الروم تابعٌ ... ويعدو على الأحرار كسرى وقيصرُ

وأشرقَ فاهتزتْ نواويس في الدجى ... وأوشك موتى أن يهبّوا وينشروا
نبيّ الهدى يا نفحة الله للورى ... ويا خير ما جاد الزمان المقتر
إذا ما افتخرنا كنت للفخر أولا ... وإن جاءنا نصر فذكراك تنصر
ولولاك ما اندكت عروش ولا هوى ... صليبٌ على كفيه كنّا نسمّر
وكم سار في شرق من الغرب جحفلٌ ... بقرآنك الهادي وفي الغرب عسكروا
ويا مولد المختار ميلاد أمّة ... وميعاد بعث أنت فيها مُقدّر

ألا قبسةٌ مما تنفستَ في الدجى ... فنحيا وينهدّ الظلام المسوّر
ألا تفجر البركان في مقفراتنا ... فيستبسل الأحرار أيان يُفجر
تلبّد وجه الليل تخفيه غيمة ... من الوحل والقار المدمّى تزمجر
ومالت على الأفق الضرير مناثر ... وخرت قبابٌ وانهوى ثم منبر
كأن لم يضيء بالنور ميلاد أحمد ... ولم تنطفىء للفرس نارٌ ومسعر
ولم يدحر الجيش الصليبيّ صامد ... ولا راعت الغازين «ألله أكبر»

رمت رأسها أفعى من الفرس تغتذي ... بأشلاء ما أبقاه قيسٌ ومنذر

---

(١) هذه القصيدة مسجلة على شريط بصوت السياب ، ومحفوظة في مكتبة جامع العلامة السيد عبد الحكيم الموسوي في المعقل . وقد نقلها كتابة مؤيد العبد الواحد ، ووجد في ذلك صعوبة لقدم الشريط وعدم وضوح الصوت في مواضع منه . والمقاطع فيها تشير إلى وقفات السياب أثناء الالقاء . ولعلها من نتاج سنة ١٩٦١ . ألقاها السياب بمناسبة المولد النبوي فأعطاها مؤيد العبد الواحد هذا العنوان .

شعوبية رقطاء بالدين تارة ... وبالعدل أخرى تحتمي وهي منكر
وما الدين إلا العرب إن ذل منهم ... عزيز تهاوى وهو دام معفّر
هي الراية الحمراء من عهد قرمط ... وهيهات يحظى بالذي شاء أحمر
إذا خبأوها فهي للشرّ مكمن ... وإن نشروها فهي للعار مظهر
ولاحت من الكيد اليهودي غيمة ... على أفقنا المنكوب بالويل تنذر
تبدى لظاها فهو نور ورحمة ... وسرم(١) لمن بالمال يشرى ويؤجر
تذكرت والميلاد حال بنوره ... شعاعاً من المعراج ذكراه مطهر
سما من مطاوي نومه يقصد السما ... نبيّ تلقّاه البُراق المطهّر
أتى صخرة بيضاء يندى بياضها ... كما لاح في الظلماء نجم منوّر
فيا صخرة المعراج قد سدّ بالدجى ... وبالإثم منّا فيك شق ومعبر
فما عاد بين الله والناس منفذ ... كأن حلّ بالأرض العذاب المسعر

وعاث ببيت الله فدم مشرد ... كأن فلسطين المدماة خيبر
كأن لم يَسر طه إليها ولا دحا ... أبو حسن من بابها فهي تصفر
وما زال في وهران والأرض حولها ... قلوج(٢) أباحوا واستباحوا ودمروا
إذا جنّ ليلٌ ساءلت كلّ أيّم ... كواكبه عن بعلها أين يقبر
جهاد على اسم الله يلظى أواره ... فيكوي جبين الظلم مما يسعر

نبي الهدى عذراً إذا الشعر خانني ... ولكنّه قلبي بما فيه يقطر
نبي الهدى كن لي لدى الله شافعاً ... فإني ككل الناس عان محير
تمرستُ بالآثام حتى تهدمت ... ضلوعي وحتى جنتي ليس تثمر
ولكن من ينجده طه فقد نجا ... ومن يهده – والله – هيهات يخسر

---

(١) كذا سمعت ، ولعلها «سحر» .
(٢) كذا سمعت ، ولعلها «علوج» .

أألفُ لسان جاء عندك يشكر ... لإيفاء ما أسديتَ ؟ هيهات يقدر (١)
بعثتَ حياة من رداها ونفّضت ... أياديك عنها كل ما كان يوقر
جزاك الإله الخير عن أم صبية ... أعدت لها البعل الذي كاد يقبر
فصار اليتامى من جداك ذري أب ... فداك الأب الفاديه درّ وجوهر
أسير فيكسو شارق الشمس جبهتي ... فيعلو دعائي : ظلتَ بالله تنصر
ألست الذي أحيا — وقد ثار — شعبه ... فصاح ابتهاجاً منه : «ألله أكبر»
وقام الكسيح المبتلى من فراشه ... يسير على ساق ويعدو ويظفر
تقحمت أوكار المنيات والسنا ... يئن وآلاف الشياطين تصفر
فما هي إلا ضربة الثأر وانجلى ... ظلام من البلوى وبغداد تنظر
فمن ير بغداد التي أنتَ نورها ... يقل عاد هارون وقد مات جعفر
ثأرت لشواف وأمطرت ناظماً ... بما قد روى القبر الذي كاد يطمر
وسد من التهريج أعلاه قاسم ... وما كان كاسمه فهو يشطر (٢)
يحنّ إلى النيل الفرات ودونه ... صحارى وقد قالوا لنا تلك كوثر
ألوف الضحايا سامها الخسف والأذى ... غلوم ورقاع وبخش وقنبر
ولولاه ما عاد الشيوعي حاكما ... كما شاء أو كان الشيوعي ينحر
فكنت الجواب المرتجى من دعائه ... وكنت لنا النور الذي فيه نبصر
فيا جيش —لا نلت الأذى— دونك الذي ... هبطنا إلى الأعماق إذ كان يهذر
يمنّ بمال الشعب أعطاه عاجزاً ... ومن ظلمه الداء الذي فيه ينخر
لقد جاع حتى حطّم الجوع جسمه ... وطورد حتى ما على المشي يقدر
لك الحمد إذ أرويت بالثأر أرضنا ... فسرنا على الدرب الذي كاد يطمر

لندن ، مستشفى سانت ماري ، ١٠—٢—١٩٦٣

---

(١) كتب السياب هذه القصيدة وهو في مستشفى سانت ماري بلندن ، وذلك إثر سماعه بنبأ ثورة ١٤ رمضان . وقد أشار عليه صديقه مؤيد العبد الواحد بإهمالها لأنها دون مستوى شعره ، ثم كتب السياب بعد أيام قصيدة من الشعر الحر عنوانها «قصيدة إلى العراق الثائر» نشرت في آخر مجموعة «منزل الأقنان» . ولكنه جعل تاريخها ٨ شباط ١٩٦٣ ، وهو يوم الثورة .

(٢) لا يستقيم الوزن في هذا الشطر .

حب وشاعر

سألتني ذات يوم عابره ... عن غرامي وفتاني الساحره
لم تكن تعلم أني شاعر ... ملهم أهوى فتون الطاهره
وحبيب لست أهوى عاتبا ... إنما أهوى العيون الآسره
وقواماً أهيفا خلّفني ... ساهما خلف روحي سادره
ووفاء لم أكن أنكره ... أترى ينكر غصن طائره

سألتني والربى مزدانة ... في شروق ، والأماني زاهره
ليتها تدرك أني هاهنا ... شاعر لا بد لي من شاعره
قلت يا أختاه لا لا تسألي ... أنا ذاك الصبّ أهوى «نادره»

البصرة ١٧–١٠–١٩٦٣

خطاب والهة

أنت تدري أن في قلبي جرحي
ألف آه تتنزى دون بـــوح
أنت تدري صار مثل الليل صبحي
أنت تدري أيها الجاني – فنح
ودع الآلام واقبل بعض نصحي
يا عذابي خلني وحدي أضحي

دع أغاني اللواتي صغتهن
في أسار مبهم بين الدجنه
دع أماني ، فإني عفتهن
يا عذابي دع رؤى عاودتهن
ودع الآه فلن تجديك أنه
ثم دعني ، فأنا أشتات محنه

البصرة ١–١١–١٩٦٣

قرّبْ بعينيكَ مني دون إغضاء ... وخلّني أتملّى طيف أهوائي (١)
أبصرتَها ؟ كادت الدنيا تفجر في ... عينيك دنيا شموس ذات آلاء
أبصرتَ ليلى فلبنان الشموخ على ... عينيك يضحك أزهاراً لأضواء
إني سألثمها في بؤبؤيك كمن ... يقبل القمر الفضي في الماء
ليلى ! هواي الذي راح الزمان به ... وكاد يفلت من كفيّ بالداء
حنانها كحنان الأم دثّرني ... فأذهب الداء عن قلبي وأعضائي
أختي التي عرضها عرضي وعفتها ... تاج أتيه به بين الأخلاء
عرفتها فعرفتُ الله عن كثب ... كأن في مقلتيها درب إسرائي

ليلى هواي مناي شعري
روحي الأعز علي من روحي وآمالي وعمري
حملت ضفيرتها هواي كأنها أمواج نهرِ
حملته نحو مدى السماء
نحو المجرّة والنجوم ونحو جيكور الجميلة
فأنا فتى أتصيد الأحلام يا لك من فراشات خضيلة
أتصيد الأشعار فيها والقوافي والغناء
أوتذكرين لقاءنا في غرفة للداء فيها
ظل كظل الليل يخنق ساكنيها
لكننا بالشعر حولناه زرعاً من ضياء
بالحب أزهر واللقاء
ما كان أحلى حبنا العربي حب كثيّر وجنون قيس
التبغ صحرائي أهيم على رفارفها الحزينه
وهناك نبني خيمتين من التأسي

«ليلى مناد دعا ليلى فخف له ... نشوان في جنبات القلب عربيد
كسا النداء اسمها سحراً وحببه ... حتى كان اسمها البشرى أو العيد

---

(١) كتب السياب هذه القصيدة سنة ١٩٦٤ وهو مريض في المستشفى الأميري بالكويت . وهو يبدأ بمخاطبة صديق عاد إلى الكويت من بيروت حاملا تحيات من ليلى إلى الشاعر . وقد نشر القصيدة كمال طعمه في جريدة «الأحد» البيروتية ، العدد ٧٤٣ بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٦٥ ، صفحة ١٥ .

هـل المنادون أهلوها وإخوتهـا أم المنـادون عشاق معاميـد
إن يشركـوني في ليلى فـلا رجعت جبال نجد لهم صوتاً ولا البيـد »

ليلى تعالي نقطع الصحراء في قمراء حلوه
متماسكين يداً إلى يد من تحب
وترنّ في الأبعاد غنوه
للرمل همس تحت أرجلنا بها ، للرمل قلب
يهتز منها أو ينام وللنخيل بها أنين
وتهرّ عن بعد كلاب يا لغيم من نباح
هيهات يعشقه سوى غبش الصباح
وأنا وأنت نسير حتى تتعبين
«ماء أريد أليس في الصحراء غير صدى وطين ؟ »
وتكركر الصحراء عن ماء وراء فم الصخور
فأظل بالكفين أسقيكِ المياه فترتوين
أسقي صداك فترتوين
أوتذكرين لقاءنا في كل فجر
وفراقنا في كل أمسية إذا ما ذاب قرص الشمس في البحر العتي
تأتين لي وعبير زنبقة يشق لك الطريق فأي عطر !
وتودعين فتهبط الظلماء في قلبي ويطفي نوره القمرُ الوضي
فكأن روحي ودّعتني واستقلت عبر بحر
وأظل طول الليل أحلم بالزنابق والعبير
وحفيف ثوبك ، والهدير
يعلو فيغرق ألف زنبقة وثوب من حرير !

المصَـادِر وَالمـَرَاجع

أولا – آثار السياب الشعرية

(أ) آثاره المنشورة :

١ – «أزهار ذابلة» . مطبعة الكرنك بالفجالة ، مصر ، ١٩٤٧ .
٢ – «أساطير» ، منشورات دار البيان ، مطبعة الغري الحديثة ، النجف ، ١٩٥٠ .
٣ – «حفار القبور» . مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٩٥٢ .
٤ – «المومس العمياء» ، مطبعة دار المعرفة ، بغداد ، ١٩٥٤ .
٥ – «الأسلحة والأطفال» ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٤ .
٦ – «أنشودة المطر» ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٠ .
(تحتوي هذه المجموعة على الثلاث السابقة رقم ٣ و ٤ و ٥ مع شيء من التعديل والحذف)
٧ – «المعبد الغريق» . دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٢ .
٨ – «منزل الأقنان» ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٣ .
٩ – «أزهار وأساطير» ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دون تاريخ (١٩٦٣).
(تحتوي هذه المجموعة على مختارات من رقم١ ورقم ٢ مع شيء من التغيير والحذف).
١٠ – «شناشيل ابنة الجلبي» ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٤ . الطبعة الثانية ، حزيران ١٩٦٥ .
١١ – «إقبال» ، دار الطليعة ، بيروت ، حزيران ١٩٦٥ .
(هذه المجموعة صدرت بعد وفاة السياب وتحتوي على آخر قصائده مع شيء من قصائد ١٩٤٢ و ١٩٤٣ و ١٩٤٤) .
١٢ – «قصائد» ، دار الآداب ، بيروت ، آذار ١٩٦٧ .
(هذه المجموعة صدرت بعد وفاة السياب وتحتوي على مختارات من رقم ٦ و٧ و ٨ و ١٠ و ١١ اختارها وقدم لها أدونيس) .

(ب) آثاره غير المنشورة :

١٣ – قصائد الصبا مكتوبة بترتيب في دفتر مدرسي منها أقدم قصيدة للسياب وتاريخها ١٩٤١ وقصائد أخرى من سنة ١٩٤٢ .
١٤ – «قيثارة الريح» ، مجموعة قصائد تعود لسنة ١٩٤٤ وفيها ثلاث من سنة ١٩٦٣ وما وجد من المجموعتين رقم ١٥ و ١٨ أدناه .
١٥ – «بين الروح والجسد» ، قصيدة طويلة تناهز الألف بيت كتبها السياب سنة ١٩٤٤ وضاعت عندما أرسلت إلى علي محمود طه بمصر . وقد وجد منها حوالي عشرها لدى الأصدقاء .

١٦ – «زئير العاصفة» ، مجموعة من الشعر الاجتماعي والسياسي كتبها السياب قبل سنة ١٩٥٠ ، ولعل مصطفى الأعظمي فقدها وقد عهد اليه بنشرها في بغداد .

١٧ – «أجنحة السلام» ، قصيدة طويلة فيها حوالي ٤٠٠ بيت كتبها السياب في حدود سنة ١٩٥١ . وقد أرسلت بعد وفاته في نسختها الأصلية المخطوطة إلى ناجي علوش في دار الطليعة ببيروت .

١٨ – «اللعنات» ، قصيدة طويلة غير كاملة فيها أكثر من ٢٥٠ بيتاً كتبت في حدود سنة ١٩٥١ .

١٩ – قصائد منشورة في الصحف لم تجمع في مجموعات منها قصيدة «ليلى» (جريدة «الأحد» ، العدد ٧٤٣ ، بيروت ، ٢٠ حزيران ١٩٦٥ ، صفحة ١٥) وقصيدة «يوم ارتوى الثائر» («كتاب منجزات لواء البصرة في العهد الجمهوري ١٩٥٨ – ١٩٦١» ، البصرة ، ١٩٦١ ، صفحة ٢٨٣) وغيرها ؛ وكذلك قصائد مسجلة على شريط مثل قصيدة محفوظة في جامع العلامة السيد عبد الكريم الموسوي في المعقل ألقاها السياب بمناسبة عيد المولد النبوي ، ولعلها من نتاج سنة ١٩٦١ . وله قصائد مناسبات أخرى مكتوبة على البحور التقليدية .

(ج) ترجماته الشعرية :

٢٠ – «عيون إلزا أو الحب والحرب» . للشاعر الفرنسي لويس أراغون ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، دون تاريخ (١٩٥١) .

٢١ – «قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث» . دون مكان النشر ، ودون تاريخ (بغداد ، ١٩٥٥) .

٢٢ – قصائد مترجمة نشرت في الصحف ولم تجمع ، منها «قصائد من ناظم حكمت» ، («العالم العربي» ، بغداد ، ١٩٥١) وهي غير موقعة ، ومنها «ثلاث قصائد عن العصر الذري» لإيدث ستويل ، («التضامن» ، بغداد ، ١٩٦٠) توقيعها أبو غيلان .

ثانياً – المراجع العربية : الكتب .

أبو سعد ، أحمد . «الشعر والشعراء في العراق ١٩٠٠ – ١٩٥٨» ، دار المعارف بلبنان ، بيروت (١٩٥٩) .

إسماعيل ، عز الدين . «الشعر العربي المعاصر : قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية» ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

«الأدب العربي المعاصر» . أعمال مؤتمر روما المنعقد في تشرين الأول سنة ١٩٦١ ، منشورات أضواء ، دون تاريخ (١٩٦٢) .

البصري ، عبد الجبار داود . «بدر شاكر السياب ، رائد الشعر الحر» ، وزارة الثقافة

والإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٦ .
جارجي ، سيمون وآخرون . «بدر شاكر السياب ، الرجل والشاعر» ، منشورات أضواء ، بدون تاريخ (١٩٦٦) .
جبرا ، جبرا ابراهيم وغيره . «الشعر في معركة الوجود» ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٠ .
الدجيلي ، عبد الكريم . «محاضرات عن الشعر العراقي الحديث» ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، (القاهرة) ، ١٩٥٩ .
رزوق ، أسعد . «الأسطورة في الشعر المعاصر» ، منشورات مجلة آفاق ، بيروت ، ١٩٥٩ .
الريس ، رياض نجيب . «الفترة الحرجة ١٩٦٠ — ١٩٦٥» ، بيروت ، ١٩٦٥ .
الريس ، سعدون . «الأدباء العراقيون المعاصرون وإنتاجهم» ، وزارة الثقافة والارشاد بغداد ، ١٩٦٥ .
السامرائي ، إبراهيم. «لغة الشعر بين جيلين» ، دار الثقافة ، بيروت ، دون تاريخ (١٩٦٥).
سعيد ، أمين . «ثورات العرب في القرن العشرين» ، دار الهلال ، (القاهرة) بدون تاريخ (١٩٦٩) .
سعيد ، جميل . «نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق» ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
سعيد ، خالدة . «البحث عن الجذور» ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٠ .
سلوم ، داود . «الأدب المعاصر في العراق ١٩٣٨ — ١٩٦٠» ، بغداد ، ١٩٦٢ .
سلوم ، داود . «تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين» ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٩ .
شرف الدين ، صدر الدين . «سحابة بورتسموت» ، دار العلم للملايين ، بيروت ، نيسان ١٩٤٨ .
شكري ، غالي . «شعرنا الحديث ... إلى أين ؟» دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
صفدي ، مطاع . «الثوري والعربي الثوري» ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦١ .
عباس ، إحسان . «عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث» ، دار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٥ .
العبطة ، محمود . «بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق» ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٥ .
عز الدين ، يوسف . «التيارات الأدبية في العراق» ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٢ .
عز الدين ، يوسف . «الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه» ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
كمال الدين ، جليل . «الشعر العربي الحديث وروح العصر» ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٤ .
الملائكة ، نازك . «قضايا الشعر المعاصر» ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٢ .
نقاش ، رجاء . «في أزمة الثقافة المصرية» ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٥٨ .
النويهي ، محمد . «قضية الشعر الجديد» ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

الهلالي ، عبد الرزاق . «معجم العراق» ، الجزء الأول ، مطبعة النجاح ، بغداد ، ١٩٥٣ .
الجزء الثاني ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٥٦ .
الولي ، خضر . «آراء في الشعر والقصة » ، مطبعة دار المعرفة ، بغداد ، ١٩٥٦ .

ثالثاً — المراجع العربية : المجلات والصحف .

أدونيس . «زمن الشاعر »، مجلة الآداب ، بيروت ، آذار ١٩٦٧ ، ص ٢ — ٥ .
أدونيس . مقدمة «قصائد» بدر شاكر السياب ، دار الآداب ، بيروت ، آذار ، ١٩٦٧ ، ص ٥ — ١٧ .
الأسعد ، محمد إسماعيل . «السياب والصراع مع الزمن» ، مجلة الأقلام ، بغداد ، كانون الثاني ، ١٩٦٦ ، ص ٦٥ — ٧٨ .
إسماعيل ، محيي الدين . «ملامح من الشعر العراقي الحديث» ، مجلة الآداب ، بيروت ، كانون الثاني ١٩٥٥ ، ص ٤٩ — ٥٧ .
أسمر ، ميشال . «الشاعر الإنسان» . محاضرات الندوة اللبنانية ، ١٩ : ٢ ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٧ — ١١ .
الامير ، ديزي . «بدر السياب والمرفأ العاطفي » ، مجلة الآداب ، بيروت ، شباط ١٩٦٥ ، ص ٧ — ٨ .
البصري ، عبد الجبار داود . «التحليل النفسي لعروض السياب» ، جريدة صوت الجماهير ، بغداد ، ٢ تشرين الثاني ١٩٦٣ .
البصري ، عبد الجبار داود . «دراسات في إيقاع الشعر» ، مجلة الكتاب ، العدد ١ ، بغداد ، نيسان ١٩٦٢ .
البصري ، عبد الجبار داود . «موسيقى الشعر العراقي المعاصر» ، مجلة الآداب ، بيروت ، أيلول ١٩٥٧ ، ص ٢٨ — ٣١ و ص ٧٧ — ٧٩ .
جبرا ، جبرا ابراهيم . «بدر شاكر السياب ، الأسطورة وسيف الكلمة»، مجلة «العاملون في النفط» ، بغداد ، نيسان ١٩٦٥ ، ص ١٢ — ١٥ .
جبرا ، جبرا إبراهيم . «شاعر تجدد الحياة لم ترأف به الحياة» ، مجلة حوار ، بيروت ، مارس ، ابريل ١٩٦٥ ، ص ١٢٧ — ١٢٩ .
الجندي ، إنعام . «محنة السياب ومأساة الخلق» ، مجلة الأسبوع العربي ، بيروت ، ٢ أيلول ١٩٦٣ ، ص ٧٣ .
الجندي ، عاصم . «ألقى السياب بشناشيل ابنة الجلبي ... ومضى» ، مجلة الأسبوع العربي ، بيروت ، ٤ كانون الثاني ١٩٦٥ ، ص ٥٥ .
الجيوسي ، سلمى الخضراء . «رحلة قصيرة في دهاليز الوجود العربي المعاصر» ، مجلة الآداب ، بيروت، أيار ١٩٦٦ ، ص ٧ — ٩ .

الحاج ، أنسي . « الشعر العربي الجديد في جسد بدر شاكر السياب» ، ملحق جريدة النهار ، بيروت ، ٧ شباط ١٩٦٥ ، ص ١٩ .
حافظ ، صبري . «غريب على الخليج ... يغني للمطر» ، مجلة الآداب ، بيروت ، شباط ١٩٦٦ ، ص ١٨ — ٢٢ .
حاوي ، إيليا . «دراسة نقدية لديوان بدر شاكر السياب أنشودة المطر» ، مجلة الآداب ، بيروت ، أيار ١٩٦١ ، ص ١٨ — ٢١ و ص ٥٧ — ٦٠ .
حاوي ، خليل . «عند سرير السياب» ، مجلة الآداب ، بيروت ، شباط ١٩٦٥ ، ص ١—٢.
حسين ، أحمد رشدي . «مأساته عارنا جميعاً » ، مجلة حوار ، بيروت ، مارس أبريل ١٩٦٥ ، ص ١٢٤ — ١٢٧ .
حسين ، عادل مهدي . «الالتزام الثوري في شعر السياب» ، مجلة الكتاب ، بغداد ، مايس حزيران ، ١٩٦٥ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٥ .
الحلي ، علي . «الفنان والخلق الثوري» ، مجلة الآداب ، بيروت ، تموز ١٩٦٣ .
الحيدري ، بلند . «بدر شاكر السياب ، الذاهب كالمطر» ، مجلة الأديب ، بيروت ، فبراير ١٩٦٥ ، ص ٥٦ — ٥٧ .
الحيدري ، بلند . «خواطر في الشعر العراقي الحديث» ، مجلة الأديب العراقي ، العدد ١ ، ١٩٦٢ ، ص ٤٢ — ٤٦ .
الخال ، يوسف (المحرر) . «أخبار وقضايا» ، مجلة شعر ، بيروت ، صيف ١٩٥٧ ص ١١١ — ١١٣ .
الخياط ، جلال . «في ذكرى السياب الثانية : الأسطورة والكائن الخرافي» ، مجلة الآداب ، بيروت ، كانون الثاني ١٩٦٧ ، ص ١٠ — ١١ .
رفقه ، فؤاد . «أنشودة المطر ، لبدر شاكر السياب» ، مجلة شعر ، بيروت ، شتاء ١٩٦١ ، ص ١٦٣ — ١٦٨ .
الريس ، رياض نجيب . «انتصار وهزيمة الفارس المقعد» ، جريدة «الجريدة» ، العدد ٣٧٢٨ ، بيروت ، ٧ شباط ١٩٦٥ ، ص ٨ .
الريس ، رياض نجيب . «ديوانه الأخير» ، مجلة حوار ، بيروت ، مارس أبريل ١٩٦٥ ، ص ١٣١ — ١٣٣ .
زكي ، أحمد كمال . «السياب مفكراً» ، مجلة الفكر المعاصر ، القاهرة ، يوليو ١٩٦٥ ، ص ٩٠ — ٩٨ .
السامرائي ، ماجد صالح . «مناخ القبر في شعر السياب» مجلة الأقلام ، بغداد ، كانون الثاني ١٩٦٦ ، ص ٩٤ — ١٠٠ .
سحاب ، إلياس . حديث عن الأدب والأدباء ، مجلة الحوادث ، بيروت ، العدد ٢٠ ، حزيران ١٩٦٢ .
سعيد ، خالدة . «السياب في الشعر الحديث» ، محاضرات الندوة ، ١٩ : ٢ ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ١٢ — ١٩ .
سعيد ، فتحي . «بدر شاكر السياب : شاعر الموت» ، مجلة الأقلام ، بغداد ، كانون الثاني ١٩٦٦ ، ٧٩ — ٩٣ .

السياب ، بدر شاكر . «تعليقان» ، مجلة الآداب ، بيروت ، حزيران ١٩٥٤ ، ص ٦٩ .
السياب ، بدر شاكر . «الشعر والشعراء في العراق الحديث» ، جريدة الأيام ، بغداد ، ٢٥ تشرين الأول ١٩٦٢ .
السياب ، بدر شاكر . «وسائل تعريف العرب بنتاجهم الأدبي الحديث» ، مجلة الآداب ، تشرين الأول ١٩٥٦ ، ص ٢٢ — ٢٤ و ص ١٠٠ — ١٠١ .
السياب ، مصطفى . «كلمة الأستاذ مصطفى شاكر السياب» ، محاضرات الندوة اللبنانية ، ١٩ : ٢ ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٢٥ — ٢٦ .
شكري ، غالي . «شعرنا الحديث ، إلى أين ؟» ، مجلة حوار ، بيروت ، نوفمبر ديسمبر ١٩٦٥ ، ص ٦٠ — ٧٩ .
شكري ، غالي . «صراع المتناقضات في صفوف الشعر الحديث» ، مجلة حوار ، بيروت ، يناير — فبراير ١٩٦٦ ، ص ٧٤ — ٩٢ .
شكري ، غالي . «اتجاه السهم لحركة الشعر الحديث» ، مجلة حوار ، بيروت ، مارس أبريل ١٩٦٦ ، ص ٥٨ — ٧٦ .
الشواف ، خالد . «بدايات بدر الشعرية» ، مجلة الكلمة ، بغداد ، العدد ١ ، كانون الثاني ١٩٦٨ ، ص ٤ — ٧ .
الشواف ، خالد . «كلمة جمعية المؤلفين والكتاب» ، مجلة الكتاب ، بغداد ، مايس حزيران ١٩٦٥ ، ص ٢١٦ .
صالح ، مدني . «الفكرة المولدة في بواكير شعر السياب» ، مجلة الآداب ، بيروت ، تشرين الأول ١٩٦٧ ، ص ٣٦ — ٤٠ .
صفدي ، مطاع . «السياب : الانسان والشاعر» ، مجلة الآداب ، بيروت ، شباط ١٩٦٥ ، ص ٤ — ٥ و ص ٧٣ — ٧٥ .
طاقة ، شاذل . «السياب بنى تجديده على أسس راسخة من فهم التراث» ، مجلة الكلمة ، بغداد ، العدد ١ ، كانون الثاني ١٩٦٨ ، ص ٢ — ٣ .
عباس ، عبد الجبار . «الحب والمرأة في شعر السياب» ، مجلة الآداب ، بيروت ، شباط ١٩٦٦ ، ص ٥ — ٧ و ص ٧٨ — ٧٩ .
عز الدين ، سيف . «مأساة الأديب في العراق» . مجلة الكتاب، بغداد ، مايس / حزيران ١٩٦٥ ، ص ٢٢٨ — ٢٣٠ .
علوش ، ناجي . «بدر شاكر السياب» ، مجلة الآداب ، بيروت ، آذار ١٩٦٦ ، ص ٨٨ — ٩٢ و ص ١٢١ — ١٢٣ .
علوش ، ناجي . «مقدمة» ، إقبال لبدر شاكر السياب ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٥ ، ص ٥ — ١٩ .
العمري ، نائر . «كلمة العراق في ابن العراق» ، محاضرات الندوة اللبنانية ، ١٩ : ٢ ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٢٠ — ٢٤ .
كرم ، أنطون غطاس . «بموته ولد لنا شاعر كبير» ، مجلة حوار ، بيروت ، مارس أبريل ١٩٦٥ ، ص ١٢٠ — ١٢٤ .

لطفي ، عبد المجيد . «بمناسبة ذكرى السياب» ، مجلة الآداب ، بيروت ، آذار ١٩٦٧ ، ص ٦٥ .
الماغوط ، محمد . «مات الطائر وبقيت الأغنية» ، مجلة حوار ، بيروت ، مارس / أبريل ١٩٦٥ ، ص ١٢٩ — ١٣١ .
الماغوط ، محمد . «مزاج عن الموت مع شاعر الموت» ، مجلة «العاملون في النفط» ، بغداد ، نيسان ١٩٦٥ ، ص ١٦ — ١٧ .
المانع ، نجيب . «السياب من الشعراء الغريزيين» ، مجلة الكلمة ، بغداد ، العدد ١ ، كانون الثاني ١٩٦٨ ، ص ١ — ٢ .
محمد ، محيي الدين . «السياب مناضلا وشاعراً» ، مجلة الشعر ، العدد ١٤ ، السنة الثانية ، القاهرة ، فبراير ١٩٦٥ ، ص ١٢ — ٢٥ .
المعلوف ، إميل . «المعبد الغريق» ، مجلة حوار ، بيروت ، آذار نيسان ١٩٦٣ ، ص ١١٨ — ١٢١ .
الملائكة ، نازك . «حركة الشعر الحر في العراق» ، مجلة الأديب ، بيروت ، كانون الثاني ١٩٥٤ ، ص ٢١ — ٢٤ .
الملائكة ، نازك . مقدمة «شظايا ورماد» ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ١٩٥٩ ، (طبعة ثانية) ، ص ٧ — ١٨ .
موسى ، حسن ، «السياب ... وتجربة الصراع بين اليأس والأمل» ، مجلة العلوم ، بيروت ، اكتوبر ١٩٦٥ ، ص ٥٦ — ٦٧ . ونوفمبر ١٩٦٥ ، ص ٦٨ — ٧٤ .
نصار ، نعمه . «إنسانية جديدة في شعر بدر والسياب» ، مجلة الأسبوع العربي ، بيروت ، ٢١ كانون الثاني ١٩٦٣ ، ص ٦٩ .
النقاش ، رجاء . «هل الشعر العربي الجديد فلسفة؟» ، مجلة الآداب ، بيروت ، آذار ١٩٦٢ ، ص ٣٥ — ٤١ .
رابعاً — المراجع الأجنبية : الكتب .
خامساً : المراجع الأجنبية : المجلات .

رابعاً — المراجع الاجنبية : الكتب

Berger, Morroe. *The Arab World Today*. Doubleday & Co. Inc., New York, 1962.

Cornell, Richard. *Youth and Communism*. Walker and Company, New York, 1965.

Durrell, Lawrence. *Key to Modern Poetry*. Peter Nevill, London, 1952.

Fisher, W. B. *The Middle East : a physical, social and regional geography*. London and New York, 2nd ed., 1952.

Glubb, John Bagot. *Britain and the Arabs*. Hodder and Stoughton, London, 1959.

Kerr, Malcolm. *The Arab Cold War* 1958-1964. Oxford University Press, London, 1965.

Kirk, George. *The Middle East in the War*. Oxford University Press, London, 1952.

Laqueur, Walter Z. "The Prospects of Communism in the Middle East", in *Tensions in the Middle East*, ed. Philip W. Thayer, Baltimore and London, 1958.

Lenczowski, George. *The Middle East in World Affairs*. Cornell University Press, Ithaca, New York, 3d ed., 1962.

Longrigg, Stephen Hemsley. *Four centuries of Modern Iraq*. Oxford,1925. *Iraq*, 1900 *to* 1950. Oxford University Press, London, 2d Imp., 1965.
And Frank Stoakes. *Iraq*. Ernest Benn Ltd. London, 1958.

Norin, Luc and Edouard Tarabay. *Antologie de la littérature arabe contemporaine : La Poésie*. Edition du Seuil, Paris, 1967.

Spender, Stephen. *The Struggle of the Modern*. Hamish Hamilton, London, 1963.

خامساً – المراجع الأجنبية : المجلات

Jargy, Simon. "Poètes arabes d'avant-garde", *Orient*, Paris, No. 18, 1961, pp. 147-172.
"Aspect de la poésie arabe contemporaine", *Orient*, Paris, No. 21, 1962, pp. 51-57.

Minganti, Paolo. "Badr Shakir as-Sayyab", *Annali dell Istituto Universitario Orientale di Napoli*, Napoli, Vol. XIV, 1964, pp. 245-253.
"Notizie su alcuni sviluppi della poesia araba contemporanea in Iraq", *Oriente Moderno*, Roma, XII, No. 12, 1961, pp. 979-1010.

Norin, Luc. "As Sayyab, ou la vie au coeur de la mort", *Les conférences du Cénacle Libanais*, Beyrouth, XIX, No. 2, 1965, pp. 55-58.

Rossi, P. "Impressions sur la poésie d'Irak", *Orient*, Paris, No. 12, 1959, pp. 199-211.

Said, Khalida. "Origines et tendances de la poésie arabe moderne", *Orient*, Paris, No. 18, 1961, pp. 141-145.